

الجوبة

موقع نحت الجمل

أمير منطقة الجوف يرعى المؤتمر العلمي لموقع نحت الجمل..

أقدم موقع نحت بارز في العالم،

سيعيد كتابة التاريخ القديم للجزيرة العربية.

- مواجهات :

د. هناء حجازي،

د. محمد الولي،

عبدالرحمن العتل.

- دراسات ونقد.
- نصوص.
- قراءات.

77

مركز عبدالرحمن السديري الثقافي

لائحة برنامج نشر الدراسات والإبداعات الأدبية والفكرية ودعم البحوث والرسائل العلمية في مركز عبدالرحمن السديري الثقافي

١- نشر الدراسات والإبداعات الأدبية والفكرية

يهتم بالدراسات، والإبداعات الأدبية، ويهدف إلى إخراج أعمال متميزة، وتشجيع حركة الإبداع الأدبي والإنتاج الفكري وإثرائها بكل ما هو أصيل ومميز.

ويشمل النشر أعمال التأليف والترجمة والتحقيق والتحرير.

مجالات النشر:

أ - الدراسات التي تتناول منطقة الجوف ومحافظة الغاط في أي مجال من المجالات.

ب- الإبداعات الأدبية والفكرية بأجناسها المختلفة (وفقاً لما هو مبيّن في البند «٨» من شروط النشر).

ج - الدراسات الأخرى غير المتعلقة بمنطقة الجوف ومحافظة الغاط (وفقاً لما هو مبيّن في البند «٨» من شروط النشر).

شروطه:

١- أن تتسم الدراسات والبحوث بالموضوعية والأصالة والعمق، وأن تكون موثقة طبقاً للمنهجية العلمية.

٢- أن تُكتب المادة بلغة سليمة.

٣- أن يُرفق أصل العمل إذا كان مترجماً، وأن يتم الحصول على موافقة صاحب الحق.

٤- أن تُقدّم المادة مطبوعة باستخدام الحاسوب على ورق (A4) ويرفق بها قرص ممغنط.

٥- أن تكون الصور الفوتوغرافية واللوحات والأشكال التوضيحية المرفقة بالمادة جيدة ومناسبة للنشر.

٦- إذا كان العمل إبداعاً أدبياً فيجب أن يتّسم بالتميّز الفني وأن يكون مكتوباً بلغة عربية فصيحة.

٧- أن يكون حجم المادة - وفقاً للشكل الذي ستصدر فيه - على النحو الآتي:

- الكتب: لا تقل عن مئة صفحة بالمقاس المذكور.
- البحوث التي تنشر ضمن مجلات محكمة يصدرها المركز: تخضع لقواعد النشر في تلك المجلات.
- الكتيبات: لا تزيد على مئة صفحة. (تحتوي الصفحة على «٢٥٠» كلمة تقريباً).

٨- فيما يتعلق بالبند (ب) من مجالات النشر، فيشمل الأعمال المقدمة من أبناء وبنات منطقة الجوف، إضافة إلى المقيمين فيها لمدة لا تقل عن عام، أما ما يتعلق بالبند (ج) فيشترط أن يكون الكاتب من أبناء أو بنات المنطقة فقط.

٩- يمنح المركز صاحب العمل الفكري نسخاً مجانية من العمل بعد إصداره، إضافة إلى مكافأة مالية مناسبة.

١٠-تخضع المواد المقدمة للتحكيم.

٢- دعم البحوث والرسائل العلمية

يهتم بدعم مشاريع البحوث والرسائل العلمية والدراسات المتعلقة بمنطقة الجوف ومحافظة الغاط، ويهدف إلى تشجيع الباحثين على طرق أبواب علمية بحثية جديدة في معالجاتها وأفكارها.

(أ) الشروط العامة:

١- يشمل الدعم المالي البحوث الأكاديمية والرسائل العلمية المقدمة إلى الجامعات والمراكز البحثية والعلمية، كما يشمل البحوث الفردية، وتلك المرتبطة بمؤسسات غير أكاديمية.

٢- يجب أن يكون موضوع البحث أو الرسالة متعلقًا بمنطقة الجوف ومحافظة الغاط.

٣- يجب أن يكون موضوع البحث أو الرسالة جديدًا في فكرته ومعالجته.

٤- ألا يتقدم الباحث أو الدارس بمشروع بحث قد فرغ منه.

٥- يقدم الباحث طلبًا للدعم مرفقًا به خطة البحث.

٦- تخضع مقترحات المشاريع إلى تحكيم علمي.

٧- للمركز حق تحديد السقف الأدنى والأعلى للتمويل.

٨- لا يحق للباحث بعد الموافقة على التمويل إجراء تعديلات جذرية تؤدي إلى تغيير وجهة الموضوع إلا بعد الرجوع للمركز.

٩- يقدم الباحث نسخة من السيرة الذاتية.

(ب) الشروط الخاصة بالبحوث:

١- يلتزم الباحث بكل ما جاء في الشروط العامة (البند «أ»).

٢- يشمل المقترح ما يلي:

- توصيف مشروع البحث، ويشمل موضوع البحث وأهدافه، خطة العمل ومراحله، والمدة المطلوبة لإنجاز العمل.
- ميزانية تفصيلية متوافقة مع متطلبات المشروع، تشمل الأجهزة والمستلزمات المطلوبة، مصاريف السفر والتنقل والسكن والإعاشة، المشاركين في البحث من طلاب ومساعدين وفنيين، مصاريف إدخال البيانات ومعالجة المعلومات والطباعة.
- تحديد ما إذا كان البحث مدعومًا كذلك من جهة أخرى.

(ج) الشروط الخاصة بالرسائل العلمية:

إضافة لكل ما ورد في الشروط الخاصة بالبحوث (البند «ب») يلتزم الباحث بما يلي:

١- أن يكون موضوع الرسالة وخطتها قد أقرّا من الجهة الأكاديمية، ويرفق ما يثبت ذلك.

٢- أن يُقدّم توصية من المشرف على الرسالة عن مدى ملاءمة خطة العمل.

الجوف ٤٢٤٢١ ص.ب ٤٥٨ هاتف: ٠١٤٦٢٤٥٩٩٢ فاكس: ٠١٤٦٢٤٧٧٨٠
الغاط ١١٩١٤ ص.ب ٦٣ هاتف: ٠١٦٤٤٢٢٤٩٧ فاكس: ٠١٦٤٤٢١٣٠٧
الرياض ١١٦١٤ ص.ب ٩٤٧٨١ هاتف: ٠١١٤٩٩٩٩٤٦ جوال: ٠٥٥٣٣٠٨٨٥٣
info@alsudairy.org.sa
www.alsudairy.org.sa

الجوبة

ملف ثقافي ربع سنوي يصدر عن

مركز عبدالرحمن السديري الثقافي

أسرة التحرير

إبراهيم بن موسى الحميد **المشرف العام**

محمود الرمحي **محررًا**

محمد صوانة **محررًا**

الإخراج الفني: خالد الدعاس

المراسلات: هاتف: ٦٢٦٣٤٥٥(١٤)(٩٦٦+)

فاكس: ٦٢٤٧٧٨٠(١٤)(٩٦٦+)

ص. ب ٤٥٨ سكاكا الجوف - المملكة العربية السعودية

www.alsudairy.org.sa

aljoubahmag@alsudairy.org.sa

ردمد ISSN 1319 - 2566

سعر النسخة ٨ ريالات - تطلب من الشركة الوطنية للتوزيع

الاشتراك السنوي للأفراد ٥٠ ريالًا والمؤسسات ٦٠ ريالًا

قواعد النشر

١- أن تكون المادة أصيلة.

٢- لم يسبق نشرها ورقيًا أو رقميًا.

٣- تراعي الجدية والموضوعية.

٤- تخضع المواد للمراجعة والتحكيم قبل نشرها.

٥- ترتيب المواد في العدد يخضع لاعتبارات فنية.

٦- ترحب الجوبة بإسهامات المبدعين والباحثين والكتّاب، على أن تكون المادة باللغة العربية.

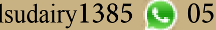
«الجوبة» من الأسماء التي كانت تُطلق على منطقة الجوف سابقًا.

مركز عبدالرحمن السديري الثقافي

يُعنى المركز بالثقافة من خلال مكتباته العامة في الجوف والغاط، ويقيم المناشط المنبرية الثقافية، ويتبنّى برنامجًا للنشر ودعم الأبحاث والدراسات، يخدم الباحثين والمؤلفين، وتصدر عنه مجلة (أدوماتو) المتخصصة بآثار الوطن العربي، ومجلة (الجوبة) الثقافية، ويضم المركز كلًا من: (دار العلوم) بمدينة سكاكا، و(دار الرحمانية) بمحافظة الغاط، وفي كل منهما قسم للرجال وآخر للنساء. ويتم تمويل المركز من مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية.







Alsudairy1385 0553308853

العدد ٧٧ - خريف ١٤٤٤هـ (٢٠٢٢م)

الـمحتويـــات







المشاركون في ملف محور مؤتمر نحت الجمل



حوار مع: الروائية والتشكيلية د. هناء حجازي



الإبداع الصخري وإزميل النحات الحجري القديم..!

افتتاحية العـــدد



■ إبراهيم بن موسى الحميد

يأتي مؤتمر «موقع نحت الجمل، وأهميته الثقافية من منظور عالمي» بتنظيم من هيئة التراث واستضافة من جامعة الجوف، وحضور لأمير منطقة الجوف، ونخبة من العلماء والباحثين، وجمع من أبناء منطقة الجوف، وطلاب جامعة الجوف، لتأكيد أهمية المملكة العربية السعودية، ومنطقة الجوف التاريخية والحضارية، التي تضم سلسلة من المعالم الأثرية، زادها بهاء وأهمية الكشف العلمي الكبير في سكاكا لموقع نحت الجمل.

لقد تمكن العلماء من إظهار نتائج علمية جديدة حول تاريخ موقع الجمل، والـذي يضم بمجموعة من مجسمات الجمال وحيوانات من فصيلة الخيليات بالحجم الطبيعي، وصفها الباحثون بأنها الأقدم في العالم، في نحت الحيوانات المجسمة بالحجم الطبيعي. كما أن هذا الاكتشاف يحمل العديد من الدلائل، أبرزها أن هذه المنطقة شهدت حضارة مزدهرة، تركت أثارها على الجبال الرملية.

وبحسب بيان معهد "ماكس بلانك" المنشور في دراسة نشرتها دورية علم الآثار، في عددها الصادر في سبتمبر ٢٠٢١م؛ فإن عدد الجمال التي كانت قيد الدراسة، التي عثر عليها في موقع الجمل بسكاكا بلغ (١٢) جملا نُحتت على ثلاثة جبال من الحجر الرملي، وإن بعضها -وبفعل عوامل التعرية- قد اختفت معالمها؛ لكن بعضها الآخر ما يزال واضحًا جدًا. إلا إنه -بحسب دراسة أجريت في العام ٢٠١٨م- فقد تم عثر في موقع نحت الجمل بسكاكا على نحو (٢١) نحتا مجسَّما.



ومن جماليات المؤتمر؛ شهادات العلماء والباحثين عن منطقة الجوف، وأبرزهم الرئيس التنفيذي لهيئة التراث الدكتور جاسر بن سليمان الحربش، الذي أكد أن الاحتفاء في هذا المؤتمر ليس بالأبحاث العلمية الرصينة المقدمة من قبل الباحثين السعوديين والخبراء الدوليين وحسب؛ بل أيضا بأهل منطقة الجوف رجالًا ونساءً؛ فهي تعد من أفضل المناطق التي حافظت على أثارها وتراثها، وفي مقدمتة تلك المواقع الأثرية التي بقيت دون تخريب أو اعتداء: موقع نحت الجمل، وذلك بفضل جهود أهل الجوف ومسئوليها.

ومن الأخبار السارة التي بشّر بها المؤتمر، إعلان الرئيس التنفيذي لهيئة التراث أن الجوف أصبحت على خريطة المواقع الأثرية العالمية، وذلك بفضل الكشف العلمي الكبير المتمثل في موقع نحت الجمل، وما تحتويه الجوف من مواقع أثرية أخرى مهمة؛ وهو بهذا يؤكد أهمية موقع نحت الجمل بمدينة سكاكا، والقيمة العلمية الكبيرة التي أضافها لتراث المملكة وحضارتها، بل للعالم بأسره؛ إضافة إلى إعلان رئيس جامعة الجوف الدكتور محمد بن عبداللّه الشايع أن الجامعة تعمل على إطلاق دبلوم للأثار في هذا العام، وأنه تم الرفع بافتتاح قسم للأثار والسياحة بما يسهم في توفير قدرات بشرية متخصصة في الآثار..

وقد أحسنت هيئة التراث بعمل فيلم وثائقي عن موقع نحت الجمل وأثار منطقة الجوف، بيّنَ كيف كانت الجوف هبة موقعها الجغرافي الذي جعل منها ملتقىً للقوافل، ونقطة التقاء للطرق التجارية التاريخية.. ومما جاء فيه تأكيد «موقع نحت الجمل، بوصفه أحد أهم المواقع الأثرية على مستوى العالم، إذ يعود تاريخه لأكثر من ٧٠٠٠ عام».



برعاية أمير منطقة الجوف
هيئة التراث بوزارة الثقافة تنظم في رحاب جامعة الجوف مؤتمر «موقع نحت الجمل.. وأهميته الثقافية من منظور عالمي»

المؤتمر يشهد تقديم أبحاث لأكاديميين من جامعات محلية ودولية

الاكتشاف يعيد النظر في تاريخ استئناس الجمل!

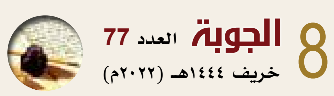


شهد مؤتمر «موقع نحت الجمل.. وأهميته الثقافية من منظور عالمي» الذي نظّمته هيئة التراث بوزارة الثقافة في حرم جامعة الجوف من ٢٧ - ٢٩ سبتمبر ٢٠٢٢م، مشاركة أكاديميين وباحثين مختصين بالآثار من جامعات محلية ودولية، قدموا أبحاثًا ومرئيات عن الجمال المنحوتة في صخور مدينة سكاكا بالجوف بشمالي المملكة العربية السعودية.

وجاء المؤتمر الذي رعاه صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن نواف بن عبدالعزيز، أمير منطقة الجوف، لتسليط الضوء على هذا الموقع الذي يضم مكتشفات آثارية لمنحوتات جمال بأحجامها الطبيعية، ما يؤكد الأهمية العلمية لهذا الاكتشاف الآثاري، الذي من شأنه أن يعيد النظر في تاريخ استئناس الجمل المعتمد حتى الآن في البحوث والدراسات الآثارية التي ناقشت اكتشافات لرسوم ومنحوتات الجمال حول العالم.

كما يأتي المؤتمر ليسهم في إبراز المواقع التاريخية والثقافية في المملكة العربية السعودية، ويؤكد دور الجهود الكبيرة التي تبذلها المملكة في اكتشاف الكنوز الآثارية والحضارية في المملكة والحفاظ عليها، ونشر البحوث العلمية عنها محليا ودوليًا.

■ كتب المحرر الثقافي وحجاج سلامة



الأمير فيصل بن نواف: أهمية تاريخية ودور حضاري لمنطقة الجوف

وألقى صاحب السمو الملكي أمير منطقة الجوف كلمة في حفل افتتاح المؤتمر، قال فيها: «إنه منذ فجر التاريخِ وإلى اليومِ كانتْ أرضُ المملكةِ العربيةِ السعوديةِ مستقرا للحضاراتِ المتعاقبةِ عَبْرَ مختلفِ العصورِ، ومنطقةَ التقاءِ طُرُقِ التجارةِ العالميةِ التاريخيةِ، والتي أسهمت في بناء الحضارةِ الإنسانيةِ».

وأضاف: «لقد أكدت الاكتشافات الأثرية والدراسات العلمية المتخصصة التي أجريت، الأهمية التاريخية والدورِ الحضاري الكبيرِ لمنطقة الجوف، وتفاعلها الإيجابي؛ الممتد والمستمر عبر التاريخ، وإسهام إنسانِها، كَوْنُهُ أحدَ الفاعِلينَ في مسيرةِ التاريخِ البشري».

وأشار سموه إلى أنه «بفضلِ دعمِ القيادةِ الرشيدةِ حققتْ البلاد إنجازات كبيرةً في هذا المضمارِ، وتعيشُ المملكةُ اليومَ نهضةً غيرَ مسبوقةٍ على جميعِ أصعدةِ التُراثِ الحضاريِ؛ تمثلتْ في تحقيقِ العديدِ منَ الكشوفاتِ الأثريةِ في كلِّ منطقةٍ منْ مناطقِها، بإشراف هيئة التراث بوزارة الثقافة، وبقيادة نخبةٌ منَ العلماءِ والمختصينَ السعوديينَ، ويشاركُ معهمْ علماءُ مميزونَ منْ أفضلِ الجامعاتِ والمؤسساتِ العالميةِ المتخصصةِ؛ ولعل من أبرزها نتائج الدراسات العلمية التي تمت بموقع نحت الجمل بمنطقة الجوف الذي نستضيف هذا المؤتمر العلمي لتسليط الضوء عليه وإبرازه والتعريف به».

واختتم سموه بقوله: «نتطلعُ إلى مزيدٍ منَ التطويرِ والبحث والدراسة للمواقع الأثرية والتاريخية بمنطقة الجوف على وجه الخصوص، لقيمتها التاريخية والأثرية، وليكونَ أنموذجا للاستثمار في تراثُ المملكةِ، ووسيلةً للتربيةِ والتوعية، ومصدرا للعلمِ والمعرفةِ، ومصدرَ اعتزازٍ لأبناءِ الوطنِ، وشاهدا لمكانةِ بلادِنا الحضاريةِ».

وكرّم سموه الشركاء في تنظيم المؤتمر، والفريق العلمي لموقع نحت الجمل، والمشاركين والمبلغين عن هذا الموقع، ثم انطلقت الندوات العلمية، وجلسات النقاش



الأمير فيصل بن نواف، أمير منطقة الجوف يلقي كلمته في المؤتمر



رئيس جامعة الجوف الدكتور محمد الشايع

التي شارك فيها عدد من المختصين في التراث الثقافي والفنون الصخرية من مختلف دول العالم، إلى جانب زيارات ميدانية لعدد من المواقع الأثرية والتراثية بالمنطقة.

د. محمد بن عبدالله الشايع:

إطلاق دبلوم وإنشاء قسم للآثار والسياحة بجامعة الجوف

وفي كلمته بحفل افتتاح المؤتمر، قال الدكتور محمد بن عبدالله الشايع، رئيس جامعة الجوف: إن هذا المؤتمر ينعقد بالتزامن مع نتائج تلك الدراسات العلمية التي أعدتها هيئة التراث بالشراكة مع الباحثين والمختصين. ولفت إلى أن ذلك يمثل إحدى ثمار الدعم الكبير الذي يحظى به وطننا الغالي من حكومة خادم الحرمين الشريفين، الملك سلمان بن عبدالعزيز، وسمو ولي عهده الأمين الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز - حفظهما الله - وهو دعم يشمل جميع أوجه الحياة دون استثناء؛ من صحة، ورياضة، وتعليم، وخدمات متنوعة ومتعددة؛ منطلقًا من رؤية المملكة ٢٠٣٠، والتي هدفت إلى جعل المملكة العربية السعودية ذات تنمية شاملة في جميع المجالات دون استثناء، ولعل إنشاء هيئة التراث، وإطلاق مثل هذا المؤتمر يؤكد قوة الدعم ووضوح الرؤية في كل ما يحقق مصلحة المواطن والوطن، وينعكس على التنمية الشاملة للمملكة العربية السعودية.

ورحب رئيس الجامعة بسمو أمير الجوف، وأشار إلى أن انعقاد المؤتمر يأتي بفضل الله ثم بفضل متابعة سموه الكريمة لكل ما يُبرز هذه المنطقة التاريخية بشكل خاص، وكل ما يُثبت البعد التاريخي لهذه الأرض المباركة التي وحدها الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود طيب الله ثراه، تأكيدا للعالم أجمع على الامتداد الحضاري لأرض المملكة، وأن المملكة تملك إرثا حضاريا يعود لآلاف السنين.

وقال د. الشايع موجها خطابه لصاحب السمو الملكي، الأمير فيصل بن نواف بن عبدالعزيز أمير منطقة الجوف:

إن إبراز ما تملكه المنطقة من إرث تراثي كنتم سموكم الداعمين له عبر

التحفيز والتشجيع بضرورة تفعيل دور الجامعة وهيئة التراث في المنطقة، من خلال تسليط الضوء على آثارها، والعمل على توثيقه وفق الطرق العلمية والعالمية، وقد حظيت اتفاقية التعاون والشراكة بيننا برعايتكم الكريمة؛ وها نحن اليوم نعمل على مشاريع مشتركة بإذن الله في تعاون علمي يسهم في حصر الآثار بالمنطقة والعمل على توثيقها واكتشاف أسرارها.

وأضاف إن الجامعة تعمل على إطلاق دبلوم للآثار هذا العام، وتم الرفع بافتتاح قسم للآثار والسياحة بما يسهم في توفير قدرات بشرية متخصصة في الآثار، بجانب تخصيص كرسي سمو الأمير نواف بن عبدالعزيز آل سعود للتنمية المستدامة دعمًا ماليًا لأبحاث الآثار، بما يؤكد على اهتمام الكرسي بهذا الجانب العلمي واستكشافه.

واختتم رئيس الجامعة كلمته بتوجيه الشكر لصاحب السمو الملكي فيصل بن نواف بن عبدالعزيز أمير منطقة الجوف، على كريم رعايته وتشجيعه الدائم لكل ما يخدم هذه المنطقة ويحقق لها التنمية المستدامة.

الرئيس التنفيذي لهيئة التراث د. جاسر بن سليمان الحربش:

الجوف موقع تراثي عالمي

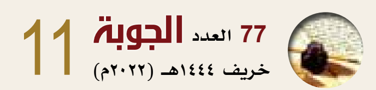
وفي كلمته بالمؤتمر، قال الرئيس التنفيذي لهيئة التراث الدكتور جاسر بن سليمان الحربش، إنه سعيد بوجوده في المؤتمر، وسعيد أكثر بتنفيذ ما تم الاتفاق عليه قبل أشهر قليلة بين هيئة التراث وجامعة الجوف وأمانة المنطقة.

كما عبر عن سعادته بمشاركة شباب المنطقة من الطلاب والطالبات في هذا المؤتمر، ووجه لهم الدعوة عبر الجامعة للمشاركة بمشاريع الهيئة.

ولفت النظر إلى الأهمية التاريخية للجوف، بحكم موقعها على الخريطة العالمية، وليس على خريطة المملكة وحسب، كموقع تراثي عالمي.

وأكد أنه منذ بدء الإعداد لهذا المؤتمر







الدكتور جاسر الحربش رئيس هيئة التراث

لم تكن هناك أي عوائق، وكان هناك تعاون تام من قبل أمانة المنطقة وجامعة الجوف، وأشار إلى أهمية مشاركة علماء وخبراء دوليين إلى جانب العلماء السعوديين في هذا المؤتمر.

وقال إن الاحتفاء في هذا المؤتمر ليس بالأبحاث العلمية الرصينة المقدمة من قبل الباحثين السعوديين والخبراء الدوليين وحسب؛ بل بأهل منطقة الجوف جميعا رجالا ونساء، فهي تعد من أفضل المناطق التي حافظت على آثارها وتراثها، وفي مقدمة تلك المواقع الأثرية التي بقيت دون تخريب أو اعتداء «موقع نحت الجمل»، وذلك بفضل جهود أهل الجوف ومسئوليها.

وتابع بقوله: نحن في هيئة التراث لسنا منغلقين على أنفسنا، ونُعد منظمة مفتوحة المصدر، وكل ما لدينا من مشاريع وأبحاث متاحة للجميع. وأوضح أن الهيئة لديها عشرات الشراكات مع جهات متعددة، من بينها أمانة إمارة الجوف وجامعتها.

ووجّه الدعوة لكل الباحثين على المستوى المحلي والدولي للمشاركة في الجهود السعودية في مجال اكتشاف الآثار والتراث وحمايتهما.

وأعلن عن وجود ٤٥ بعثة أثرية محلية ودولية تعمل داخل المناطق الأثرية بالمملكة، مؤكدا أن عدد تلك البعثات سيرتفع إلى مائة بعثة خلال السنوات القادمة، وأن المملكة تمتلك ثمانية آلاف موقع أثري، وألف موقع عمراني تراثي، وأن ٩٥٪ من آثار المملكة لم تكتشف بعد.

العمق الحضاري لمنطقة الجوف

شهد المؤتمر عرض فيلم تسجيلي يستعرض العمق الحضاري لمنطقة الجوف، التي أسهم إنسانها القديم في بناء الحضارة والثقافة الإنسانية المبكرة.

ويوثق الفيلم للرحلات التجارية التي كانت تمر بمنطقة الجوف؛ حاملة اللبان، والبخور، والتوابل، وسلعا اقتصادية أخرى؛ وكيف كانت الجوف هبة موقعها الجغرافي الذي جعل منها ملتقىً للقوافل، ونقطة التقاء للطرق التجارية التاريخية.

كما تناول الفيلم موقع نحت الجمل،

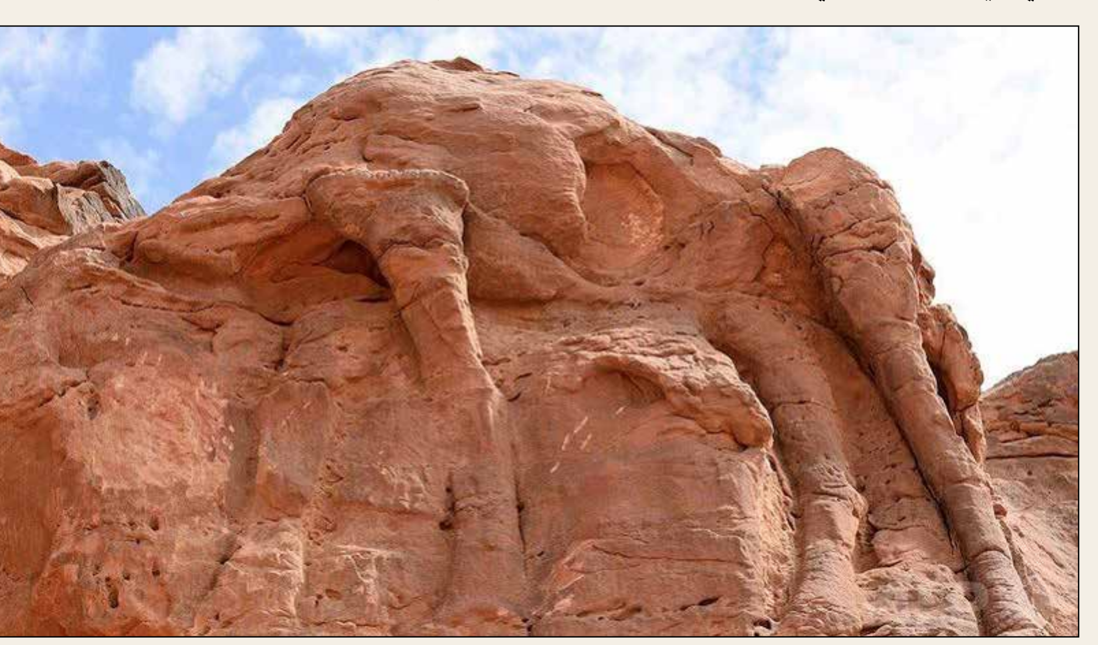
باعتباره أحد أهم المواقع الأثرية على مستوى العالم، إذ يعود تاريخه لأكثر من سبعة آلاف عام.

وألقى الفيلم التسجيلي الضوء على المعالم الأثرية والتراثية في منطقة الجوف، والتي تضم مواقع يمتد تاريخها منذ فجر التاريخ وحتى فترات التاريخ الوطني الحديث، مُمَثِلةً إرثًا حضاريًا ممتدًا، ونافذةً تطل منها الأجيال على التاريخ بكل أحداثه وحكاياته.

عُمر الموقع ووظيفته

وفي تقديمه لإحدى جلسات المؤتمر، والتي حملت عنوان: «موقع الجمل: عمره ووظيفته وحفظه مستقبلا»، قال الدكتور خليل إبراهيم المعيقل، إننا نلتقي في حدث علمي ذي طابع عالمي، ألا وهو مؤتمر «موقع نحت الجمل، وأهميته الثقافية من منظور عالمي»، الذي نشرت أول ورقة بحثية عنه عام ٢٠١٨م، فيما مثّلت آخر ورقة بحثية نشرت عن الموقع عام ٢٠٢٠م نقطة تحوّل في تاريخ الموقع، وعكست العمق الكبير لتاريخ الموقع الذي أرّخ عام ٥٢٠٠ قبل الميلاد. وقد أضاف اكتشاف الموقع بُعدًا حضاريًا على المستوى العالمي، وحظي باهتمامٍ واسعٍ من الباحثين والدارسين على مستوى العالم.

ولفت النظر إلى أن الدراسات الخاصة بالموقع قلبت النظرية الخاصة بتاريخ استئناس الجمل رأسا على عقب؛ فقد كانت النظرية السائدة تشير إلى أن استئناس الجمل حدث في مرحلة ما في الألف الثالثة قبل الميلاد، ثم جاءت دراسات موقع نحت



الجمل لتؤكد أن استئناس الجمل يعود إلى ثلاثة آلاف سنة قبل ذلك التاريخ.

وبحسب أوراق العمل والنقاشات التي شهدها المؤتمر، فإن موقع نحت الجمل يؤكد على العلاقة بين إنسان الجزيرة العربية والجمل، وأن الجمل جزء من كينونة الجزيرة العربية على مدار آلاف السنين، وأن الجوف تمثل بوصلة التاريخ الحضاري للجزيرة العربية، ومثلت مَعْبَرا حضاريا وممرا للتبادل الحضاري بين الجزيرة العربية والمناطق الأخرى.

ووفقا للباحثين، فقد مثّل موقع نحت الجمل منذ اكتشافه دليلا ملموسًا على امتداد تاريخ الجزيرة العربية إلى فترات زمنية بعيدة، ويعكس أهمية المملكة العربية السعودية في ميزان الحضارات الإنسانية. وأكد د. خليل أن المملكة العربية السعودية شهدت أقدم الحضارات الإنسانية بما تملكه من عمق تاريخي كبير، كشفت عنه وأكدته المكتشفات الأثرية في موقع نحت الجمل، الذي رجحت الدراسات أن يكون من أقدم المواقع في العالم لنحت الحيوانات المجسمة بالحجم الطبيعي، بل وأقدم موقع للنحت البارز.

ثلاث جلسات
وإحدى عشرة ورقة علمية

تضمن المؤتمر ثلاث جلسات طُرحت فيها إحدى عشرة ورقةً علمية، من قبل عدد







سمو أمير منطقة الجوف ولقطات من الحفل وتكريم المشاركين



سمو أمير منطقة الجوف، الأمير فيصل بن نواف، ورئيس جامعة الجوف، الدكتور محمد الشايع، ورئيس هيئة التراث، الدكتور جاسر الحربش

من الخبراء والمختصين في مجال الفنون الصخرية من مختلف دول العالم، إلى جانب تنفيذ عدد من الزيارات الميدانية للمواقع الأثرية والتراثية بمنطقة الجوف، بهدف الاطلاع على العمق الحضاري بالمنطقة وما تحظى به من مقومات أثرية وتراثية.

وتناولت أولى جلسات المؤتمر موضوع «موقع نحت الجمل الأثري، وظيفته وكيفية حفظه مستقبلا»، ناقش المشاركون فيها عددا من الشواهد الأثرية بموقع «نحت الجمل» وأبرز مقوماته وعناصره، الذي يتضمن عشرين نحتا من الجمال والخيل بأحجامها الطبيعية؛ وأشاروا إلى أن جميع المجسمات في الموقع قد نُحتت بأدوات حجرية، فيما أشارت تواريخ عينات التنقيب إلى أنه كان مأهولا في العصر الحجري الحديث، إضافةً إلى استعراض أبرز النتائج الحديثة للأوراق العلمية المنشورة حول الموقع.

وشددت الورقة العلمية التي تحمل عنوان «التوثيق والإدارة، أقدم مظاهر الفن الصخري في بنسولا جنوب غربي أيبيريا» في الجلسة الأولى، على ضرورة العمل ضمن إطار تعاون علمي عبر الحدود، لحماية المعالم الأثرية وحفظها وتعزيزها.

وتطرقت ورقة علمية بعنوان «النقوش والرسوم الملونة في كولومبيا: هضبة كونديبيوسنس مثالا»، إلى أهمية إبراز الدراسات التي جرت حول الهضبة في القطاع الشرقي الأوسط من البلاد، لربط بقايا الفنون الصخرية والمناطق المزروعة من حقول مدرجة على السفوح وجنبات التلال. واختُتمت الجلسة بورقةٍ حول «تصاوير الحيوانات في الفنون الصخرية في جبال الحجر بسلطنة عمان»، مستعرضةً المشاريع الخاصة التي أطلقتها وزارة التراث والسياحة في سلطنة عمان، والتي

أسفرت عن تحديد عدة مواقع مهمة تغطي زمن تخطى سبعة آلاف عام.

أما الجلسة الثانية فتضمنت خمس أوراق علمية، تطرقت الأولى إلى العلامات والرموز داخل المغارات وقيمتها ودلالاتها، وارتباطها اجتماعيا وثقافيا وروحيا.

واستعرضت الورقة الثانية ما تميزت به منطقة شمال غربي المملكة من تنوع وثراء في الفنون الصخرية، والتي وثقت العديد من أنشطة الإنسان، وما يرتبط به من دلالات بيئية، منذ عصور ما قبل التاريخ حتى العصور الإسلامية.

وعرضت الورقة الثالثة أكثر من خمس مئة موقع للنقوش والرسوم الصخرية المنتشرة بالمغرب، والتي تنتمي لفترات زمنية مختلفة، والتي يشكل بعضها أفضل الشواهد التاريخية لتكيّف الإنسان مع البيئات المتنوعة عبر العصور.

وشاركت الورقة الرابعة بمجموعة من الحيوانات والأسماك التي تزيد عن ١٣٠ نوعا قديما من الثدييات في الجزائر، مشيرة إلى ندرة صورها في الفنون الصخرية. أما الورقة العلمية الخامسة التي جاءت بعنوان «الفن الصخري بالبلاد التونسية» فقدمت لمحة عامة عن الفن الصخري في تونس، عبر مختلف مراحلها الزمنية منذ العصر الحجري الحديث حتى الفترة التاريخية.

وفي الجلسة الثالثة طُرحت ثلاث





صورة عامة للمؤتمر ولقطات من تكريم سمو أمير منطقة الجوف لرئيس هيئة التراث وللمشاركين بالمؤتمر بمدينة سكاكا

أوراق بحثية؛ استعرضت الأولى الدراسات التاريخية والأثرية منذ القرن التاسع عشر، والفنون الصخرية في الإنديز بدولة البيرو وتصاوير الفن الصخري لحيوانات ثديية عاشت هناك، ومنها فصيلة الجمال.

فيما قدمت الورقة الثانية دراسات أركيومترية للفن الصخري تناولت تاريخ المستوطنة والثقافات التي سكنت الأمازون. واختتمت الجلسة بورقة حول «إستراتيجية السياحة الأثرية لتعزيز المناطق قليلة الازدحام في تورارك، بجمهورية البرتغال» والتي أكدت على أهمية السياق الطبيعي والاجتماعي للمواقع الأثرية كونها أحد عناصر تفرد المواقع الأثرية.

ويأتي تنظيم المؤتمر العلمي بالتزامن مع نشر نتائج الدراسات العلمية التي أعدتها هيئة التراث بالشراكة مع الباحثين والمختصين من الهيئة بالتعاون مع المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي، وجامعة برلين الحرة، وجامعة أكسفورد، حول الدراسات العلمية المنشورة مؤخرا لموقع «نحت الجمل» بمنطقة الجوف، والتي عُثر خلالها على العديد من المنحوتات الصخرية التي تصور الإبل بحجمها الطبيعي، والتي تشير إلى أن موقع «نحت الجمل» يعود لفترة العصر الحجري الحديث ما بين (٥٢٠٠-٥٦٠٠) سنة قبل الميلاد.

وتضمن المؤتمر عددا من الفعاليات المصاحبة في عدد من مواقع التراث الثقافي، والتي اشتملت على عرضٍ لركائب الإبل في موقع نحت الجمل، وعروض الصوت والضوء، وعروض حيّة للحِرَف اليدوية، والعروض التقليدية التراثية، ومعرض صورٍ في قلعة زعبل، إضافة إلى زيارات ميدانية لقلعة زعبل، وموقع نحت الجمل، وأعمدة الرجاجيل بمدينة سكاكا، وقلعة مارد بمدينة دومة الجندل.


عرض ركائب الإبل في احتفالية موقع نحت الجمل بسكاكا

الدكتور عبدالله الشارخ:

«موقع نحت الجمل بسكاكا» أهميته في ندرته وارتباطه بفترة حضارية مبكرة، وهي فترة العصر الحجري الحديث قبل حوالي ٨٠٠٠ سنة

■ حاوره المحرر الثقافي

عَدَّ الدكتور عبدالله الشارخ، الباحث المشارك في موقع نحت الجمل أن موقع «نحت الجمل بمدينة سكاكا» بمنطقة الجوف، يعدُّ واحدا من المواقع الفريدة في المملكة والجزيرة العربية، كونه لم يُعثر على موقع مماثل له حتى الآن. مختصرًا أهميته في ندرته، وارتباطه بفترة حضارية مبكرة، وهي فترة العصر الحجري قبل نحو ٨٠٠٠ سنة. وأشار أستاذ ما قبل التاريخ المشارك بكلية السياحة والآثار بجامعة الملك سعود في إجابته عن أسئلة مجلة الجوبة إلى سعادته بأن يكون أحد أولئك الذين شاركوا في دراسة الموقع، عادّا عقد هذا المؤتمر إنجازا من إنجازات هذه الرؤية، وانعكاسا لجهود وزارة الثقافة ممثلة بهيئة التراث، ولتعريف المجتمع المحلي والعالمي بما تحظى به آثارنا من اهتمام، وما تتميز به من عالمية، وقال: أتمنى النظر في تحويل الموقع إلى مُتحف، وتجهيزه بما يضمن سلامة مكوناته الأثرية من عوامل التعرية.

المؤتمر

- **عقدت هيئة التراث مؤتمرا علميا عالميا، ما يعكس اهتمامها بموقع الجمال، وكنتم أحد المشاركين فيه، حدثنا عن المؤتمر وعن هذه المشاركة؟**

■ يُعد مؤتمر موقع نحت الجمل مؤشرا مهما لما توليه دولتنا المباركة من اهتمام بالتراث الحضاري ومواقعه المتميزة. ولما يحتله التراث من مكانة في رؤية ٢٠٣٠ بقيادة سمو ولي العهد، حفظه اللّه، والاهتمام الذي يوليه سمو وزير الثقافة وسعادة الرئيس التنفيذي لهيئة التراث، فقد كان عقد هذا المؤتمر من إنجازات هذه الرؤية، وانعكاسا لجهود وزارة الثقافة ممثلة بهيئة التراث، ولتعريف المجتمع المحلي والعالمي بما تحظى به آثارنا من اهتمام، وما تتميز به من عالمية.

أهمية موقع الجمل

- **كتبتم عن الموقع، وكنتم من أوائل الباحثين الذين كتبوا عنه، كيف ترون أهمية الموقع؟**

■ يُعد هذا الموقع من المواقع الفريدة



الدكتور عبدالله الشارخ أمام نحت الجمل بسكاكا

في المملكة والجزيرة العربية، كونه لم يُعثر على موقع مماثل له حتى الآن. ويمكن تلخيص أهميته في ندرته، وارتباطه بفترة حضارية مبكرة، وهي فترة العصر الحجري الحديث قبل حوالي ٨٠٠٠ سنة، والإبداع الفني والاحترافية العالية في فن النحت لمجموعة من الجمال وفصيلة الخيليات بالحجم الطبيعي، والأهمية الخاصة للموقع للجماعات البشرية آنذاك.

ولما له من أهمية، فلعل الموقع يتم النظر في تحويله إلى مُتحف، ويتم تجهيزه بما يضمن سلامة مكوناته الأثرية من عوامل التعرية.

جهود هيئة التراث

- **كعالم وباحث في مجال الآثار.. كيف تقيّمون الجهود العلمية حول «موقع نحت الجمل بسكاكا» حتى الآن؟**

■ لقد أسهمت الهيئة بجهود كبيرة في الاهتمام بالموقع، وتمكين فريق علمي

من القيام بدراسته بصورة علمية منذ عدة سنوات، وتكاملت الجهود بزيادة أعضاء الفريق، وإضافة خبرات نوعية في مجالات الفن الصخري والحماية والصيانة، وكذلك الرفع العلمي للشواهد الأثرية بالموقع بأفضل التقنيات المتوافرة. ولعلّ عقد هذا المؤتمر يُعد من الإنجازات التي تحسب للهيئة وتعكس اهتمامها بتراث المملكة وآثارها. وقد اشترك في دراسة الموقع عدد من العلماء والباحثين من هيئة التراث ومن جامعات سعودية وفرنسية ومراكز أبحاث أوربية، وأسعد بأن أكون أحد الذين شاركوا في دراسة الموقع. وتُعد هذه الشراكات العلمية مع المؤسسات العلمية داخل المملكة وخارجها من الخطط الموفقة لهيئة التراث في توفير الخبرات والكفاءات اللازمة للعناية بالمواقع الأثرية ودراستها.

- **كيف ترون حضور الإعلام والنشر العلمي حول موقع نحت الجمل بمدينة سكاكا؟**

■ لقد حظي الموقع بظهور إعلامي مشرّف في الساحات العلمية والإعلامية محليا وعالميا. كما ألقيت العديد من المحاضرات في مؤتمرات وملتقيات علمية عديدة حول العالم، ويُعد هذا المؤتمر الأبرز عالميا، وتشكر الوزارة والهيئة على جهودهما بهذا الشأن. كما نشر العديد من المقالات الإعلامية عن الموقع وأهميته في الصحف والمجلات العالمية، وفي مختلف وسائل التواصل الاجتماعي.

مواقع مماثلة

- **هل تتوقع اكتشاف مواقع مماثلة مستقبليا؟**

■ إن ما تزخر به المملكة من إرث حضاري عريق، وامتداد جغرافي واسع، وتنوع تضاريسي كبير، يجعلنا مشدوهين يوما بعد يوم بحجم الثراء الحضاري الذي يتم اكتشافه من قبل هيئة التراث وكوادرها الوطنية المتميزة وشركائها من الباحثين والعلماء، أو من المواطنين الغيورين على تراثهم. ومن هذا المنطلق، فإن العثور على موقع أو مواقع مثيلة في منطقة الجوف أو مناطق أخرى سيكون أمرا مهما يُضيف إلى معرفتنا بتراثنا الحضاري معلومات قيّمة جدا.

جامعة الجوف

- **هل لديكم إضافة دكتور عبدالله؟**

■ ولعله تجدر الإشارة إلى مبادرة جامعة الجوف بالإسهام في تنظيم المؤتمر العملي، تحت رعاية سمو أمير المنطقة، وبالشراكة مع هيئة التراث، فاستضافت فعاليات المؤتمر في رحاب الجامعة، وأتاحت المجال لمنسوبيها وطلابها والمجتمع المحلي للتعرف على هذا الموقع الحضاري المهم.

حسين الخليفة:
موقع «نحت الجمل بسكاكا» يضيف معلمًا جديدًا ونقطة جذب سياحية على خريطة المملكة السياحية



حسين بن علي الخليفة، الباحث الآثاري والمسئول السابق عن السياحة بمنطقة الجوف، يعد أبرز مكتشفي موقع نحت الجمل، وهو مَن أبلغ هيئة السياحة والآثار (الجهة الرسمية التي كانت تتولى مسؤولية الآثار سابقًا) لاعتماد الموقع كمعلمٍ أثري.

■ حاوره المحرر الثقافي

- **ما هي مشاعركم وأنتم ترون هذا الاهتمام بموقع نحت الجمل الذي كنتم أبرز مكتشفيه، وجاهدتم لاعتماده كموقع اثري؟**

■ لا شك أن هذه النتيجة كنت دائما أطمح أن تتحقق.. خشية اندثار هذا الموقع، أو فقدان بعض معالِمه وأجزائه، قبل توفير الحماية الرسمية التي يستحقها له.

- **كيف كانت قصة اكتشاف الموقع؟ وما هو دور الأستاذ محمد خيرالله في ذلك؟**

سمعت خاصةً من الأشخاص الساكنين باللقايط عن جبل الجمل. وهذا الجبل المجاور للموقع تشكيلٌ طبيعيٌّ على شكل جمل، وكان للأخ محمد خيرالله دورٌ مهم، وهو من الأشخاص الذين حدثوني عن الموقع، والأخ محمد هو من أرشدني إليه، وبعد زيارات متكررة في كل مرة.. اكتشف عددا من المنحوتات.

وفي إحدى زيارات صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز -رئيس هيئة السياحة- لمنطقة الجوف، عرضت عليه صورة لمنحوتة الجمل (يوجد صوره)، وطلب مني تزويد الهيئة بتقرير بذلك، وبالفعل أعددت أول تقريرٍ عن الموقع، وحددتُ المنحوتات وتوزيعها على الصخور المتفرقة، وبعد إحالة التقرير إلى أحد العاملين في قطاع الآثار، عارضني على أثرية الموقع، ثم قام بزيارة الموقع، وقد رافقته بالزيارة، إلا إنه كان يرى أن هذه المنحوتات تشكيل طبيعي على الرغم من شرحي له بتفاصيل المنحوتات، وبعد عودته أعد تقريرا مقارنًا بمواقع ذات تشكيل

طبيعي، إلا أني لم أقف عند هذا الحد، فقمت بمعارضة تقريره بتقريرٍ آخر أكثر تفصيلا، ثم تم تكليف زميل آخر للوقوف على الموقع، ومع الأسف كتب تقريرًا مماثلًا لتقرير الزميل السابق وأكد أن الموقع طبيعي وليس أثريًا. ولم أستسلم للأمر رغم المعارضات الشديدة،؛ خشية ضياع الموقع. وبعد فترة قمت بإعداد تقريرٍ آخر من الأستاذ ثامر المالكي والدكتور جيوم عن المنحوتات، والذي حظي باهتمام الجميع، وتم تشكيل فريق عمل سعودي إيطالي فرنسي للعمل في الموقع وتحديد عمره الزمني.

- **اهتمت هيئة التراث بموقع نحت الجمل بمدينة سكاكا،، وعقدت مؤتمرًا علميًا عالميًا وكنتم أحد المشاركين فيه، حدثنا عن المؤتمر وعن هذه المشاركة؟**

نتيجة للتعاون بين جامعة الجوف وهيئة التراث، وبرعاية كريمة من إمارة منطقة الجوف ممثلة بصاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن نواف بن عبدالعزيز، ونظرا لأهمية الموقع المحلية والعالمية، ورغبة بإبراز هذه الأهمية، تم عقد هذا المؤتمر والذي قُدمت فيه عدد من الأوراق البحثية المرتبطة بالفترة الزمنية من مختلف دول العالم، وكانت أول ورقة عن موقع الجمل.. ورغم أهمية الأوراق المقدمة، فلم تقدم ورقة تضاهي أو تماثل «موقع الجمل».

لم أكن مشاركًا في المؤتمر، إنما دعيت



حسين الخليفة يعرض صورة نحت الجمل لرئيس هيئة السياحة سابقا سمو الأمير سلطان بن سلمان لأول مرة حين اكتشافه قبل سنوات قليلة



للحضور والتكريم من صاحب السمو الملكي أمير منطقة الجوف، وتكريمٍ آخر من سمو وزير الثقافة.

- **كيف رأيتم انطباعات مشاركي المؤتمر من علماء الآثار؟**

اتضح هذا الاهتمام من خلال النقاش بعد ورقة نحت الجمل، وكذلك من خلال الحضور والاستجابة للدعوات التي قدمت أثناء المؤتمر.

- **ما أهم النتائج التي توصلتم إليها؟**

الاهتمام بالموقع، ومزيد من الدراسات له، لمعرفة كل ما يتعلق به من أسباب أدت إلى مثل هذا العمل المتميز، وتأريخ استئناس الجمل، هل كان في تلك الفترة؟

- **كانت هيئة التراث سباقة إلى الاحتفاء بموقع الجمل بالتعاون مع جامعة الجوف، هل يمكن أن نرى موقع «نحت الجمل» في قوائم التراث العالمي قريبًا؟**

أعتقد أنه ينبغي السعي لتسجيل هذا الموقع في قوائم التراث العالمي، وذلك لتفرده وتميزه وحمايته.

- **حدثنا عن موقع نحت الجمل؟**

ضم هذا الموقع منحوتاتٍ مختلفة لحيوانات، ولكن من أبرزها وأكثرها كانت لِجمال، وما يميز هذه المنحوتات حجمها المقارب للحجم الطبيعي للجمال، وكذلك الشكل البارز والدقة والإتقان بالعمل الذي يُعد نادرًا. وقد قدر تاريخها بنحو ٥٢٠٠ قبل الميلاد، اي لأكثر من ٧٠٠٠ سنة ماضية.

- **هناك عدد من المنحوتات في الموقع، هل يمكن أن تكون لها بقية أو نسخ في مواقع أخرى بسكاكا؟**

ضم الموقع عددا من المنحوتات، وحتى الآن لم يعثر على منحوتات مشابهة لها في سكاكا أو في الجزيرة العربية، أو حتى عالميًا.

- **كتبتم عن الموقع، وكنتم من أوائل الباحثين الذين كتبوا عنه، كيف ترون أهميته؟**

استشعاري بأهمية الموقع منذ اكتشافه وكتابة أول تقرير عنه، وكذلك الحرص على توثيقه والاهتمام به.

- **حافظ أهالي سكاكا على موقع نحت الجمل سنوات طويلة، وأهمهم أصحاب المزرعة أبناء عيد العودة، كيف ترون وعي الناس بأهمية المواقع الأثرية والعلمية؟**

حقيقة، كان يرتاد الموقع كثيرٌ من أهالي

سكاكا، ولكن لم يكن واضحا لهم بأن هذا الموقع أثري قبل كتابة التقرير عنه، وكذلك جاء اهتمام مالك المزرعة لاحقًا بالمكان، بدليل أن المالك قام بزراعة أشجار الزيتون، وكشط بعض الأماكن وتعقيمها بمعدات، ولكن -ولله الحمد- لم يتعرض للمنحوتات، وبعد علمه بأهمية الموقع حرص كل الحرص على المحافظة عليه.

- **ماذا يضيف موقع نحت الجمل إلى أثار مدينة سكاكا بشكل خاص ومنطقة الجوف والمملكة بشكل عام؟ وكيف ترون موقع «نحت الجمل» بالنسبة للمواقع الآثارية والحضارية بمنطقة الجوف؟**

لا أرى آثار منطقة الجوف وسكاكا بمعزل عن المملكة العربية السعودية، فنظرًا لتفرد الموقع وتميزه عالميًا فقد أضاف الموقع معلمًا جديدًا ونقطةَ جذبٍ سياحيةٍ على خريطة المملكة السياحية.

هذا الموقع أضاف حلقةً من حلقات التسلسل الزمني لمنطقة الجوف، والتي تبدأ بموقع الشويحطيه المؤرخ بمليون وثلاث مئة ألف سنة ماضية، وأصبح «موقع الجمل» أحد مراحل العصور الحجرية، ويسبق موقع الرجاجيل تاريخيًا.

- **كباحث في مجال الآثار، كيف تقيمون الجهود العلمية حول «موقع نحت الجمل بسكاكا» حتى الآن؟**

رغم ما تم من أعمال الدراسة الميدانية للموقع وما تم عمله من مجسات، وما أظهرته من نتائج في تقدير العمر الزمني، إلا إنها تعد بدايةً وانطلاقا من الدراسات والبحوث العلمية عن هذا الموقع، والإجابة عن كثيرٍ من التساؤلات مثل: لماذا الجمل؟ هل كان مستأنسا؟ هل كانت له قدسية في ذلك الزمن؟ ما سبب اختيار هذا الموقع؟ ما العوامل التي أدت إلى تنفيذ مثل هذه المنحوتات؟ جميع هذه التساؤلات تحتاج إلى مزيدٍ من الأعمال والدراسة.

- **هل يمكن أن نرى -قريبًا- مؤلفات حول «نحت الجمل بسكاكا»؟**

نعم، بإذن الله، المجال خصبٌ في الكتابة عن تلك المنحوتات (أثاريا وتاريخيًا وفنيًا).



موقع الجمل شمال مدينة سكاكا أقدم موقع نحت بارز بالعالم

■ د. خليل بن إبراهيم المعيقل*

موقع الجمل هو أحدث المواقع الأثرية المكتشفة في منطقة الجوف، يقع إلى الشمال الشرقي من مدينة سكاكا، وعلى مسافة ٨ كم من وسط المدينة، وإلى الشمال مباشرة من حي اللقائط. يعود اكتشافه إلى عام ٢٠١٦م، عندما قام المواطن محمد البخيت بتبليغ مدير مكتب الهيئة العامة للسياحة والآثار آنذاك، الأستاذ حسين الخليفة، والذي بدوره قام برفع تقرير عن الموقع للهيئة، ومنذ ذلك التاريخ بدأت إجراءات التحقق، وفي عام ٢٠١٨م كُلِّف فريق سعودي فرنسي ألماني بدراسة الموقع.

وصف الموقع

يوجد الموقع داخل إحدى المزارع الحديثة، وتحيط به مجموعة من المزارع من الجهات الأربع، يتكون من ثلاث تلال متقاربة من الحجر الرملي، نحت على واجهاتها منحوتات لجمال بالنحت البارز، وبالحجم الطبيعي للجمل. تتكون المنحوتات من ١٢ لوحة تحوي ٢١ نحتا منها ١٨ نحتا لجمال، و٣ منحوتات لحيوانات من فصيلة البغال أو الحمير. جميع اللوحات غير مكتملة وتعرضت للتآكل بسبب الظروف المناخية، وطبيعة واجهات الصخور الرملية الهشة التي تتأثر بعوامل التعرية الطبيعية. جميع اللوحات المنحوتة تساقطت أجزاء منها على سفح التلال الصخرية، عدا ثلاث منحوتات حافظت على مكوناتها بشكل كبير.

من المؤسف، أن مالك المزرعة لم يبلغ الجهات المختصة عن الموقع، وقام بتجريف محيط الموقع الأثري بالبلدوزر؛ ما أدى إلى تخريب الموقع جزئيًا، فأضاع على فريق الدراسة كثيرا من الأدلة الأثرية، وبعض كتل المنحوتات الساقطة، ما زاد من صعوبة دراسة الموقع بسبب التجريف الذي أزال الطبقة السطحية له، التي تحمل جميع الأدلة الأثرية، وبخاصة الأدوات الحجرية، والمواد العضوية، وبقايا الكتل الحجرية، التي هي جزء من الواجهات المنحوتة. ورغم الوضع

المؤلم للموقع، إلا إن فريق الدراسة استطاع العثور على بعض الأدوات الحجرية، والمواد العضوية، وبقايا البذور والنباتات القديمة، في بعض المساحات الملاصقة لسفوح التلال الصخرية التي سلمت من التجريف.

الدراسات العلمية

في عام ٢٠١٨م، كلف فريق علمي كان يعمل في دومة الجندل، بزيارة الموقع لإجراء الدراسات الأولية، وجرى توثيق مكونات الموقع، ومسح المنطقة المحيطة به، ونشرت ورقة علمية عن هذا العمل عام ٢٠١٨م. وقد وثقت نتائج الدراسة الأولية جميع مكونات الموقع الذي يتكون من ١٢ لوحة نحت بارز تحوي ٢١ نحتا لجمال وبغال أو حمير بالحجم



الدكتور خليل بن إبراهيم المعيقل الإبراهيم في موقع نحت الجمل

الطبيعي، نحتت بطريقة النحت البارز العميق، أو النحت البارز الضحل. جميع تلك اللوحات نحتت على الواجهات الصخرية المرتفعة لتلال الحجر الرملي. وقد حاول الفريق العلمي تحديد تاريخ الموقع من خلال طرق التاريخ المقارن، دون استخدام الطرق العلمية لتاريخ الموقع، وتم ربط لوحات موقع الجمل بلوحات مماثلة في ممر السيق بموقع البتراء في الأردن، والذي يعود لمملكة الأنباط، واقترح القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي تاريخا مقترحا لموقع الجمل، إلا إن هذا التاريخ المقترح تم التراجع عنه بعد إجراء الدراسات المعمقة لاحقًا.

في عام ٢٠٢٠م، تم تشكيل فريق دراسة متخصص سعودي ألماني فرنسي، يتكون من ماريا جوينن، وقولام تشارلو، وعبدالله الشارح، وبدأ فريق الدراسة بإجراء دراسات معمقة تكمل ما قام به الفريق السابق، وتم نشر عدد من الأوراق العلمية في عامي ٢٠٢١م و٢٠٢٢م، وركزت تلك الدراسات على إجراء مجسات أثرية على سفح إحدى التلال الصخرية، كشفت عن أدوات حجرية، ومواد نباتية وعضوية، استخدمت لتأريخ الموقع، إضافة لدراسة علمية على مكونات طبقة القدم على أسطح اللوحات المنحوتة.

أهمية الموقع

نتائج الدراسات التي تمت على موقع الجمل تؤكد أن الموقع فريد، ويعد أقدم موقع للنحت البارز في العالم، والذي يعود لفترة العصر الحجري الحديث، ويعكس مستوىً فنيا متقدما؛ ما يؤكد أن الفنان أو الفنانين الذين قاموا بنحت تلك اللوحات لديهم قدرات فنية عالية، وهذا يتضح من خلال اهتمامهم بتفاصيل دقيقة في عملية النحت، مثل إبراز

عضلات جسم الحيوان، وتفاصيل أجزاء جسمه، ونحت العيون، وأجزاء الفم بدقة. هذه المنحوتات تؤكد أن المجتمع الذي أنتجها مجتمع على مستوى من التحضر والتذوق الفني العالي، ولا شك أن ذلك يرفع من قيمة هذه المنتجات الفنية، ويعكس مستوى الحضارة شمالي الجزيرة العربية في هذه المرحلة المبكرة من تاريخ الحضارة الإنسانية.

تاريخ موقع الجمل

الدراسة الأولى التي نشرت عام ٢٠١٨م عن الموقع حاولت تأريخ الموقع، وأرجعته إلى العصر النبطي رغم اعتراف الفريق أن تحديد تأريخ الموقع يحتاج إلى إجراء دراسات علمية معمقة على المواد الأثرية المكتشفة.

في عامي ٢٠٢١ و٢٠٢٢م، تم نشر ثلاث دراسات عن موقع الجمل، ناقشت تاريخ الموقع والتقنيات التي استخدمت في عمليات النحت. ولتحديد تاريخ دقيق لموقع الجمل، تم استخدام طرق عديدة لتاريخ الموقع، للوصول إلى تحديد دقيق للفترة الزمنية التي يعود إليها الموقع؛ ورغم صعوبة هذا الأمر، فقد استخدم الفريق عدة طرق علمية، أولها تاريخ المواد النباتية والعضوية التي عثر عليها في المجسات التي حفرت على سفح إحدى التلال الصخرية، وذلك باستخدام تقنية قياس الكربون١٤، وثاني الطرق العلمية التي استخدمت هي قياس كثافة مكونات طبقة القدم التي تكونت على أسطح المنحوتات، من خلال قياس كثافة ترسب عنصري المنجنيز والحديد، وذلك باستخدام جهاز XRF أشعة X لقياس الطيف الضوئي، وهذه التقنية تحدد تاريخ طبقة القدم، بناء على كثافة تكون مواد الطبقة. كذلك تم استخدام دراسة الأدوات الحجرية التي عثر عليها من خلال الدراسة المقارنة التي حددت تاريخها الى فترة العصر الحجري الحديث.

لقد أظهرت دراسة طبقة القدم المتكونة على أسطح المنحوتات أنها تحتاج إلى ثمانية آلاف عام لتتكون. نتائج الكربون ١٤ أرَّخت المواد النباتية والعضوية للفترة بين ٥٢٠٠ و٥٦٠٠ قبل الميلاد، وهذا التاريخ يتوافق مع تاريخ الأدوات الحجرية، وكذلك يتوافق مع

تاريخ طبقة القدم؛ لذلك فإن الأدلة المجمّعة أكدت أن الموقع كان مستخدمًا في منتصف الألف السادسة قبل الميلاد، وبناء على نتائج عينات الكربون ١٤ فقد أرَّخ موقع الجمل إلى ٥٢٠٠ قبل الميلاد.

مؤتمر موقع نحت الجمل ٢٠٢٢م

لأهمية هذا الكشف العلمي، قامت هيئة التراث مشكورة بعقد مؤتمر عالمي لتسليط الضوء على هذا الموقع المهم، ودعت له أبرز العلماء المتخصصين في مجال الرسوم والنحت الصخري. وقد عقد المؤتمر وافتتح تحت رعاية كريمة من صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن نواف بن عبدالعزيز آل سعود، أمير منطقة الجوف يوم ٢٨ سبتمبر ٢٠٢٢م في رحاب جامعة الجوف، لمدة يوم واحد، عقدت خلاله ست جلسات علمية، شارك فيها فريق موقع الجمل وعدد من الباحثين من العالم العربي وأوروبا وآسيا وأمريكا الجنوبية.

عَقدُ هذا المؤتمر مثَّلَ تدشينا عالميا لهذا الموقع المهم والأقدم على مستوى العالم، وهذا وعيٌ مرتفع بأهمية الموقع من قبل هيئة التراث بوزارة الثقافة.

علاقة الموقع بالمواقع الأخرى في منطقة الجوف

اكتشاف موقع الجمل رغم أهميته الكبيرة، كونه أقدم موقع للنحت البارز في العالم، إلا إن الموقع يُحتم إجراء مزيد من الدراسات العلمية المعمقة للإجابة عن كثيرٍ من الأسئلة التي برزت بسبب هذا الموقع البالغ الأهمية.

ولعل السؤال الأبرز: أين مجتمع موقع الجمل الذي أنتج هذا الفن الراقي في تلك المرحلة الزمنية المبكرة؟ إن وجود موقع بهذا الثراء الفني يؤكد وجود مجتمع بلغ مستوىً عاليا من التحضر، وهذا يجعل البحث عن مواقع الاستقرار القريبة من موقع الجمل، نظرًا لقربه من مواقع أخرى مثل موقع الرجاجيل، الذي أثبتت الدراسات أنه يعود لمرحلة متأخرة من فترة العصر الحجري الحديث، وهل هناك علاقة بين موقع الجمل وموقع الرجاجيل رغم الفوارق الزمنية بين الموقعين بناء على الدراسات الحالية، والتي تحتاج لمزيدٍ من التركيز والتوسع لبحث إمكانية ربط الموقعين؟

السؤال الثاني يرتبط بموضوع فترة استئناس الجمل والتي ترجعها الدراسات السابقة إلى فترة الألف الثانية قبل الميلاد، هل اكتشاف موقع الجمل الذي أُرخ لفترة الألف السادسة قبل الميلاد يحتاج من الباحثين إعادة النظر في فترة استئناس الجمل؟

المراجع:

1- The art of rock relief in ancient Arabia new evidence from the Jawf Province. Guillaume Charloux، Hussain al-Khalifah، Thamer al-Makiki، Romain Mensan and Ronald Schwerdtner Antiquty،vol.92،no.361.Feb.2018

2- Life-sized Neolithic camel sculptures in Arabia: A scientific assessment of the craftsmanship and age of the Camel site reliefs. Maria Guagnin،Guillaume Charloux، Abdullah M.AlSharekh، Remy Crassard، Yamandu H.Hilbert. Meinrat O.Andreae، Abdullah AlAmri، Frank Preusser، Fulbert Dubois، Frank Burgos، Pascal Flohr، Pascal Mora، Ahmad AlQaead، Yasser AlAli. Journal of Archeological Science:Reports، 2021

3- Monumental Sandstone reiiefs from the Neolithic: new Insights from the Camel site in Saudi Arabia. Maria Guagnin، Guillaume Charloux، Abdullah AlSharekh Near East Today،2022

* رئيس جامعة حائل سابقا.

موقع نحت الجمل
اكتشافٌ يثير الأسئلة ويضع علامات الاستفهام



■ د. فهاد معتاد الحمد*

يمثل موقع نحت الجمل بمدينة سكاكا أحدث الاكتشافات الأثرية المهمة في منطقة الجوف، التي تعد من أغنى مناطق المملكة بالآثار والفنون الصخرية التي تعود للحضارات الإنسانية القديمة؛ فمحافظة دومة الجندل - التي يرتبط اسمها عادة بحصن مارد المشهور - تزخر بمعالم أثرية ما تزال قائمة وصامدة، شاهدة على عمق تاريخها.

ومما يتفق عليه المختصون وخبراء التاريخ والآثار أن دومة الجندل ظهرت في العهد الآشوري، وذلك في القرنيين الثامن والسابع قبل الميلاد، إذ كانت تعرف آنذاك بـ (أدوماتو). ويعتقد بأن العرب الوارد ذكرهم في النصوص الآشورية هم القبائل العربية التي استوطنت دومة الجندل. ويذكر المؤرخون أن دومة الجندل كانت المنطلق للكتابة بالخط العربي، وذلك عندما قام بِشر بن عبدالملك الكندي (شقيق أكيدر الكندي، حاكم دومة الجندل) بنقل خط الجزم (الخط العربي) إلى قريش في مكة، وتعليمهم إياه.

ولربما كان لهذا البعد التاريخي والثقافي لدومة الجندل دور لتكون ضمن الاثنتي عشرة مدينة من مدن المملكة، التي أعلن صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان ولي العهد، ورئيس مجلس الوزراء (حفظه الله) في ٣ أكتوبر ٢٠٢٢م عن خطة لإنشاء مراكزها الحضرية وتطويرها.

أما موقع أعمدة الرجاجيل، فهو من أقدم المواقع الأثرية بالمنطقة، يقع في ضاحية قارا إلى الجنوب من مدينة سكاكا، ومن المرجّح أنه يعود إلى الألف الرابع قبل الميلاد؛ ويضم مجموعات من الأعمدة الحجرية، تتكون كل مجموعة منها من ثلاثة إلى سبعة أعمدة، وترتفع لثلاثة أمتار تقريبا. وليس هناك اتفاق بين علماء الآثار حول غايات هذا الموقع ووظيفته؛ فبينما يرى بعضهم أنه ربما يمثل مركزا دينيا، يرى آخرون أنه قد يكون أحد الأشكال الاستدلالية لعلم الفلك.

وتحتضن منطقة الجوف عددًا من

الآبار الأثرية، لعل أهمها بئر سيسرا المنحوتة في الصخر على مسافة قصيرة من قلعة زعبل التاريخية بمدينة سكاكا. تعود هذه البئر إلى العصر النبطي ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي، وكانت هذه البئر تسقي المناطق الواقعة شرقيها وجنوبيها بواسطة قنوات محفورة تحت الأرض، متصلة بفتحة من الجهة الشرقية للبئر. ومما يعزز المكانة التاريخية للمنطقة ما كشفت عنه فرق المسح الميدانية من أن قرية الشويحطية التي تقع على بعد ٤٥ كم تقريبا شمالي مدينة سكاكا، تُعد أقدم مستوطنة بشرية في آسيا، وثاني أقدم مستوطنة على مستوى العالم، إذ يعود تاريخها إلى ما يزيد على مليون وثلاثمائة عام قبل الميلاد.

يأتي موقع نحت الجمل بكونه أحدث الاكتشافات الأثرية المهمة الذي أعلن عنه عام ٢٠١٨م. بيد أن الجهات المعنية المسؤولة أدركت الحاجة لإجراء دراسات وأبحاث متعمقة تتناسب وحجم الاكتشاف وأهميته، فكونت فريقا عالميا من المختصين في المملكة والعالم للقيام بذلك. وفي ضوء ما انتهى إليه الفريق من نتائج علمية مهمة، رأت هيئة التراث أهمية أن يتم إشهار الموقع علميا وثقافيا وإعلاميا، وقد وفقت الهيئة في تحقيق ذلك، فكان الإشهار بمثابة تظاهرة ثقافية وعلمية تليق بأهمية الموقع في التاريخ الإنساني عموما. فنظمت هيئة التراث مؤتمرا علميا بعنوان «موقع نحت الجمل وأهميته الثقافية من منظور عالمي» بتاريخ ٢٨ سبتمبر ٢٠٢٢م بجامعة الجوف، وبمشاركة نخبة من علماء الآثار والباحثين في الشأن التراثي والثقافي على المستويين العربي والعالمي، كما دعت الهيئة عددا من المهتمين، تشرفتُ بأن أكون أحدهم. قُدمت في المؤتمر النتائج التي توصل إليها الفريق العلمي العالمي عن الموقع، وعشرة أوراق علمية أخرى من عدة دول حول فن النحت الصخري. وقد بينت نتائج دراسة الفريق العلمي أن الموقع يعد من أقدم مواقع نحت الحيوانات المجسمة بالحجم الطبيعي في العالم، قدر تأريخها للعصر الحجري الحديث ما بين ٥٢٠٠ - ٥٦٠٠ سنة قبل الميلاد .ويضم الموقع واحدا وعشرين مجسما، منها سبعة عشر نحتا مجسما لجمال، والباقي لحيوانات أخرى. وقدم العلماء والخبراء الآخرون في مجال الفنون الصخرية من عدة دول خلاصة نتائج دراساتهم وتجاربهم، مع مقاربات لما توصلوا إليه، مع ما تم الانتهاء إليه من نتائج في موقع نحت الجمل، منوهين بالأبعاد الحضارية والثقافية؛ ما خلق جوا من تلاقح الأفكار، وأبرز أهمية الاستفادة من الخبرات والممارسات العالمية في مجال التراث والثقافة. وفي إطار هذه التظاهرة الثقافية، نظمت هيئة التراث مساء ذات اليوم أمسية ثقافية عند قلعة زعبل تضمنت بعض الفنون الشعبية وعرضا مرئيا عن موقع نحت الجمل، كانت الواجهة الجنوبية لجبل زعبل (الضلع) الذي تنتصب القلعة على قمته هي شاشة العرض فيه؛ ما أعطى الإحساس بتداخل العصور، إذ امتزج كل من العصر الحجري والتاريخ الحديث مع الحاضر لدرجة أن المشاهد المشدوه لا يدري هل هو مَن رحل إلى التاريخ أم أن التاريخ جاء إليه!

تبين لنا في الموقع أن المنحوتات مقامة

في ثلاثة نتوءات صخرية، وأن بعضها قد تأثر بعوامل التعرية على مرّ العصور، كما أن هناك قطعا صخرية منحوتة سقطت على الأرض من النتوءات الأصلية. هذه المنحوتات تعكس مستوىً متقدما من المهارة الفنية؛ ما يُشعرك بالضآلة وأنت الذي درست الفن ودرّسته لنحو عشر سنوات أمام عظمة هذا الإنجاز الفني البديع والدقيق الذي يعود لأكثر من ثمانية قرون خلت.

بعد انحسار الدهشة والعودة للسكينة، بدأ العقل بطرح الأسئلة ووضع علامات استفهام كبيرة، ومن ذلك:

- هل نحن أمام حالة منفردة أم جزء من فضاء، نحتاج إلى معرفته وسبر أغواره؟
- لماذا الجمل هو الحيوان المهيمن في هذا الموقع؟
- وفقا للباحثين أعضاء الفريق العلمي، ومن واقع الشكل الذي بدت عليه الجمال المنحوتة، فإن الجمال لم تكن مستأنسة آنذاك، فما دلالة ذلك؟ وما الهدف من نحتها ولأي غرض؟
- من هم الناس الذين قاموا بهذا الفن؟ وما طبيعة حضارتهم ومستواها؟

هذه الأسئلة وغيرها تحتاج من هيئة التراث وعلماء الآثار المختصين المزيد من الأبحاث والدراسات والتعامل مع هذا الاكتشاف المهم، بوصفه يطرح العديد من الأسئلة، ويعد نقطة البداية وليس النهاية!



د. فهاد الحمد، د. حمد المانع، د عبدالواحد الحميد

* وزير الاتصالات وتقنية المعلومات سابقًا، وباحث.

موقع نحت الجمل
وإعادة كتابة تاريخ الجزيرة العربية القديم

■ د. هتون أجواد الفاسي*

كُشف في منطقة الجوف عن موقع فريد في نوعه على مستوى العالم، إلى الشرق من سكاكا لمنحوتات جمال وخيول بالحجم الطبيعي وأكبر، ثلاثية الأبعاد، بلغت ٢١ حيوانا، وقد أطلق عليه اسم «موقع نحت الجمل». ويعود اكتشاف الموقع الواقع في أرض أحد المواطنين من آل عودة، من قبل أحد المواطنين الذي ذكره عام ٢٠١٠م لمدير الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني بالجوف سابقا حسين الخليفة، الذي تنبه لأهميته وكتب فيه عدة تقارير. ومن ثم قامت إدارة الآثار بمسمياتها المختلفة عبر السنوات منذ ذلك التاريخ بمحاولة الكشف عن هذه الموقع وتأريخه ودراسته.

ويعد عام ٢٠١٦م هو عام إثبات الموقع والإعلان الرسمي عنه. ومن ثم خصصت هيئة التراث في وزارة الثقافة لهذا الموقع فريقا بحثيا من مختلف البلدان والتخصصات في العصور الحجرية وما بعدها، ممن يمكنهم دراسة هذا الموقع والوصول إلى المحددات المطلوبة، مثل: إلى أي فترة تاريخية يعود هذا العمل؟ ما قيمته؟ ما حجمه؟ مَن الذي صنعه/نحته/حفره؟ والأدلة على ذلك، وما الغرض منه؟

وقد استطاع الفريق البحثي المكون من سعوديين وفرنسيين وألمان وبريطانيين وإيطاليين من تحديد عدد من المنحوتات والمجسمات الثلاثية الأبعاد، منها ١٧ لجمال، واثنتين لخيليات، وواحد غير محدد، بعضها أكبر من الحجم الطبيعي. وبعد مقارنات طويلة لمعثورات حجرية، ومقارنة الأسلوب الفني بمناطق أخرى في المملكة وخارجها، تمكّن الفريق من تأريخ العمل النحتي إلى الألف السادسة ق.م. أي الألف الثامنة قبل الفترة المعاصرة. إن ما تبقى من هذا الأثر ينبئ عن عمل ضخم قام به إنسان العصور الحجرية الحديثة بكل مهارة، على الأرجح بشكل جماعي ضمن ما يعتقد أنه موقع ملتقى سنوي للقبائل.

وبعد تثبيت وزارة الثقافة ممثلة في هيئة التراث، للنتائج في المجلات العلمية المرموقة مثل The Ancient Antiquity،‌ Near East Today، Journal of Archaeological Science، Archaeological and Anthropological Sciences, Proceedings of the Seminar for Arabian Studies، نادت للمؤتمر العالمي الذي عقد بالتعاون مع جامعة الجوف بين ٢٨ و٣٠ سبتمبر الماضي ٢٠٢٢م «موقع نحت الجمل وأهميته الثقافية من منظور عالمي»، والذي طرح الكثير من الأسئلة، وأجاب على الكثير.

ولعل السؤال الكبير هو ما دلالة هذا الكشف؟

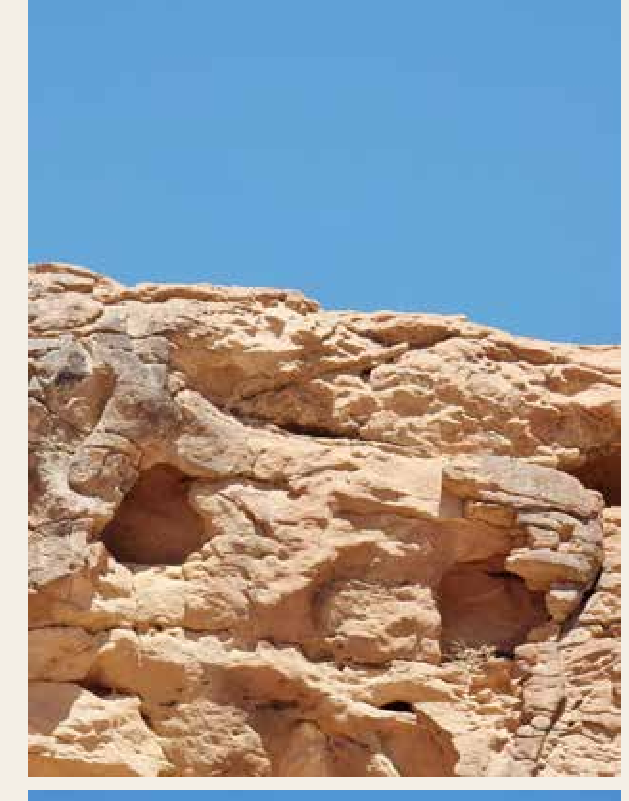
ويمكن القول بأن أهم ما يمثله هذا الموقع هو إعادة تأريخ استئناس الجمل، إذا اعتبرنا أن هذه المجسمات كانت لجمال مستأنسة. وفي الواقع، فإن كل معادلةِ فهمنا للتاريخ القديم لاسيما خطوط تجارته وعلاقاته الاقتصادية كانت تقوم على مبدأ تأريخ استئناس الجمل، الذي مكّن إنسان الجزيرة العربية القديم من استخدام الطرق البرية الصحراوية، لاسيما مع زحف التصحر وزيادة جفاف المنطقة.

كان التأريخ القديم يقول باستئناس الجمل في الألف الثانية أو الثالثة ق.م. في جنوبي الجزيرة العربية، فكيف بنا اليوم وهذا الموقع يعود بنا أربعة آلاف سنة إلى الوراء؟ لا يمكنني تخيّل ما ينبغي علينا إعادة تصوره والتاريخ الذي نحتاج لإعادة كتابته، بناء على هذا الاكتشاف؛ فهناك الكثير مما يفتح الباب على مصراعيه أمام المؤرخين والآثاريين ووزارة الثقافة بكل أطرافها، لتعيد دراسة تاريخ الجزيرة العربية القديم في سياق التأريخ الجديد لاستئناس الجمل.

وسؤال آخر حول مكانة الجمل في هذه المنحوتات، هل كانت تمثل كائنات مقدسة أم كائنات يومية التعامل؟ لقد عرف عرب ما قبل الإسلام آلهة القوافل، مما يرمز لها عادة بالجمال، فهل لهذه الجمال صلة بهذا المفهوم؟ مع الأخذ بعين الاعتبار دلالة الأحجام الضخمة لهذه المجسمات، والتي تتشابه مع بعض الرسومات لجمال في مناطق أخرى من النفود، سواء في جبة أو حائل أو شويمس أو خيبر، مما استعرضه الباحثون أيضا في مقالات أخرى.

إن العمل الحثيث الذي تقوم به وزارة الثقافة مهمٌّ في إعادة تشكيل خريطة التاريخ القديم في الجزيرة العربية؛ فالبعثات الأثرية الأجنبية تجوب جبالنا وصحارينا وبحارنا ووديานا في كل مكان ذي قيمة، مما كنا







نطمح إلى أن نراه من عقود طويلة وقد تحقق جزءٌ كبيرٌ منه اليوم. إن ما نحتاجه في هذه المرحلة مع هذا الانفتاح الكبير، هو تطوير آلياتنا البحثية المحلية في جامعاتنا وأقسام آثارها وتاريخها، حتى يمكنها تولي زمام دراسة هذه المواقع اللامتناهية، فما يزال عدد الباحثين والباحثات المشاركات في البعثات الأثرية الأجنبية محدودا في مقابل باحثين أجانب ذوي مهارات علمية عالية، سواء في علوم الآثار الحجرية القديمة، أو الفنون الصخرية، أو دراسة العظام البشرية والحيوانية، حتى من طلابهم.. ممن يرافقون أساتذتهم في البعثات الأثرية لاستكمال درجاتهم العلمية وتكوين خبراتهم العملية في مغاورنا ومعاملنا.

الجوف تمثل أحد أهم المواقع التاريخية التي تثرينا كل يوم بتنوعها الحضاري وعمقها التاريخي. فبوابة شمالي الجزيرة العربية لا شك أنها تمثل أحد أهم التجمعات البشرية للتحضر والعمران وللمرور وبناء العلاقات. كانت السيطرة على هذه الواحة بقلاعها وحصونها وملكاتها وكاهناتها أحد الأهداف العسكرية لإمبراطوريات بلاد الرافدين من آشورية وبابلية، الطامحة إلى السيطرة على طرق قوافل بخور الجزيرة العربية وسلعها الثمينة.

لم يكن شيئا من هذا ممكنا لولا.. سفينة الصحراء.

---

* زميلة فخرية لدراسات اللغة العربية والشرق الأوسط بجامعة مانشستر.

نحتُ الجَمل بين الظاهرة الثقافية والتظاهرة العلمية

■ م. صالح بن ظاهر العشيش*

النحت أحد أقدم الفنون التي رافقت الإنسان منذ فجر الخليقة، إن لم يكن أقدمها، لسبب واضح، هو أن مادة هذا الفن موجودة قبل خلق الإنسان، وهي الصخور مادة تكوين الجبال.

هذا الفن ثلاثي الأبعاد يعد شهادة مادية على تأريخ أثر وحفظه، وهو فن يصنع بأسلوبين.

١-نحت بارز، بإزالة ما حول الشكل المراد، وهو في الغالب يُستخدم لتجسيد الحيوانات ورسم الصور والأشكال.

٢-نحت غائر، بإزالة جزء من المادة داخل الشكل المراد، وتصبح غائرة عما حولها. وهذا الغالب يستخدم للتدوين أو الترميز.

استخدم النحت في العصور السحيقة لأغراض شتى، منها:

١) تجسيد أفكار.

٢) توثيق حضور ووجود.

٣) إبراز منجزات حضارة (مساكن كاملة، أو تطوير غيران وكهوف وفن معماري محلي).

٤) تعبير عن حدث أو تخليد له.

٥) تعبير عن نمط حياة (زراعة، ثروة حيوانية، أزياء، عادات اجتماعية، طقوس دينية، عمارة محلية).

ويمتاز هذا الفن عن غيره من الفنون التشكيلية الأخرى بخاصية اللمس.

والنحت على الصخور يكسب المنحوت الحفظ والبقاء لقرون زمنية عديدة، تُمكّن الباحثين من استنباط الشيء الكثير عن حضارات موغلة في القدم لولاها لما عرفنا وجودها فضلا عن دراستها.

ينظر الدارس المعاصر للنحت على الصخور في العصور والأزمنة الغابرة بنظرة إكبار وإعجاب، كون الناحت لم يكن لديه أدوات جاهزة ومهيئة تساعده على النحت، بل إنه صنع أدوات النحت من الصخور عينها، وباستخدام الصخور نفسها خصوصًا في البدايات، وهنا تكون المشقة والمعاناة التي غلبتها الإرادة والعزيمة.



موقع نحت الجمل بسكاكا

تميز النحت على الصخور والجبال في الغالب بالنوع البارز لتجسيد رسم الحيوانات والطيور والإنسان وغيرها، وهذا النوع يحتاج إلى إحساس مرهف ودقة هندسية، وعظيمها ما كان بالحجم الطبيعي، ومنها نحت الجمل (موضوع هذا المقال) والمكتشف حديثا في مدينة سكاكا بمنطقة الجوف شمال غربي المملكة العربية السعودية، وما صاحب هذا الاكتشاف من تظاهرة علمية مُستحقة.

تم اكتشاف هذا النحت من قبل ثلاثة شبان من المنطقة درسوا علم الآثار وعلموا أهمية هذا الموقع، وهم بدورهم أبلغوا مسؤولي التراث في المنطقة عن الموقع، وهؤلاء بدورهم لفتوا نظر هيئة الآثار في المملكة، وقد تم تشكيل فريق لعمل دراسة علمية، ضمَّ جهات وطنية أكاديمية ذات اختصاص، مع دعوة هيئات عالمية متخصصة وباحثين مستقلين من عدة دول.استخدمت في هذه الدراسة أدوات وأجهزة علمية متقدمة لتحديد عمر هذه المنحوتات، وامتدت دراسة الموقع على مدى عامين من الزمن.

تم تتويج هذه الجهود بالملتقى العلمي الذي عقد في رحاب جامعة الجوف في شهر ربيع الأول من العام ١٤٤٤هـ، المصادف لشهر أيلول من عام ٢٠٢٢م تحت مسمى «المؤتمر العلمي: موقع نحت الجمل وأهميته الثقافية من منظور عالمي». وجرى في هذا الملتقى تقديم اثنتي عشرة ورقة علمية في ثلاث جلسات.

هذا الاكتشاف أماط اللثام عن سبعة عشر نحتا بارزا للجمال بالحجم الطبيعي وحيوانات أخرى، وكان تأثرها نتيجة تعرضها لعوامل التعرية متفاوتا، إذ بينت نتائج تلك الدراسة إلى أن هذه المنحوتات يعود زمنها إلى ما بين أربعة آلاف سنة، وخمسة آلاف سنة قبل الميلاد، وهو ما يسمى بالعصر الحجري.

هذا يضع موقع نحت الجمل في مصاف

أقدم المواقع في العالم إن لم يكن أقدمها؛ ما يجعله يضفي ثراء معرفيا مهما على المكان، ويستنهض علماء الآثار على المزيد من عمليات البحث والتنقيب في أماكن أخرى قد تكون عديدة في هذه المنطقة من المملكة العربية السعودية، ويضع منطقة الجوف على خريطة الآثار العالمية وفي موقع متقدم.

هذا الاكتشاف ينبئ عن وجود استيطان دائم في هذه البقعة من شمالي المملكة، ووجود حضارة مزدهرة في الزمن السحيق؛ لأن فن النحت على الصخور والجبال هو إفراز لحضارة كانت مزدهرة في زمنها، وهذا الاستيطان وتلك الحضارة بالتأكيد ليست بمعزل عن حضارات أخرى قربت منها أو بعدت، لأن فن النحت على الجبال وبالحجم الطبيعي يأخذ زمنا طويلا، وربما كان هناك نحت بدأ في زمن، وتم اِستكماله في زمن آخر غير زمن البدء.

ونحت الحيوانات دليل على أهمية تلك الحيوانات الاقتصادية والمعيشية والحياتية في ذاك الزمن، وهذا يعني أن الاستيطان لم يكن عابرا، بل حاضرة ماكثة؛ لأن هذا الفن يتطلب وجود نُحّات مهرة، ووجودهم يتطلب منظومة تعلمية تدريبية يعززها وعي حضاري ورغد في العيش.

لا جدال في أهمية الآثار من حيث القيمة التاريخية والتراثية والإنثروبولوجية وغيرها، ولكون الاكتشاف تم، والدراسة العلمية أنجزت، وتسليط الضوء الإعلامي حصل، يبقى الخطوة التالية.

هذه الخطوة تتمثل في توظيف الآثار في المنطقة، وفي مقدمتها موقع نحت الجمل في تنمية الاقتصاد المحلي الممثلة بالسياحة وجلب الاستثمار لهذه المواقع وما حولها. وهذه التنمية تتطلب عدة مبادرات منها ما يخص النحت نفسه بالحفاظ عليه واستدامته، ومنها ما يخص ما حول الموقع، ومنها العوامل المساندة التي تتطلبها صناعة السياحة وجلب الاستثمار، ومن تلك:

- سن التشريعات التي تجذب الاستثمارات لما يناسب هذه الآثار مع الحرص على المحافظة عليها.
- تدريب أدلاء مسلحين بالعلم والمعرفة.

لقد عُنيت كثير من الدول على استثمار مواقعها الأثرية سياحيا بزيادة مواردها الاقتصادية من خلال صناعة سياحة أثرية مثل:

- إيجاد منافذ بيع لمنتجات المنطقة.
- إيجاد صناعة خفيفة قائمة على الآثار واحتياجاتها.
- إيجاد أماكن للراحة وتناول الأطعمة الخفيفة والمشروبات الباردة والساخنة.
- إيجاد مكان لشاشة عرض مخصصة لتاريخ الموقع وأهميته مع الشرح، وإمكانية تدوين الملاحظات والاستنتاجات.

وبهذا نكون قد أوجدنا تنمية اقتصادية تحد من البطالة، وتنمية علمية ومعرفية، واستدامة لتلك الآثار.

---

* مهندس استشاري، مؤلف وكاتب من الجوف.

«نحت الجمل» في الجوف
و ردم الفجوات المعرفية بين الحضارات

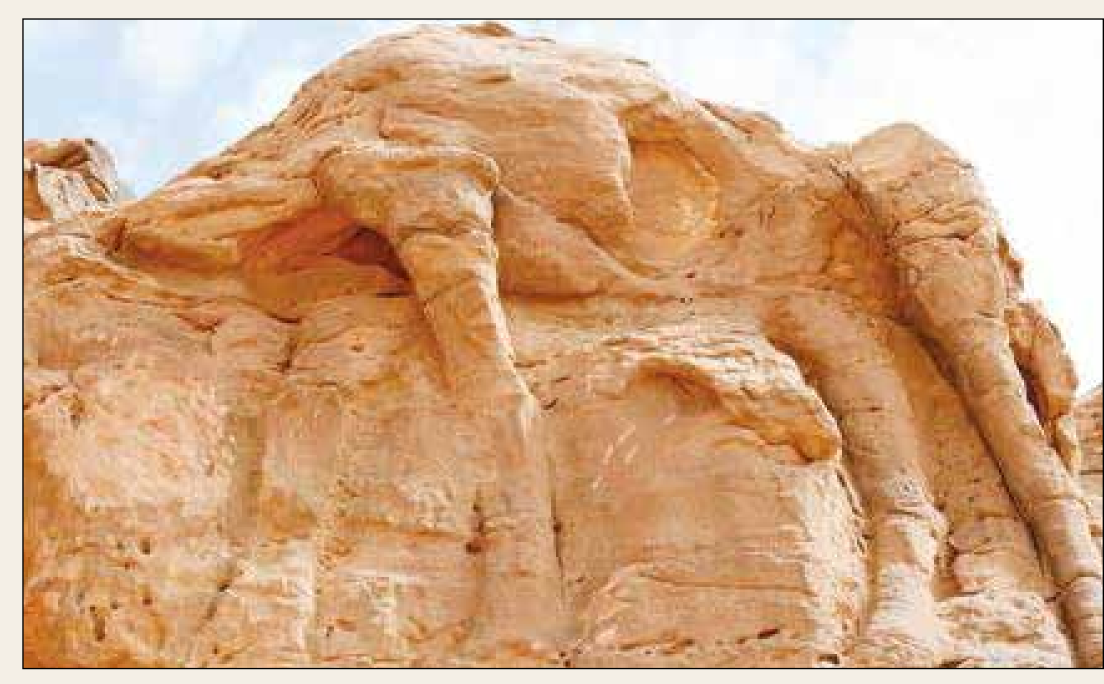
■ عبداللطيف الضويحي*

ليس هناك قاعدة معيارية نحتكمُ إليها حين تضطرنا قراءة التاريخ لأن نتموضع زمنيا في الزاوية الصحيحة. فقراءة التاريخ وفهمه، فضلا عن كتابته، عمليات تتطلب الهجرة والإقامة خارج حدود الزمن الحاضر.

ومن أصعب تحديات القراءة التاريخية، القدرة على القراءة ما بين المراحل التاريخية، والقدرة على سد الثغرات الكثيرة والكبيرة بين كل محطة تاريخية وأخرى؛ إلى جانب القدرة على وصل ما انقطع معرفيًا بين الحلقات الزمنية الأفقية والرأسية؛ لكن الفجوات المكانية بين المواقع الأثرية التي تمثل حضارات سادت ثم بادت، لا تقل صعوبة فيما تفرضه من تحديات، عن الفجوات الزمنية أو الفراغات المعرفية بين الكثير من المحطات التاريخية. من هنا، تبرز القيمة المعرفية والعلمية التي تمثلها أي اكتشافات آثار ومواقع أثرية، وذلك للإسهام في ردم ما يمكن ردمُه من فراغات معرفية وفجوات متفاوتة المساحات الزمنية والجغرافية في الحضارة الإنسانية.

من هنا، نشارف على فهم أهمية اكتشاف موقع نحت الجمل في منطقة الجوف؛ ومن هنا، تتأتى أهمية عقد المؤتمر العلمي «موقع نحت الجمل وأهميته الثقافية من منظور عالمي»، والذي نظمته هيئة التراث في منطقة الجوف، برعاية سمو أمير منطقة الجوف الشهر الماضي.

هناك جوانب مفهومة وأخرى مجهولة تحيط بالأهمية الكبيرة لاكتشاف «نحت الجمل». منها أن الموقع يقع في منطقة الجوف التي تعد من أغنى مناطق المملكة والجزيرة العربية ككل، بل أصبحت المواقع الأثرية في الجوف جزءًا لا يتجزأ من الهوية الثقافية الاقتصادية السياحية لمنطقة الجوف؛ لذا، فإن أي كشف أثري في منطقة الجوف يسهم مباشرة في ردم فجوة معرفية بين الحضارات التي تعاقبت على هذه المنطقة عبر الزمن، سواء ما هو مكتشف منها أو ما هو طي المجهول حتى الآن.



نحت مهيب للجمل بسكاكا

الجانب الآخر في أهمية كشف نحت الجمل، هو نوع الموقع.. والمتمثل بالمنحوتات الصخرية لمجسمات الإبل بحجمها الطبيعي وبأبعاد بارزة وملموسة. كما أن المؤتمر جاء بالتزامن مع نشر نتائج الدراسات العلمية التي تقوم عليها هيئة التراث بالشراكة مع الخبراء والباحثين والمختصين في مجال الفنون الصخرية من مختلف دول العالم، بالتعاون مع المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي، وجامعة برلين الحرة وجامعة أكسفورد.

كما أن هذا الاكتشاف يكتسب أهمية استثنائية، ربما لتزامنه ومواكبته للحراك الكبير الذي تعيشه المملكة العربية السعودية منذ الإعلان عن إطلاق رؤية المملكة ٢٠٣٠، وما صاحبها من تحولات عميقة شملت قطاعات متعددة، وأسهمت إسهاما مباشرا في رفع الوعي العام في الكثير من معطيات الحياة، بما فيها قيمة الاكتشافات الأثرية والمواقع، وما يترتب عليها ويتصل بها من نشاط سياحي وثقافي.

في الختام، أتمنى أن تتبنى مجلة أدوماتو -وهي المجلة المرموقة والمتخصصة في الآثار- مؤتمرًا علميا للبناء على ما توصل إليه «مؤتمر موقع نحت الجمل» في ردم الفجوات وسد الثغرات، رسم خريطة زمنية حضارية للمنطقة ككل، بما يسهم بإعادة كتابة تاريخ يربط ويصل ما انقطع من فترات زمنية معرفيًا بين بعض الممالك والحضارات التي عاشتها الجوف والمنطقة ككل، وصولا إلى أقرب قراءة حضارية.

* كاتب سعودي - الجوف.

أهمية موقع نحت الجمل بمنطقة الجوف

■ د. نواف بن ذويبان الخالدي*

تقع الصخور التي عُثر فيها على نحوت الجمال والخيليات والحيوانات في منطقة الجوف بمكان يسمى شعبيا (المركزات) في مدينة سكاكا، على مسافة عشرة أميال شرق وسط سكاكا بضاحية اللقائط، بأطراف مزرعة المواطن/ لافي بن عيد القيضي، وقد تم اكتشاف المنحوتات عام ٢٠١٦م، حيث اهتم بها مدير السياحة آنذاك الأستاذ حسين الخليفة الذي أدرك بخبرته وتخصصه أن هذا الموقع له شأن وقيمة غير عادية، فخاطب وزارة السياحة، ثم استغل وجود بعض المختصين بالآثار، والذين يجرون بعض الدراسات في موقع بدومة الجندل، وطلب من الدكتور غيوم شارلو -فرنسي- ورئيس الفريق السعودي الأستاذ ثامر المالكي زيارة موقع نحت الجمل، وقد تأكد لديهم أهمية الموقع وتميزه. وبعد ذلك باشرت هيئة التراث مشكورة بإجراء دراسات علمية بالشراكة مع باحثين من جامعة الملك سعود، والمركز الفرنسي للأبحاث، وجامعة برلين الحرة، وجامعة أكسفورد، وقام فريق علمي متخصص بقيادة الدكتور غيوم شارلو المتخصص في الآثار، والدكتورة ماريا غوانين -ألمانية بريطانية، المتخصصة في نقش الحيوانات في بيئة ما قبل التاريخ في الصحراء الليبية، والدكتور عبدالله الشارخ -سعودي، المتخصص في آثار ما قبل التاريخ- فأكدوا وجود المنحوتات الصخرية للإبل والخيليات، وأنها تعود لفترة العصر الحجري الحديث ما بين (٥٢٠٠-٥٦٠٠) سنة قبل الميلاد.

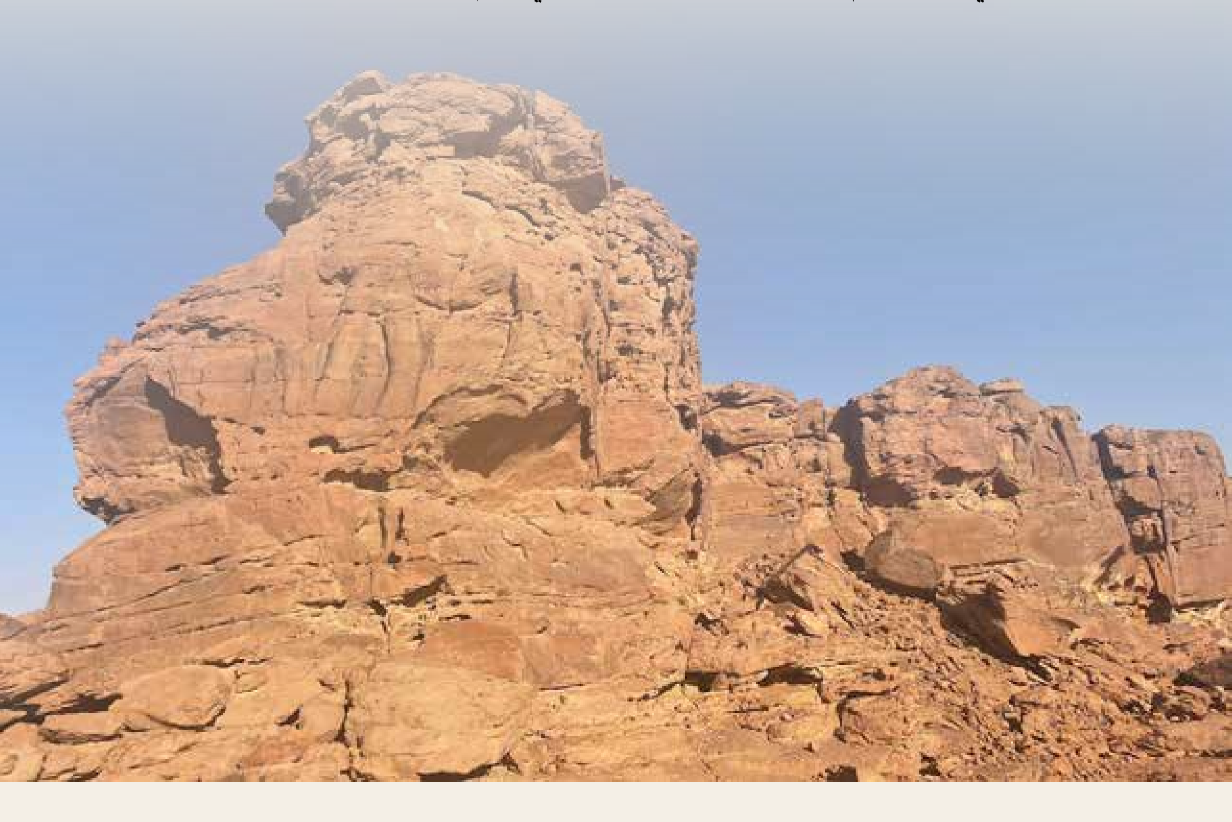
وعلى أثر ذلك أعلنت هيئة التراث رسميا عام ٢٠٢١م اكتشاف موقع نحت الجمل بالجوف، كأحد أهم المواقع الأثرية في العالم، بوجود نحوت تصوّر الإبل بحجمها الطبيعي، وتناقلت وكالات الأنباء ومحطات التلفزة في العديد من دول العالم هذا الاكتشاف المهم الذي أكده العديد من علماء الآثار محليا وإقليميا وعالميا.

وبعد ذلك، وجّه صاحب السمو الملكي وزير الثقافة السعودي بعقد مؤتمر علمي عن موقع نحت الجمل بالجوف، وتولت

هيئة التراث التحضير للمؤتمر عبر شركائها المحليين والعالميين، والذي تقرر انعقاده يوم الأربعاء ٢٨ سبتمبر ٢٠٢٢م تحت مسمى (موقع نحت الجمل وأهميته الثقافية من منظور عالمي)، وقد افتتح المؤتمر صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن نواف بن عبدالعزيز، أمير منطقة الجوف، وكانت سعادة الجميع بحضوره وحضور رئيس هيئة التراث، د. جاسر الحربش، ورئيس جامعة الجوف، أ. د. محمد الشايع، والعديد من أصحاب المعالي والسعادة من كافة مناطق المملكة وخارجها، وأساتذة وطلاب جامعة الجوف والأهالي والإعلام، وشارك بالمؤتمر باحثون من أكثر من عشرين دولة منها المملكة المتحدة، وإيطاليا، والبرتغال، وكولومبيا، ومصر، والمغرب، والجزائر، وتونس، والبيرو، وغيرها.

وقد قدّم علماء من أبرز علماء الآثار في العالم إحدى عشرة ورقة علمية عن الفنون الصخرية في العديد من دول العالم.

وفي حفل الافتتاح ألقى سمو أمير منطقة الجوف كلمة أوضح فيها أهمية منطقة الجوف التاريخية والأثرية وتعدد المواقع المهمة فيها، وشكر وزارة الثقافة وهيئة التراث على إقامة هذا المؤتمر العلمي، ثم تحدث رئيس هيئة التراث



معربا عن سعادته بعقد المؤتمر الذي سوف يبرز أهمية موقع نحت الجمل بالجوف الذي يكمل عقد المواقع الأثرية بالمنطقة، وأن هذا المؤتمر تفاعلي اجتماعي يحقق ثلاثة أهداف من أهداف إستراتيجية الثقافة الوطنية، أولها أن الثقافة نمط حياة، والثاني أنها مورد اقتصادي، والثالث أنها وسيلة حوار مع العالم.

وأكد أن منطقة الجوف أحد مسارات السياحة الثقافية بالمملكة، وأنها ستحظى بالزوار من الداخل والخارج.

كما تحدث الدكتور عبدالله الزهراني موضحا أن عدد المواقع الأثرية المسجلة بالمملكة عشرة آلاف موقع، وأن ذلك يمثل نحو ١٠٪ فقط من المواقع الموجودة بالمملكة، ويجري العمل على تسجيل مليون موقع بالمستقبل.

وأضاف أن منطقة الجوف هي إحدى حلقات التسلسل الحضاري الموجود بالمملكة، وأن فيها أقدم موقع أثري موجود بالمملكة، ويعود تاريخه لأكثر من مليون سنة، هو موقع (الشويحطية)، كما ذكر أن هناك بعثات علمية سعودية ودولية تعمل في عدة مواقع، مثل موقع نحت الجمل، وموقع الرجاجيل، وفي دومة الجندل، وأن العمل يجري من أجل الاطلاع على العمق الحضاري لمنطقة الجوف، وما تحظى به من مقوّمات آثارية.

كما تحدثت أوراق العمل عن تصاوير ومنحوتات في مناطق أخرى من العالم.

ولعل أهم مخرجات المؤتمر أن موقع نحت الجمل يضم عشرة منحوتات للجمال، وثلاثة منحوتات خيلية، وأربعة منحوتات لحيوانات لم يتم التعرف عليها، وأن المنحوتات الصخرية تصور الإبل بحجمها الطبيعي لأول مرة.

وتم تقييم مستوى المهارة الفنية في المنحوتات بأنه لم يسبق له مثيل في الشرق الأدنى، وأنه يعود لفترة العصر الحجري الحديث قبل أكثر من سبعة آلاف عام، وأن الموقع كان مأهولا في ذلك العصر.

وفي الختام، لقد حقق المؤتمر حِراكا ثقافيا وعلميا فائق المستوى، وكان دعما لتنمية قطاع التراث الوطني، عامة، في منطقة الجوف، خاصة، كما حقق مزيدا من الوعي والاهتمام بالمحافظة على تراثنا وحمايته من الاندثار.

ويحق لمنطقة الجوف أن تفخر بما تملكه من مقومات تاريخية وأثرية، تجعلها في مقدمة مناطق المملكة العربية السعودية الغالية.

---

* مؤسس متحف صحاري بمنطقة الجوف.

المردود الحضاري والاقتصادي للتراث الوطني

■ أ. د. غربي بن مرجي الشمري*

تعد الآثار مرجعا راسخًا ودلالةً على تاريخ الأمم والحضارات، والخصائص التي ميزت الإنسان الذي عاشها، ومجال حياته وسلوكه ومناشطه، والأدوات التي استخدمها، عبر ما تكشفه الدراسات والأبحاث التي يجريها المختصون والباحثون من أدلة تمكّنهم من تخيّل الحياة التي عاشها، وباستخدام أدوات وتقنيات متقدمة لتحديد المواقع الأثرية، كما تكمن أهمية علم الآثار كأحد العلوم الإنسانية ذات الأهمية البالغة بسبره لفنون العمارة في تلك الحضارات والإفادة من محاكاتها؛ إضافة إلى المردود الاقتصادي المباشر وغير المباشر لتلك الاكتشافات، بما تضفيه من تميز ثقافي وحضاري للبلد، كمصدر لصناعة محتوى رقمي تراثي، وجذب سياحي وما لذلك من انعكاس على سوق العمل؛ كاستثمار الموارد البشرية المحلية، من مختصين، وحرفيين، وذوي أعمال مساندة أخرى، وما يترتب عليه من إشغال للفنادق، ودور الإيواء، والمرافق الأخرى، وتفعيل لمختلف وسائط النقل، ونشوء صناعات تقليدية.

وقد توّجت رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠ الجهود السابقة لهيئة التراث، باعتماد قطاعها كأحد أبرز البدائل لاقتصادات ما بعد النفط، بالعمل على إحياء مواقع التراث الوطني والعربي والإسلامي، وتسجيلها ضمن قائمة التراث العالمي، وتمكين الوصول إليها بوصفها شاهدًا حيًا لإرثنا العريق على خريطة الحضارة الإنسانية؛ فالمملكة ذات ثراء كبير بالمواقع الأثرية والتاريخية القديمة، بمختلف مناطقها ومدنها ومحافظاتها، وهذا دلالة على أصالة هذه الارض، وتأكيدًا لاحتضانها حضارات عريقة منذ ألاف السنين، ومنها ما زخرت به منطقة الجوف من مواقع ومعالم عمرانية أثرية ثرية، ونقوش حجرية، يعود بعضها إلى أقدم المستوطنات البشرية، بفعل موقعها الجغرافي المميز الذي أتاح تفاعلها مع المجتمعات والحضارات المختلفة.

وانطلاقًا من الدور الرائد لهيئة التراث، قامت بعقد المؤتمر العلمي «موقع نحت الجمل وأهميته الثقافية من منظور عالمي» بجامعة الجوف، برعاية كريمة من صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن نواف بن عبدالعزيز أمير منطقة الجوف، لتسليط الضوء على أهمية المواقع التاريخية والثقافية محليًا ودوليًا، وإبراز جهود الفرق العلمية والبعثات المحلية والدولية في الكشف عن الآثار ودراستها، ونشر نتائجها العلمية، وبمشاركة نخبة من الباحثين والخبراء على المستوى المحلي والدولي. وقد تناولت جلساته «موقع نحت الجمل الأثري، وظيفته وكيفية حفظه مستقبلا»، نوقش فيها عددٌ من الشواهد الأثرية بالموقع، وأبرز مقوماته، إذ حوى ٢٠ نحتا من الجمال والخيل بأحجامها الطبيعية، كما بينوا أن جميع المجسمات قد نُحتت بأدوات حجرية، فيما أشارت تواريخ عينات التنقيب إلى أنه كان مأهولا في العصر الحجري الحديث ما بين (٥٢٠٠-٥٦٠٠) سنة قبل الميلاد.

ويأتي تنظيم هذا المؤتمر العلمي بالتزامن مع نشر نتائج الدراسات العلمية التي أعدتها هيئة التراث، بمشاركة باحثيها ومختصيها بالتعاون مع المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي، وجامعة برلين الحرة، وجامعة أكسفورد، حول موقع «نحت الجمل» بمنطقة الجوف. كما تضمن المؤتمر فعاليات مصاحبة في مواقع التراث الثقافي، منها عرض لركائب الإبل في موقع نحت الجمل، والعروض التقليدية التراثية، إلى جانب تنفيذ زيارات ميدانية لقلعة زعبل، وموقع نحت الجمل، وأعمدة الرجاجيل بمدينة سكاكا، وقلعة مارد بمدينة دومة الجندل.

وإنه لمن دواعي الفخر والاعتزاز أن تأتي هذه الفعالية العلمية امتدادًا لإنجازات المملكة الرائدة، وبدعم قيادتها الرشيدة على جميع أصعدة التراث الحضاري، وتتويجها بمبادرة هيئة التراث للعمل على العديد من البرامج التي تخدم آثار المنطقة وفق الرؤية الوطنية للمملكة ٢٠٣٠، كما أن إعلان رئيس جامعة الجوف إطلاق دبلوم يعنى بالآثار، والعمل على افتتاح قسم لذلك، يدعم إبراز التزامات التعليم الواردة في الرؤية، وهي تحقيق مواءمة مخرجات المنظومة التعليمية مع احتياجات سوق العمل، والمحافظة على تراث المملكة الإسلامي والعربي والوطني والتعريف به.

كما نثمّن لمركز عبدالرحمن السديري الثقافي والقائمين عليه امتدادًا لدورهم المميز بإبراز الفعاليات العلمية والثقافية التي تحتضنها المنطقة، ممثلة بمجلة الجوبة بإتاحة محور خاص لتغطية هذا المؤتمر العلمي المهم.

سائلين المولى -عز وجل- لمملكتنا العزيزة مزيدا من التقدم والتنمية والازدهار، في ظل قيادة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود- حفظه الله- وسمو ولي عهده الأمين، صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز رئيس مجلس الوزراء- حفظه الله- وأن يديم على بلادنا نعمة الأمن والأمان والاستقرار والرخاء إنه سميع مجيب.

* أستاذ الإدارة التربوية بجامعة الجوف.

رؤى حول المؤتمر العلمي
«موقع نحت الجمل وأهميته الثقافية من منظور عالمي»

د. نايف بن صالح المعيقل*

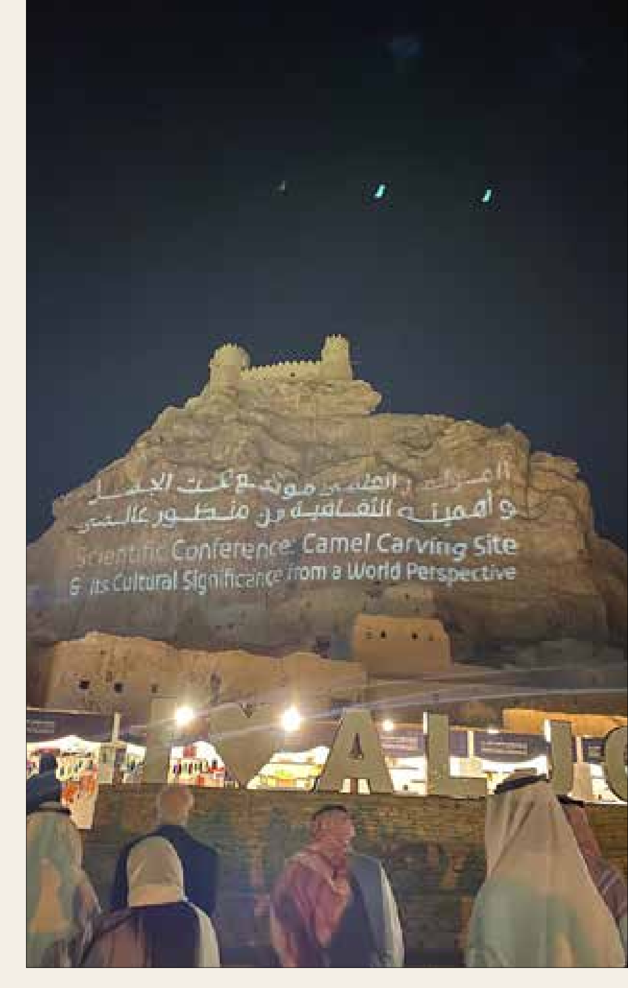
لقد تابعت المؤتمر العلمي برعاية صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن نواف بن عبدالعزيز أمير منطقة الجوف، الذي نظمته هيئة التراث، بعنوان "موقع نحت الجمل وأهميته الثقافية من منظور عالمي" في جامعة الجوف، بحضور الرئيس التنفيذي للهيئة الدكتور جاسر بن سليمان الحربش، ورئيس الجامعة الدكتور محمد بن عبدالله الشايع، وعددٍ من المختصين والباحثين في الشأن التراثي والثقافي على المستويين المحلي والدولي. وقد تضمن الملتقى عددا من جلسات النقاش، والندوات العلمية، التي شارك فيها عدد من المختصين في التراث الثقافي والفنون الصخرية من مختلف دول العالم، إلى جانب زيارات ميدانية لعدد من المواقع الأثرية والتراثية بالمنطقة.

وقد جاء الملتقى تزامنا مع نتائج الدراسات العلمية التي أعدتها هيئة التراث بالشراكة مع الباحثين والمختصين من جامعة الملك سعود، والمركز الفرنسي للأبحاث، وجامعة برلين الحرة، وجامعة أكسفورد، وغيرها من البعثات العلمية الدولية لموقع "نحت الجمل" بمنطقة الجوف، التي عُثر خلالها على العديد من المنحوتات الصخرية التي تصور الإبل بحجمها الطبيعي، ويُعد الموقع من أقدم مواقع الفنون الصخرية بالمملكة، التي اعتمدت على النحت الثنائي الأبعاد؛ ما يدل على مدرسة فنية متقدمة في مجال الفن الصخري.

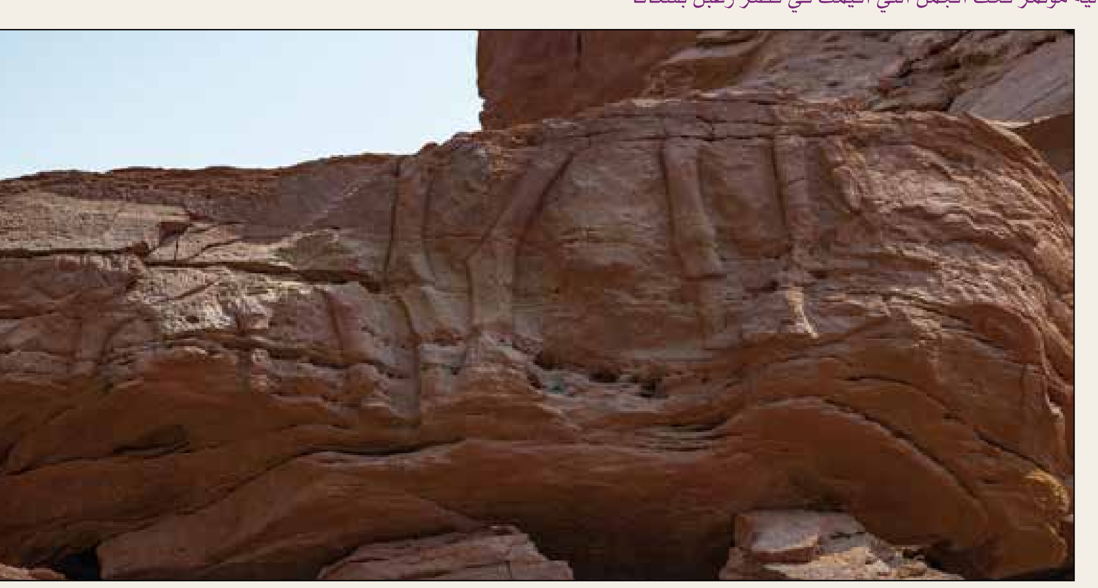
وتضمنت الدراسة العلمية المنشورة عن الموقع تقييمًا لمستوى المهارة والمعرفة التقنية والجهد المجتمعي، الذي وصفته بأنه لم يسبق له مثيل في الشرق الأدنى، وأشارت النتائج العلمية إلى أن الموقع يعود لفترة العصر الحجري الحديث ما بين ٥٢٠٠ - ٥٦٠٠ سنة قبل الميلاد. مع إبراز الجهود العلمية للبعثات المحلية والدولية التي تسهم في اكتشاف الكثير من المواقع التراثية والأثرية بمنطقة الجوف، وإبراز العمق الحضاري للمنطقة، وما تحويه من معالم أثرية وتراثية تجعلها في مصاف المناطق المهمة في العالم.

لا شك أن التوثيق العلمي لموقع «نحت الجمل» من خلال أوراق العمل التي قدمت في المؤتمر من قبل المشاركين من دول عربية وأجنبية تُرسِّخ وتُدَوِّن بالإثباتات العلمية أهمية المنطقة وتراثها وآثارها؛ ما يدعو للإعجاب بهذا المؤتمر الذي تضمن العديد من الفعاليات المصاحبة في عدد من مواقع التراث الثقافي، والتي اشتملت على عرضٍ لمواكب الإبل في موقع «نحت الجمل»، وعروض الصوت والضوء، وعروضٍ للحِرَف اليدوية والعروض التقليدية التراثيةٍ وزيارة المناطق الأثرية بالمنطقة من قبل المشاركين في المؤتمر

كل هذا يحصل في منطقة الجوف؛ ما يجعلها وجهة للعلماء والباحثين لاكتشاف كنوزها الأثرية والتراثية. وكأحد أبناء المنطقة فإنني أشيد بهذه الخطوة العلمية التي سيكون لها أثرٌ قريبٌ بإعطائها أهميةً أكبر في مجال التراث والآثار والثقافة.



من احتفالية مؤتمر نحت الجمل التي أقيمت في قصر زعبل بسكاكا



* أستاذ غير متفرغ - قسم الكيمياء -كلية العلوم - جامعة الجوف.

منحوتة الجمل
وجدناها ولنحتفل بها، ثم ماذا؟

■ عقل بن مناور الضميري*

تلك المواقع والآثار ليست صناعة يمكن تجميع أو استيراد موادها الأولية لعمل منتجات جديدة، ولا يجدي فيها التقليد أو الاستنساخ، إذ لا بد من الأصالة فيها وإدراك المعنى والرسالة كضرورة للتعامل معها كمعلَم وميزة وفرصة..

إذًا، فهي ثروة حقيقية، ولا شك أنها هوية تختص بها المنطقة، هذا المكتشف الذي تحققت فيه شروط الأصالة والجِدّة قيمة مضافة للمجتمع المحيط، وقَطْعًا هو يحتاج عناية وحماية عن كل عبث وتشويه، وتوفير معلومات محكمة، وإرشاد، وخدمات لوجستية، وتركيز على نظافة الموقع ومحيطه، تُمَكّن الزوار والمهتمن من المعرفة والاستمتاع بالأثر وبيئته، وتدفعهم ابتداء للقدوم إليه، وليترك لديهم ذكرى تليق بالمنطقة وأهلها، بل وتساعد في استقطاب أعمال واستثمارات تناسب طبيعة المنطقة وما تمتلكه من فرص في قطاعات أخرى عديدة.

العالم مليء بالآثار القيّمة، لكن قيمة محيطها وخدماتها ليست متماثلة، مما يؤثر عليها بشكل كبير سلبًا أو إيجابًا في مدى الاستفادة منها بقطاع الخدمات المساندة الاقتصادية والسياحية.. الخ.

جِمال - إبل - سكاكا المنحوتة رغم ما تحمله من تفرّد وقيمة علمية عالية، إن لم تُخدَم بتسويق وخدمات ورعاية توازي قيمتها، ستبقى مجرد كومة أحجار ظلت لآلاف السنين دون أدنى اعتبار..

تلك الخدمة والرعاية والتسويق مسؤولية المجتمع بقطاعاته الأهلية والرسمية، وأولها الجانب المعرفي وحماية الأثر والاعتزاز به، وأخذ العبرة من مجتمعات سبقتنا في هذا المجال، فكم من مواقع وأثار قيّمة دُمّرت أو نهبت جهلًا أو حقدًا وحسدًا في غفلة أو إهمال مؤلم، وأخرى أقل أهمية حظيت بالرعاية، فتفوقت شهرة وعوائد مادية ومعنوية.

وأخيرًا، فالموقع جدير بالدراسة والبحث والإشهار، وهو ما بدأت به الجهات المختصة فعلا، تحقيقًا لكل الفرص الكامنة في هذا الاكتشاف.

ولعل الفرصة هنا مناسبة لأدعو لتغيير اسم الحي والمنطقة المجاورة لتكون «حي الجمل» خدمة للأثر المكتشف واستثمارًا فيه ولأجله.

---

* كاتب وروائي سعودي من الجوف.



الوطن
ALWATAN

الجمل أقدم موقع نحت عالميا

الشرق الأوسط

يوميات الشرق

أقدم موقع في العالم لنحت الحيوانات المجسمة بالحجم الطبيعي في الجوف بالسعودية

عكاظ
أن تكون أولاً

تقرير دولي: قبائل بالسعودية نحتت الصخ 8000 عام

منحوتات الجمال الصخرية في الصحراء السعودية تعود إلى أكثر من ٧ آلاف سنة

أخبار الخليج

دراسة علمية ترجح أن موقع الجمل بالجوف أقدم موقع نحت في العالم

الجزيرة

دراسة ترجح أن موقع الجمل بالجوف أقدم موقع نحت في العالم

منحوتات الجمال الصخرية في السعودية تعود لأكثر من ٧ آلاف سنة

الوسط

السعودية.. قبائل نحتت الصخو بدقة فنية قبل 8000 عام

الرياض

20 صفحة

ريالان

www.alriyadh.com

موقع الجمل الأقدم عالمياً

الاقتصادية

علماء: موقع الجمل في الجوف الأقدم في العالم لنحت الحيوانات

القبس

ال في السعودية تعود إلى 7000 سنة

مكة

موقع نحت في العالم

البلاد

الجوف

ابداع هيئة التراث في عقد مؤتمر "موقع نحت الجمل" بمدينة سكاكا

د. جميل بن موسى الحميد*

نظّمت هيئة التراث بالمملكة العربية السعودية مشكورة المؤتمر العلمي "موقع نحت الجمل وأهميته الثقافية من منظور عالمي" بمدينة سكاكا بمنطقة الجوف.

ومما يسعد الخاطر أن هذا المؤتمر كان متزامنًا مع ما أعدته الهيئة من دراسات علمية شارك فيها الباحثون والمختصون من داخل المملكة العربية السعودية والمركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي وجامعات بريطانية وألمانية وغيرها، خصصت لموقع "نحت الجمل" بمدينة سكاكا بمنطقة الجوف والذي يعود للعصر الحجري في الفترة ٥٢٠٠- ٥٦٠٠ عام قبل الميلاد.

وإنه لمن الواجب تقديم الشكر لهيئة التراث ممثلة برئيسها الدكتور جاسر الحربش الذي أكد في المؤتمر الأهمية التاريخية لمنطقة الجوف بحكم موقعها على الخريطة العالمية، وليس على خريطة المملكة فقط، كموقع تراثي عالمي.

كما قال الدكتور الحربش أيضا أنه منذ بدء الإعداد للمؤتمر، لم تكن هناك أي عوائق تذكر، بل كان هناك تعاون تام من قبل أمانة المنطقة وجامعة الجوف، مؤكدًا أهمية الحضور الدولي والمحلي للمؤتمر ودلالاته على القيمة العلمية والحضارية لموقع نحت الجمل.

وأجدها التفاتة ذكية من سعادة الرئيس التنفيذي لهيئة التراث الدكتور جاسر بن سليمان الحربش عندما أكد أن الاحتفاء في هذا المؤتمر ليس بالأبحاث العلمية الرصينة المقدمة من قبل الباحثين السعوديين والخبراء الدوليين وحسب، بل نحتفي أيضا برجال منطقة الجوف ونسائها الذين أسهموا في المحافظة على كنوزها الأثرية على مر الزمان؛ فهذه المنطقة تعد من أكثر المناطق محافظةً على آثارها وتراثها.

كما أجدها خطوة لافتة ومهمة من هيئة التراث بإشراك جامعة الجوف في استضافة هذا المؤتمر العلمي الدولي المهم، في ربوع الجامعة.

و نظرًا لكون جامعة الجوف من الجامعات المهتمة في المملكة العربية



من منحوتات موقع الجمل

السعودية في تبنّي القضايا العلمية من خلال عقد المؤتمرات العلمية لمناقشتها وتحليلها وفهمها من خلال الباحثين والمختصين والمهتمين المشاركين، على المستويين الوطني والدولي.

واستشعارًا لدورها المهم، استضافت جامعة الجوف المؤتمر العلمي الذي اقامته هيئة التراث، وذلك واجبها إيمانًا بأن ازدهار العلوم وحل المشكلات العلمية المختلفة لا يكون إلا من خلال مجتمع علمي مهتم متخصص، فتتكون العلاقات العلمية الجديدة بين المختصين؛ ما ينتج عنه أفكار ورؤى لتفسير الظواهر العلمية التي تشغل بال الباحثين والمختصين والمجتمع بشكل عام.

ويحسب لجامعة الجوف تعاونها مع الهيئة العامة للتراث، منظمّة المؤتمر، من خلال استضافته في رحابها، لما يمثله من سبق علمي وتخصصي، وبما يقدم فيه من أوراق علمية تؤكد أهمية موقع «نحت الجمل» وقيمته الآثارية والتاريخية محليًّا ودوليًا.

وفي تقديري، أن هيئة التراث بتنظيمها للمؤتمر في رحاب جامعة الجوف، إنما تؤكد أهمية التعاون بين الهيئة والجامعات السعودية، في المؤتمرات العلمية، فيما يتعلق بالموضوعات الآثارية والتراثية، والإفادة من الإمكانات العلمية والبحثية للجامعات السعودية في المشاركة بمناقشة المكتشفات الآثارية المهمة وتأريخها وتحليلها.

ولأن الجامعات هي مراكز علمية بحثية تخصصية، فقد يكون عليها لزامًا أدبيًا أن تتناول القضايا العلمية والموضوعات المستجدة من خلال عقد المؤتمرات والندوات واللقاءات العلمية وبشكل دوري، فهناك المشكلات الطبية ومعالجة الأمراض، وقضايا البيئة والمياه، وقضايا الأسرة والمجتمع، وقضايا التربية والتعلم، وقضايا الطاقة، وغيرها الكثير.

وإن عقد هيئة التراث مؤتمر «نحت الجمل» في جامعة سعودية إنما تؤكد أهمية دور الجامعات في تبنّي القضايا البارزة على اختلاف أنواعها وخلفياتها وأسبابها؛ إذ يظل للجامعات حضورها المهم في مناقشة

القضايا والموضوعات التي تهم المجتمع والمؤسسات المعنية من منظور علمي وبحثي؛ للإسهام في اجتراح الحلول المناسبة لتلك القضايا.

ويسجل لهيئة التراث إعدادها لمهرجان ثقافي وتراثي مصاحب للمؤتمر في موقع نحت الجمل، اشتمل على عروض للهجن، وعروض مباشرة للمشغولات والحرف اليدوية الخاصة بمنطقة الجوف، ومعارض صور في المواقع الأثرية بالمنطقة، وعروض للضوء والصوت، وزيارات ميدانية شاملة للمناطق الأثرية، حيث وقف الباحثون والعلماء والزوار وكذلك ضيوف الهيئة على تلك الشواهد الأثرية بشكل مباشر.

من هذا المنبر الثقافي المميز «مجلة الجوبة»، أتقدم بالتهاني لسمو أمير منطقة الجوف نجاح مؤتمر «نحت الجمل»، وهو الذي كان داعمًا قويًا لموقع نحت الجمل بمدينة سكاكا حتى تم بفضل الله ثم بجهود المخلصين في هيئة التراث إبراز كشف «نحت الجمل» على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي من خلال المؤتمر الأول لموقع «نحت الجمل».

والشكر موصول لجامعة الجوف على استضافتها في المدينة الجامعية لهذا الحدث المهم، وتوفير كل ما يلزم لإنجاحه، ونثني على تأكيد رئيس الجامعة الدكتور محمد بن عبدالله الشايع في كلمته في المؤتمر على مكانة «منطقة الجوف» التاريخية والذي حدا بالجامعة أن تطلق برنامج دبلوم يعنى بالآثار، وإعلانه أنه يجري العمل على افتتاح قسم لذلك، وتوضيحه أن كرسي صاحب السمو الملكي الأمير نواف بن عبدالعزيز آل سعود -رحمه الله- للتنمية المستدامة يقوم بالعديد من البحوث والدراسات في مجال تاريخ وآثار المنطقة.



نحت موقع الجمل بسكاكا حديث الصحف

---

* الملحق الثقافي السعودي في الكويت.

«نحت الجمل» نحت سكاكا الفريد

■ د. عبدالرحمن بن مفضي المسعر*

حبا الله منطقة الجوف الواقعة شمال غربي المملكة العربية السعودية بموقع جغرافي مميز، فضًلها عن غيرها من المناطق؛ إذ تتسم المنطقة بمناخ صحراوي قارّيّ حارّ، جافّ في فصل الصيف، وبارد في فصل الشتاء. ويعد البحر الأبيض المتوسط أكثر تأثيرًا على مناخ المنطقة؛ والذي أدى بدوره إلى ازدهار الزراعة ونمائها، وبخاصة شجرة الزيتون، وأصبحت تنافس في هذا المنتج عالميا، وهذا ساعد بدوره مع وفرة المياه على استيطان البشر للمنطقة منذ آلاف السنين؛ إذ تعاقبت العصور والحضارات على مر الأزمنة، وهذا ما يؤكده وجود الكتابات، والنقوش، والآثار المكتشفة خلال السنوات والأعوام الماضية، ومن هذه الاكتشافات «الشويحطية» التي تعد من أقدم المستوطنات البشرية في الجزيرة العربية، والتي يصل عمرها إلى أكثر من مليون سنة قبل الميلاد، وأعمدة الرجاجيل التي تقع جنوبي سكاكا، وتصنف ضمن الآثار الفلكية الفريدة عالميًا، لوجود أدلة وشواهد أثرية مرتبطة بالفلك، كالدوائر الحجرية المكونة من أعمدة تشبه الشواخص الشمسية، كما ذكرت منيرة المشوح باحثة الآثار في جامعة الملك سعود، ومسجد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وما يحيط به من مبانٍ أثرية قديمة تعود حسب الدراسات إلى منتصف الألف الأول قبل الميلاد، إضافة إلى العديد من المواقع المهمة في المنطقة. إلا إن البوصلة اتجهت نحو مكان أثري فريد، فأظهرت لنا صورة جديدة نُحتت بطريقة إبداعية، وفتحت معها صفحة أثرية صافية كصفاء إنسان الجوف؛ وذلك باكتشاف موقع نحت الجمل الواقع شرقي مدينة سكاكا، ويضم عدة منحوتات نحتًا مجسمًا ثنائي الأبعاد، وهذا ما أكسبه أهمية كبيرة على المستوى المحلي والإقليمي والدولي؛ والذي أفاد المختصون بعد عمل المجسات والحفائر اللازمة بأنه يعود للعصر الحجري الحديث ما بين ٥٢٠٠ -٥٦٠٠ سنة قبل الميلاد، ويضم سبعة عشر نحتا لجِمال، ونحتين للخيليات، بالحجم الطبيعي، إضافة إلى اكتشاف بعض الأدوات الحجرية وبقايا عظام حيوانية.



إن موقع نحت الجمل أصبح علامة بارزة وفارقة في تراثنا العريق، فهو صفحة من الماضي، لكنها لم تُطوَ قط، بل دبَّت فيها الحياة، وأصبحت إرثًا ثمينًا جاء اكتشافه ليخبرنا عن حقبة تاريخية وثقافية متأصلة فوق أرض الجوف الحبيبة، أرض الحضارات، أرض القرون التاريخية الخالدة؛ ولا شك أن هذا الاكتشاف سيكون له - بحول الله - انعكاساته الإيجابية المهمة على الجانب السياحي والتراثي والاقتصادي، ولعل هذا الاكتشاف يساعد في أن تكون الجوف وجهة تاريخية سياحية تراثية عالمية.

إن هذا الاكتشاف المبهر لنحت الجمل بهذه الطريقة الهندسية الجميلة والمعقدة في النحت، ليدل دلالة لا لبس فيها على أن الجمل يحتل مكانة مرموقة في نفوس القدماء على أرض المعمورة، وليس أدلّ على ذلك من أن العرب تسمي الإبل «بالمال»، كما يؤكد علاقة الإنسان القوية بهذا الكائن الذي تربطه به مصالح متعددة، واستئناسه له قبل آلاف السنين.

ومنذ اللّحظة الأولى لهذا الاكتشاف سخّرت الدولة - رعاها الله - إمكاناتها ممثلة بهيئة التراث لفريق سعودي عالمي مشترك مكون من هيئة التراث، وجامعة الملك سعود، والمركز الفرنسي للأبحاث، ومعهد ماكس بلانك، وجامعة برلين الحرة، وجامعة أُكسفورد، لغرض البحث والدراسة والرصد والتحليل وجمع المعلومات. وبعد سنوات طويلة، وجهود مضنية؛ أشار فريق البحث إلى أن الموقع مرّ بثلاث مراحل زمنية بدأت بأعمال النحت، ثم مرحلة هجر الموقع، وغياب أي أعمال ونشاطات بشرية، ثم المرحلة الأخيرة والمتمثلة بعوامل الطبيعة وتأثيرها على المجسمات، واستخدم الباحثون لمعرفة تاريخ الموقع جهاز التحليل المشع، وطريقة الوهج الحراري، إضافة إلى أدوات بحثية أُخرى، ومما يزيد من أهميته أن جميع النقوش وطرائق النحت السابقة هي فنون صخرية تتم بالطريقة التقليدية الشائعة بالنقش والنقر فقط، أما هذا الموقع فهو نحت بارز بالحجم الطبيعي (ثنائي الأبعاد).

---

* مشرف تربوي بتعليم الجوف.

(موقع نحت الجمل في سكاكا) والروافد

■ خليفه بن مفضي المسعر*

إن المؤتمر العلمي الذي أقيم في جامعة الجوف بعنوان (موقع نحت الجمل وأهميته الثقافية من منظور عالمي) والذي رعاه صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن نواف بن عبدالعزيز على مسرح جامعة الجوف في ٢ ربيع الأول عام ١٤٤٤هـ الموافق ٢٨ سبتمبر ٢٠٢٢م، والذي نظمته هيئة التراث، لهو من الأهمية الكبيرة والحدث المهم لثقافة وآثار مدينة سكاكا بمنطقة الجوف والمملكة بشكل عام، إذ أكد المؤتمر أهمية موقع نحت الجمل بمدينة سكاكا.

وتعتني بعض الدول بخلق مجالات للسياحة، وتبذل الكثير من الجهود لتحقيق مكاسب مادية في مجالاتها، بما فيها الطبيعة، مثل: بولندا، روسيا، النرويج، البوسنة، أذربيجان، جورجيا وغيرها؛ إذ تمثل لها السياحة دعما رئيسًا لاقتصادها. ولما للمملكة العربية السعودية من تميز بما لديها من تراث أثري وحاضر متجدد، فإننا نتطلع لأن تكون هناك نقلة تواكب أهمية منطقة الجوف وأهمية موقع نحت الجمل بمدينة سكاكا وإدخاله في مجالات السياحة.

وفي المؤتمر أكد سمو أمير منطقة الجوف أهمية منطقة الجوف وآثارها وأهمية المؤتمر: «إنه منذ فجر التاريخِ وإلى اليومِ كانتْ أرضُ المملكةِ العربيةِ السعوديةِ مستقرا للحضاراتِ المتعاقبةِ عَبْرَ مختلفِ العصورِ، ومنطقة التقاء طُرقِ التجارةِ العالميةِ التاريخيةِ، والتي أسهمت في بناء الحضارةِ الإنسانيةِ».

وأضاف سموه: «لقد أكدت الاكتشافات الأثرية والدراسات العلمية المتخصصة التي تمت بمنطقة الجوف، على الأهمية التاريخية والدورِ الحضاريِ الكبيرِ لمنطقة الجوف، وتفاعلها الإيجابي؛ الممتد والمستمر عبر التاريخ، وإسهام إنسانها، كَوْنُهُ أحدَ الفاعِلينَ في مسيرةِ التاريخِ البشري».

وأشار سموه إلى أنه «بفضلِ دعمِ القيادةِ الرشيدةِ حققتْ البلاد إنجازات كبيرةً في هذا المضمارِ، وتعيشُ

المملكةُ اليومَ نهضةً غيرَ مسبوقة على جميعِ أصعدةِ التُراث الحضاري، تمثلتْ في تحقيقِ العديدِ منَ الكشوفاتِ الأثريةِ في كلِّ منطقة منْ مناطقها، بإشراف هيئة التراث بوزارة الثقافة، وبقيادة نخبةٌ منَ العلماءِ والمختصينَ السعوديينَ، ويشاركُ معهمْ علماءُ مميزونَ منْ أفضلِ الجامعاتِ والمؤسساتِ العالميةِ المتخصصة، ولعل من أبرزها نتائجَ الدراسات العلمية التي تمت بموقع نحت الجمل بمنطقة الجوف.

واختتم سموه بقوله: «نتطلعُ إلى مزيدِ منَ التطويرِ والبحث والدراسة للمواقعِ الأثرية والتاريخية بمنطقة الجوف على وجه الخصوص؛ لقيمتها التاريخية والأثرية، وليكونَ أنموذجا للاستثمار في تراثُ المملكة، ووسيلةً للتربيةِ والتوعية، ومصدرا للعلمِ والمعرفة، ومصدرَ اعتزازٍ لأبناءِ الوطنِ، وشاهدا لمكانةِ بلادِنا الحضاريةِ».

وقد كان الرئيس التنفيذي لهيئة التراث الدكتور جاسر بن سليمان الحربش مؤمنًا بأهمية موقع نحت الجمل في سكاكا، فقد أكد في كلمته خلال المؤتمر على مكانة المنطقة التاريخية واكتنازها الكثير من المواقع المهمة على المستوى العالمي، ومنها موقع نحت الجمل الذي نجتمع اليوم من أجله، وسنعمل في المنطقة على العديد من البرامج التي تخدم آثارها وفق رؤية المملكة ٢٠٣٠.

وإن هذا المؤتمر العلمي وما ورد فيه على لسان سمو الأمير والرئيس التنفيذي لهيئة التراث بمثابة دعوة تضاف للمميزات الجاذبة التي تزخر بها المنطقة لانطلاق السياحة التي تسهم في انعاش المنطقة، علمًا أن المنطقة تحوي الكثير من مجالات وروافد موقع نحت الجمل بمدينة سكاكا مثل:

١- سوق دومة الجندل التاريخي.

٢- بئر سيسرا والنفق المعجزة.

٣- قلعة مارد.

٤- مسجد عمر.



٥- البحيرة (معجزة في الصحراء).

٦- رمال النفود.

٧- المشاريع الزراعية العملاقة في بسيطا.

٨- قلعة زعبل.

٩- تاريخ العيون المتدفقه بدومة الجندل.

١٠- حرّة الحرّة.

١١- الرجاجيل.

١٢- البترول الأخضر (الزيتون وزيت الزيتون).

١٣- الشويحيطة (كأول استيطان بشري).

ونتمنى على وزارة السياحة وهيئة التراث أن تبحثا في إمكانية تحقيق الآتي:

١- تنشيط جمعية سفراء التراث ودعمها.

٢- دعم البحوث والدراسات العلمية بمجال الآثار والتراث بالمنطقة.

٣- إعادة النظر في مسلمة لا بُدّ منها في إدارة هذا التوجه مما يسهم في مستقبل هذا الوطن وتنميته والانطلاق به إلى آفاق أرحب.

٤- الاستفادة من نهج دول العالم على اتساع رقعته لتنشيط سياحة الآثار والمستجدات.

٥- السعي إلى تجريد المسميات المألوفة وإعادة بنائها من جديد.

٦- التوجه مع رجال الأعمال للمساهمة في تفعيل مشاريع الهيئة السعودية للسياحة وهيئة التراث واستثمارها.

٧- استنهاض حس المسؤولية الوطنية لدى المسؤول والمواطن بعمق المواطنة.

٨- نتمنى أن نرى النتائج المدهشة بتلك الجهود.

٩- إيجاد صياغة تتوافر فيها كل مقومات وشروط إبرازها؛ بدءا من خلق آفاق توضيحية لمجالات السياحة والآثار بالمنطقة، سواء بالمحاضرات أو مسابقات القصة القصيرة أو الفن التشكيلي، أو مجالات الأدب والشعر المختلفة.

١٠- إقامة مؤتمر عربي لبحث الآثار العربية.

١١- إنشاء اتحاد علماء الآثار العرب.

١٢- التواصل بالإعلام القادر على نقل الأحداث وتسليط الضوء عليها من خلال حملات إعلامية مكثفة.

١٣- تدريب بعض المواطنين لاستقبال السياح وشرح المعلومات عن الموقع.

١٤- إضافة موقع نحت الجمل بسكاكا على خريطة السياحة الوطنية وإبراز أهميته.

١٥- تخصيص جائزة للباحثين في موقع نحت الجمل وغيره والباحثين للإبداع فيه.

١٦- إنشاء هيئة علماء للآثار والتراث بالمملكة، يكون لديها القدرة على العطاء والتضحية والثبات والتحمل والجَلَد، ولديها الروح لرفع مقاييس التنقيب والبحوث والدراسات بدعم من الهيئة السعودية للسياحة وهيئة التراث.

---

* عضو المجلس الثقافي في مركز عبدالرحمن السديري الثقافي.

الصخر: الورقة الأولى

■ رائد العيد*

تروي أسطورة يونانية أن فتاة من كورنثوس شرعت في تخطيط شكل حبيبها المنعكس على جدار في ضوء مصباح، قبل أن يهم بسفر طويل. وما لبث والدها أن صنع من هذا الرسم مجسمًا من الطين، فكان أول نحات أو مثّال.

أما جلجامش العظيم فقد تحوّل إلى جلجامش الفطير بعد موت صديقه أنكيدو، وراح ينادي في أرجاء المدينة، مطالبًا أن ينحتوا له تمثالًا: «أيها الصائغ والجوهري ونحات الأحجار الكريمة: اصنعوا لي تمثالًا لخلي»، حتى نُحت تمثال لصديقه، صدره من اللازورد وجسمه من الذهب، ونصب منضدة من الخشب القوي وإناء من اللازورد مملوءًا بالزبد، وقرب ذلك إلى «شمس» (إله الشمس) وشرع يندب صديقه ويرثيه.

النحت ثاني أقدم فن تشكيلي بعد العمارة التي جاءت تلبية لحاجة المأوى؛ أما النحت فنجده في الأسطورة الأولى ولد من الحب، وفي ملحمة جلجامش ولد هذا الفن من الموت؛ وفي أحايين كثيرة جاء لتخليد الحياة واللحظة والعمل، واكتشاف موقع الجمل في منطقة الجوف الذي يعود لأكثر من خمسة آلاف سنة قبل الميلاد، ويصور الإبل والخيل على الصخر، كأقدم منحوتات الجِمال على مستوى العالم، ما يؤكد أن الصخر هو "الورقة الأولى" قبل الورق!

إن للنحت شؤونًا في شجون الحياة: فمن الأرض إلى السماء ارتفعت سلالم، ولما تزل، وفتحت نوافذ، وأضيئت قناديل في انتظار الصباح، يُحَول النحت الحدائق والشوارع إلى متاحف وتفتح الصورة الحجرية آفاق الذهن والروح، ويخلّد لحظات الأنس والأسى، كما يسجّل تاريخ الأفراد والمجتمعات، وهو ما يشير إليه موقع منحوتات الجمل من كونه مقر اجتماع موسمي.

قال المؤرخ والناقد الفني الفرنسي تشارلز بلان قبل عشرات السنوات: «إن لامبالاة الأمة بفن النحت دليل على خلل في التعليم العام»، وعينه ما يسري على واقعنا العربي أكثر من سريانه على واقعهم، إذ بإهماله تثقل جوانب في الحياة روحية، ووطنية، وجمالية، وثقافية، وهو ما تسعى هيئة التراث

وغيرها من الجهات الثقافية في المملكة على تغييره باهتمامها المتزايد بفن الصخور والنحت الذي صارت له ملتقيات ومؤتمرات دورية وعالمية في السعودية.

في البدء كانت الكتابة رسمًا للكلمات قبل أن تكون حبرًا على الأوراق. العلاقة بين الكتابة والنحت من العلائق التي تستحق الاهتمام، وتطوير فنٍ في هذا العصر يستلزم تعانق الفنون فيما بينها وعدم الانكفاء على أدواتها وقواعدها. القلم مثل الإزميل في إحياء الموات؛ هذا على الطرس لينطق، وهذا على الحجر لتتبض به الحياة.

لم يكن دور الأدب أن يسوق إلينا أصل النحت فحسب، ولكنه أرانا أعمالًا نحتية عفا عليها الزمن حين قام بوصفها، فبعثها من الماضي الرميم، وهذا بعض ما نؤمله في التعامل مع موقع الجمل الذي ننتظر أن يدخل نصوصنا لا أن تدخل صوره فقط متاحفنا، ذلك «أن الصور لن تكون خالدة بلا حكايات مكتوبة»، كما يقول أحمد عبداللطيف في «كتاب النحات». دخل الأدب هيكل النحت الصامت، فاستوحى روائعه واستنطقها، وكان نحتا بالكلمات، وعناق القلم والإزميل، وحوار النحت والأدب، وكانت نصوصا جمالية باذخة الجمال، وهو ما يدخل فيما عرفه الإغريق مع هوميروس في تقنية وصف الروائع الفنية، الواقعية أو المتخيلة، وصفًا دقيقًا ومفصّلًا تحت اسم (إكفرازيس Ekphrasis)، وهو جنس أدبي قديم كان ثمرة لقاء الشعر بفنون الرسم والتصوير والنحت والنسيج.

تحرر الفن من نطاقه الضيق إلى رحاب أوسع مع غيره من الفنون يصنع حيوات متجددة له، واكتشافُ أثر فني إعادةُ خلق له، وتوسيع لزمنيّته إلى أزمنة أطول، فبدل الإقامة العابرة، أو الغائرة بين أروقةِ كتبِ التاريخ وحكايات الأساطير، تُبَت من جديد في مرويات الأحياء وحكايات الكتّاب.



التعامل مع صورة وأصل نحت الجمل

* كاتب سعودي، صدرت له ثلاثة كتب: «دروب القراءة»، و«درب الكتابة»، و«أشقاء الزورق الواحد».

خطابُ النسوية في الرواية العربية
«هند والعسكر» لبدرية البشر أنموذجًا

■ إبراهيم الكراوي*

تتغيأ هذه القراءة مقاربة تمثلات الخطاب النسوي في الرواية العربية، من خلال أنموذج روائي للروائية والقاصة السعودية، بدرية البشر، وهو رواية «هند والعسكر». فقراءة الرواية تكشف لنا عن مجموعة من الخصائص الخطابية الجمالية التي تتقاطع مع المحتوى؛ لتشكل ما يمكن أن نسميه هوية الخطاب النسوي.

العنوان وبناء رمزية دوال الخطاب

يشكل العنوان «هند والعسكر» بنية تشتغل على تفكيك ثنائيات المتن، متمثلة في علاقة الذكورة بالأنوثة، من جهة، والاضطهاد والسلطة من جهة أخرى. فعلاقة العنوان بالمتن أشبه بعلاقة بين الدال والمدلول؛ ومن ثم ينكشف التوتر بين الخارج والداخل، الأعلى والأسفل؛ ومن ثم، فالعنوان علامة وآلية تشتغل على إنتاج جماليات الخطاب الروائي، وبنية المحكي الروائي.

يحيل العنوان في مرجعيته الدلالية على اسمي علم، يشكلان محور سردية الرواية، ونسَقين يشتغلان على إنتاج الخطاب الروائي؛ فهناك اسم علم «هند» وصفة تحيل على اسم علم مشبع برمزية داخل المتن؛ وتعلق الأم «بمنصور».

يشتغل العنوان على تضعيف المدلول من خلال إبدال اسم العلم بالصفة التي تدل على نسق السلطة، وما يرتبط به من هرمية تميز النسق الاجتماعي الذكوري، كما نستشف من خلال قراءة المتن؛ سواء على صعيد تمثل الذات الأنثوية داخل الفضاء، أو كان تمثلا



يحفر في الذاكرة التاريخية للذات الأنثوية.

بيد أن تمثّل العنوان المرجعي، لا ينبغي أن يحملنا على قراءة تغوص في الواقع واليومي بوصفه محتوى انعكاسي؛ ولذا جاءت الإشارات المرتبطة بالنص الموازي، أو ما يصطلح عليه النص الداخلي لتوجه فعل القراءة، وتضعنا في صلب قضية الحدود بين الواقعي والتخييلي، ولتقوم بموضعة الجنس الروائي بوصفه جنسا تخيليًا تتقاطع داخله أنساق اجتماعية وثقافية وسياسية.. كما سنعاين من خلال تمثيل التاريخ بين الواقع والمتخيل؛ فشخصية عموشة تقع ضمن تجاذبات حقل الذاكرة والتاريخ، الواقع والمتخيل، ثم تشتغل هذه الشخصية كآلية تحيل على ترسبات الذاكرة وعلائقها بالمجتمع والتاريخ وسيكولوجية الذوات.

تشكلات الخطاب الروائي: من الداخل إلى الخارج

يفتتح الراوي الحكي بضمير الغائب ملقيًا الضوء على ذاكرة أنثوية موسومة بطابع التوتر الذي يميز وضعية الذات السارد في فضاء الرياض. ويبدو أن نسق العلامات التي تؤثث هذا الفضاء تشتغل على تضعيف المدلول المرتبط بتراجيدية الوجود الأنثوي، كما يظهر لنا من خلال نسق العلامات: ستارة النافذة، فتيات مجللات بعباءات سوداء، غصون قلبي اليابسة.

هكذا ينتقل بنا الراوي من الداخل إلى الخارج، من المغلق إلى المنفتح؛ أي من فضاء الغرفة المغلق حيث التوتر والقلق، إلى فضاء منفتح حيث تلوح بوادر الحرية؛ ما ينعكس على شخصية الذوات الأنثوية وعلائقها بشخوص تكرّس نزعة الذكورة.

إن وضعية السارد المتماثل حكائيًا، تجعل منه ساردًا يحفر في المناطق الأشد عتمة وعمقًا في الذاكرة الأنثوية الموسومة بكل مظاهر القلق الوجودي وأسئلة الواقع. تمثل الغرفة ومن خلالها خطاب البداية، الذاكرة/ الماضي بكل دواله المشحونة بالذكورة، وقيود الماضي الذكوري المرتبط بفضاء مدينة الرياض وأغلاله، في سياق تاريخي محدد؛ بينما ينتقل بنا خطاب النهاية إلى فضاء اللانهاية والحرية، بعد أن قررت «هند» الشخصية المحورية الهروب من الواقع الدموي الذكوري إلى كندا.

خطاب البداية

«فتحتُ طرف الستارة لأطل على الشارع المقابل لنافذتي، التقطت أذني أصوات الأطفال الممسكين بأيدي آبائهم وهم ذاهبون إلى المدرسة. مر باص مدرسة البنات ذو اللون الأصفر سريعًا، يحمل معه فتيات مجللات بعباءات سوداء.. حركت رائحة المطر غصون قلبي اليابسة...»[1].

خطاب النهاية

«تحركت الطائرة بهدوء. أشارت الساعة إلى السابعة صباحًا. ابتسمت وعيناي تدمعان، وهززت رأسي، وابتلعت غصة بكائي على أخي... شربت الجرعة الأولى في السماء الأولى من فنجان قهوتي الأول، وصوت محمد عبده يغني في أذني «كفها جديلة من حروف»[2].

يضعنا الراوي، إذًا، ضمن منطقة التوتر بين الذكورة والأنوثة، المنغلق والمنفتح،

الشرق والغرب؛ وفي الآن ذاته يرسم حدودًا بين البداية والنهاية بعد التوغل في مسارات روائية، تكشف بنية الصراع بين الماضي والحاضر، التقليد والحداثة.

وبذلك يفتح الراوي أفق الأمل من خلال السفر وركوب الطائرة التي ستقل الشخصية إلى عالم آخر في انتظار العودة. لا ترصد الساردة لحظة نزول الطائرة إلى فضاء آخر الغرب، بل تضعنا داخل الأفق الذي يفتح الأمل بالعودة إلى الأرض، وهذا ما وعدت به هند ضمنيا أخاها فهد حين ساعدها على الخروج من فضاء الغرفة الذي يستلب حريتها.

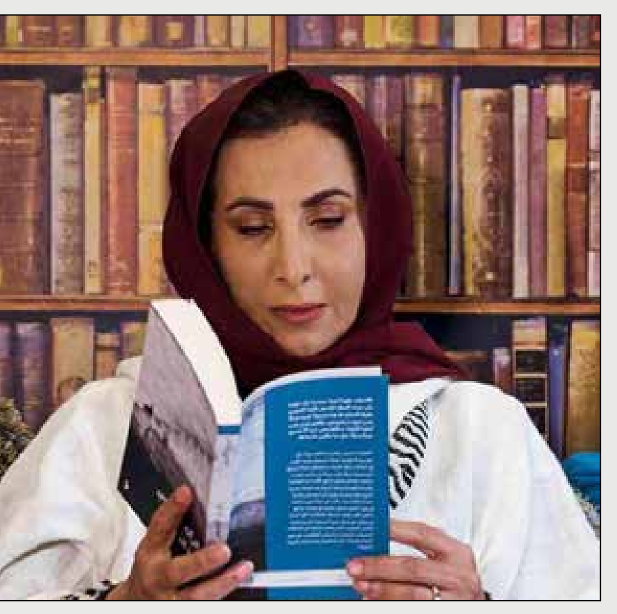
ينكشف لنا من خلال خطابي البداية والنهاية هيمنة التبئير الداخلي على شخصيتي هند ومنصور بوصفهما علامتين مولدتين لمجموعة من المسارات السردية التي تنسج روائية النص. فهما فضلا عن ذلك آلية من آليات إنتاج الخطاب الروائي. فهند تمثل محور الرغبة الوجودية الحاملة لهاجس تحرير الذات الأنثوية من العبودية والاستلاب، والاضطهاد الذي لازمها في مواجهة الشخصيات الذكورية التي يتزعمها منصور الزوج الذي وجدت نفسها مستسلمة للزواج به تحت ذريعة الانصياع للنسق الاجتماعي الثقافي المظهر الذكوري الثاني.

بنية الصراع ونمو المحكي الروائي

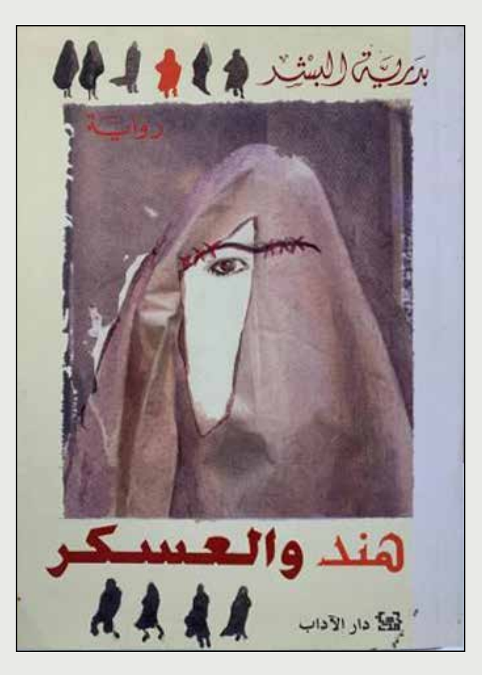
يسمح التبئير الداخلي على شخصية هند بتشكل وعي ينتقل بنا من الأنثوية إلى النسوية بوصفها سؤالا روائيًا واجتماعيًا، حاول أن يخترق كل الطابوهات التي تكتسح الأنساق الاجتماعية العربية كاشفة اللاوعي الجمعي الذي يتمثل كوعي ذكوري. ومن ثم، ينتقل بنا التبئير الداخلي على هند إلى تمثل الذاكرة الأنثوية بين التاريخ الذكوري، والحاضر الأنثوي كما نستشف من خلال رمزية هند، ونزوعها نحو الانعتاق من سلطة الزوج الذي فُرض عليها وهي ما تزال طفلة، فضلا عن ممارسات الأعمام.

تتحول هند إلى آلية مولدة لمسارات سردية تكشف بنية الصراع بين الداخل والخارج، بين الذكورة بوصفها الذاكرة/ الماضي، والسلطة الذكورية كما تتجلى من خلال منصور، والتي تقيد وتعوق التقدم، وبين الحاضر كما ترسمه هند، وتتوق من خلاله إلى معانقة الحرية وتمثل أسئلة العصر. هذا التقابل بين نسق الشخصيتين يضعنا في قلب صراع، بين ثلاث فئات من الشخوص:

- شخوص تنتمي إلى نسق الذكورة: ويمثلها



الروائية بدرية البشر



منصور، هيلة، إبراهيم، جهير؛ والنسق الاجتماعي بكل معالمه الثقافية كما يظهر من خلال سلوكيات هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- شخوص تنتمي إلى الأنثوية: عواطف، شذا، سارة، عموشة.
- شخوص تعكس الانتقال من الأنثوية إلى النسوية: هند، فهد، وهو ما يسمح لها بإنتاج الرؤية للعالم من خلال فعل الكتابة بوصفها الملجأ والكينونة وفضاء بديلا عن الفضاء الذكوري المنغلق.

يمكننا القول: إن استرجاع هند للحظات تكشف ألم الحياة التي تعيشها المرأة وقساوتها، ووضعيتها في الهامش في مقابل المركز الذي يحتله الذكورة:

«لم يقل لي أحد من قبل إنني رائعة، كانت أمي ترى أن البنات سبب همومها وقلقها الليلي، وكان منصور يصنفني ضمن زمرة الحريم ناقصات العقل والدين، وإبراهيم ينظر إلـيّ بتوجس كلما مـررت بجانبه، وكأنني الشيطان بعينه، حتى أبي كان ينظر إلـيّ بشفقة.. وكأنني عصفور جريح يحتاج إلى قفص كي لا تأكله القطط»[٣]

يحاول السارد تفكيك وضعية الذات الأنثوية بين المركز والهامش من خلال استرجاع لحظات مؤلمة تمتد جذورها إلى التاريخ وذاكرة الأمة. فيستدرج الذاكرة للبوح والوقوف عند المسكوت عنه من خلال شخصية هيلة التي تحكي عن معاناتها مع ذكورية المجتمع منذ نعومة أظفارها؛ ما ولّد في نفسيتها حقدًا وإعدامًا لكل أثر للحب تجاه زوجها، ومما يبرر كذلك تصرفاتها العدوانية تجاه بناتها.

تمثيل الذاكرة والتحولات المجتمعية

ينتقل بنا السارد من سردية الذات الأنثوية كما يظهر من خلال شخصية «هند» إلى الذات إلى الأنثوية عموشة التاريخ من خلال ذاكرة الزنج والعبيد، ومن ثم، رصد التحولات الاجتماعية التي قام بها الملك من خلال فعل تحرير العبيد.

بيد أن استمرار الممارسات الذكورية وتوغل الأنساق الثقافية في الذوات الجمعية يكشف استمرارية النزعة الذكورية في المخيال واللاوعي الجمعي، وبالتالي امتداد النزعة الذكورية داخل الحاضر.

فشخصية عموشة التي تنحدر من أصول زنجية جاءت من عُمان التي عرفت رحلة العبيد القادمين من إفريقيا، ترفض

استقلاليتها وحريتها نظرا لغياب ملجأ أو مورد مالي يمكّنها من العيش في استقلال عن عائلة هند؛ ما يكشف أن النسق الذكوري نسق ينتمي إلى الماضي ويقدسه، كما سنعاين من خلال شخصية إبراهيم أخ هند الذي يمثل أنموذج الشخصية المتطرفة، وبالتالي فهي تعيش داخل فضاء مغلق يستلب هويتها وحريتها.

إن تطور المرحلة العمرية لإبراهيم ووضعيته المهمشة تأتي كاشفة للتطور وبنية الصراع مع الأنساق الاجتماعية وبالخصوص الصراع مع الأنوثة:

«دارت بيني وبينه معارك كثيرة بسبب كتابتي في الصحف، لم ينتصر فيها أحد غير الحكاية»[٤]

إن إلقاء الضوء على شخصية عموشة يكشف لنا ذاكرة الأمة وتجذر الأنساق الثقافية الذكورية في تاريخها ومتخيلها، كما أن شخصية الأم هيله تكشف هوية الذات الأنثوية بوصفها رمزًا للتناقض بين الماضي والحاضر. فهي تجسد كل أنساق الذكورة، كما يظهر من خلال ميلها إلى الذكور الأبناء وتسلطها على البنات، غير أنها بالمقابل تقف كطرف مقابل للذاكرة حيث يتأجج النسيان الأنثوي في مواجهة الماضي الذكوري الذي أرغمها على الزواج وهي طفلة، وغيرها من الممارسات الذكورية من طرف الزوج.

ولعل تأمل واقع الذات الأنثوية سواء كان مع هند، أو هيله أو عموشة أو عواطف، ليكشف وحدة المصير في مواجهة الذكورة التي تستلب الحرية، وترسم صورة المرأة المرتبطة بالعبودية، واختزالها في صورة جسد وأداة لإرواء عطش المكبوت الذكوري، وفي الآن ذاته توغّل النزعة الذكورية في الحاضر وكأنها إرث ثقافي تتقاسمه الأجيال.

تركيب واستنتاج

إن قراءة رواية «هند والعسكر» تقود إلى استخلاص انشغال السارد العربي بمحاولة تمثل أسئلة الأنساق الاجتماعية والثقافية من خلال قضية الذكورة والأنوثة. فالتحولات السياسية والتاريخية لم تفرز تحولات على صعيد الذهنية الاجتماعية والنسق الثقافي، بما يتماشى والعصر وأسئلة الراهن؛ ما أفرز مجموعة من الظواهر السلبية، كما نستشف من خلال تحولات شخصية إبراهيم الذي أصبح إرهابيا بفعل تأثره بالأفكار المنغلقة، والشيء نفسه بالنسبة لشخصية جهير التي انتهى بها المطاف إلى الهروب من واقعها والانسلاخ عن هويتها؛ ما يكشف التناقض والمفارقة في شخصيتهما معا كما يظهر من خلال انجذاب إبراهيم إلى الجارة التي استدرجته، والعلاقة التي نشأت بين جهير وزميلها.

---

* كاتب - المغرب.

(١) بدرية البشر. هند والعسكر. ط٥. دار الساقي. بيروت. ٢٠٠٦. ص: ٧.

(٢) بدرية البشر. المرجع نفسه. ص:

(٣) بدرية البشر. المرجع نفسه. ص: ١٩٢

(٤) المرجع نفسه. ص: ٩. بدرية البشر.



قراءةٌ في المجموعة القصصيَّة «مُخاتلة» لماجد مشافي

■ هيفاء حمد البصراوي*

صدرت مؤخَّرًا مجموعة قصصيَّة قصيرة، تحت عنوان «مُخاتلة»، للقاصِّ ماجد مشافي، عن مؤسسة الحازمي للنشر. ضمَّت المجموعة ثماني قصص قصيرة، حملت عناوين مختلفة: (فوبيا، ثائر، اغتراب، أحمر شفاة، حبٌّ يمحوه البياض، جزء من النصِّ مسجون، حيَّة تسعى، الأبال المهاب). القصص رسائل مُبطَّنة، يحاول القاصُّ إرسالها للقارئ، اختلفت تلك الرسائل باختلاف مقاصد القاصِّ، والتي تُستشَفُّ بعد قراءة كلِّ قصة؛ منها: رسالة رفض الآخر المختلف كما في قصة «فوبيا»، وضياع الفرص في قصة «اغتراب»، والغدر والاستغفال في قصة «أحمر الشفاة»، وسوء الظن كما في قصة «الأبال المهاب».

تمثِّل هذه المجموعة محاولة جادَّة، تمكَّن من خلالها القاصُّ من بناء قصصه بأسلوب يستقي مفرداته من مخزونه اللغوي الخاصِّ؛ إذ يلحظ القارئ الأسلوب المشترك بين القصص في تقديم المادة الحكائيَّة، وهذا بخلاف بعض الكتّاب الذين ربما بسبب انقطاعاتهم الزمنيَّة، ثم عودتهم للكتابة مرة أخرى، يلحظ القارئ في قصصهم اختلافًا أسلوبيًّا بين قصص المجموعة الواحدة، أو بين مجموعة قصصيَّة أو رواية وأخرى، وكأنها كتبت بأقلام مختلفة. ويحدث ذلك التغيير الأسلوبي نتيجة تثقيف القاصِّ نفسه بكثرة القراءة، وبالمزيد من الاطلاع داخل الجنس الأدبي أو خارجه، فمرور الزمن يسهم ولا شكَّ في صقل الأسلوب، وزيادة المخزون اللغوي؛ وهذا الطابع

لم نلمحه في مجموعة «مُخاتلة»؛ إذ ظلَّ الطابع الأسلوبي للقاص موحدًا وممتدًا إلى آخر قصة في المجموعة.

ولو تتبَّعنا بداية عناوين المجموعة القصصيَّة، بوصفها العتبة الأولى التي تعانق عين القارئ، وبوابة دخول أولى؛ وجدناها تتفاوت في بنيتها التركيبيَّة ما بين الطول والقِصَر؛ إذ جاءت العناوين الثلاثة الأولى بمفردة واحدة، في حين جاءت بقيَّة العناوين بمفردتين أو أكثر، يعتمد فيهما صيغة الإضافة مثل: «أحمر شفاه»، مع ما نلاحظه من خاصية حذف أحد أركان الجملة كحذف المبتدأ والاكتفاء بالخبر، كما في قصة «حيَّة تسعى»، ومع هذا التفاوت اختلف طول النصوص القصصيَّة، فمثلًا من النصوص الطويلة نص «ثائر»؛ إذ نلحظ امتداد نَفَس القاصِّ إلى تسع صفحات، وهذا يُحيل بطريق غير مباشرة إلى العنوان، فمن صفات الثائر الاسترسال في الكلام جَرَّاء الكبت، وهذا ما تَوافقَ مع أحد أبطال القصة «باسل»؛ فهو فلسطيني ثائر، له موقفه العنيف تجاه الغرب بشكل عامٍّ، والعدو الصهيوني بشكل خاصٍّ، فجاء القصُّ بهذا الطول.

ومن القصص القصيرة «فوبيا»، تلك الحالة التي تعني الخوف غير المبرَّر حيال الأشياء، وهي حالة تقترن- غالبًا- بقلة التعبير والكلام، وهذا ما انعكس على النصِّ؛ إذ اختار القاصُّ أسلوبًا قصصيًّا مُكثفًا يُرسل من خلاله رسالته للقارئ؛ فجاء النصُّ بهذا الشكل القصير.

وجاءت بعض العناوين تشي ببراعة القاص في اختيار بعض العناوين، وتوظيفها بطريقة تتناسب مع دلالات القصص، منها عنوان «جزء من النصِّ مسجون»؛ فالنصُّ يحكي قصة كاتب صحفي كتب مقالًا ولم يكمله، وكان ذلك الجزء يحمل تكهُّنات خطيرة؛ ما عرَّضه للسجن، فالقاصُّ اختار للنصِّ عنوان «جزء من النص مسجون» للدلالة على أن هناك جزءًا من المقال لم يكتمل، فهو ما يزال مسجونًا في ذهن الصحفي، لكنه أُطلق سراحة فيما بعد لضعف الإدانة الموجهة له، فبذلك أجاد القاصُّ في جعل جزء من النص غير المكتمل مسجونًا في العنوان، كما أن الصحفي مسجون على أرض الواقع- على الأقل- في هذه القصة.

ورأينا- أيضًا- على صعيد الأسلوب القصصي، تلبُّس القاص مهنة الواعظ الحكيم في بعض القصص، في الوقت الذي يُفترض أن يظلَّ سالكًا الأسلوب القصصي الإبداعي، من مثل قوله: «يا بني، الخوف غول صنعه الإنسان، ليتسلَّط به على الآخرين... حين تؤمن بنفسك لن تخاف، وحين تؤمن أن من تخاف منه، هو أكثر خوفًا منك، حين لا تخاف فلن تخاف»، مع تحفظنا على مثل هذه الجمل الوعظية المباشرة التى لا تتناسب مع الفن القصصي.

وعلى صعيد الأسلوب- أيضًا- لاحظنا تكرار القاص بعض الألفاظ بشكل لافت، مثل مفردة «**بالفعل**» التي لا تكاد تخلو منها قصة من القصص الواردة في المجموعة، ولا نعلم مبرِّرات ذلك الاستعمال، خصوصًا أن

الأسلوب لا يستدعي استحضارها- أحيانًا- من مثل قوله في قصة «حيَّة تسعى»، «مكث برهة من الزمن، ثم عاد إلى منزله والشرُّ بين عينيه، حينما دخل المنزل لم يسمع صوتها، بحث في المطبخ، فلم يعثر عليها، فتوجَّه لغرفة النوم، فوجدها تبكي بكاءً مريرًا، أخبرها أن عليها أن تحزم حقائبها، وأن ترحل إلى أهلها، صُعقت من كلامه، فهي لم تعتدْ أن تسمع منه هذه اللغة، حتى مع اشتداد الخلاف بينهما، **وبالفعل** ما هي إلا سويعات حتى حزمت حقائبها، وتوجهت لأسرتها»، فالعبارة الأخيرة من النصِّ تمثِّل حشوًا، يمكن أن تستقيم أسلوبيًّا دون مفردة «بالفعل» التي تكرَّرت في أكثر من نصٍّ.

وضمن بناء القصص، وجدنا بعضًا منها بُنِيَ على أجزاء غير منطقيَّة، من ذلك منطقيَّة الزمن، فهو عنصر مهمٌّ في القصة، وتحرِّي الدقة فيه يُكسب النصَّ الإبداعي احترافيَّة وإتقانًا، ففي قصة «اغتراب»، يقول القاصُّ: «وفي تمام الساعة السادسة صباحًا، يطرق رجل ملتحٍ باب منزل والد (إكرام)... فيعانقه بشدَّة، ثم يخبره بوفاة ابنه (عبدالقادر) غرقًا في البحر! لم يتمالك والد إكرام نفسه، فسقط على الأرض، فحمله ذلك الرجل وأدخله المنزل، وسط صراخ إكرام ووالدتها... ولم تكد تأتي الساعة الثامنة صباحًا، حتى عثر خفر السواحل المغربي على قارب محطَّم في عرض البحر.. وعند البحث عن هويات أصحاب الجثث الخمس، كانت جثة نبيل إحداها، استغرق جمع الجثامين وقتًا حتى قامت السلطات بالاتصال على محسن عمِّ نبيل، حيث رنَّ الهاتف وهو في منزله، قبيل مغادرته إلى المقهى الذي يقضي فيه جلَّ وقته...»، إذًا، نبيل لم يشف بعد من وفاة ابنه، ويفترض أنه ما يزال في مراسم العزاء، فكيف يخرج إلى المقهى ليقضي بعضًا من وقته هناك، وهو الذي تلقَّى خبر وفاته عند السادسة صباحًا، وعثرت السلطات على جثمان زوج ابنته عند الثامنة صباحًا، وأبلغته بعد ذلك؟!

لا شكَّ أن سرعة الأحداث واردة في القصص القصيرة؛ كون القاصِّ مُقيدًا بتحجيم قصته، فلا تتقلَّص وتغدو أقصوصة، ولا تطول وتصبح رواية؛ فالفترة الزمنيَّة بين تلقِّي خبر وفاة ابنه، ثم العثور على جثمان زوج ابنته أمرٌ ممكنٌ؛ لكن الزمن المطاطي غير المحدَّد الذي استغرقه وصول خبر



وفاة زوج ابنته، غير محبَّذ فنيًا في القصص القصيرة، ذلك الفن الذي يستوجب التكثيف والدقة والتحديد، وهذا ما أوقع القارئ في حيرة حيال مشهد خروج والد «إكرام» للمقهى.

وأما من الناحية الشكليَّة، فقد رأينا إسقاط بعض علامات الترقيم، من مثل القوسين الهلالين، اللذين وضعا على بعض أسماء العلم، وأُسقِطا من بعضها، مثل ما جاء في النص السابق؛ إذ وضع القوسين حول اسم إكرام وعبدالقادر، وأسقطا من الأسماء التالية في النصِّ: إكرام، نبيل، محسن.

ومن زاوية الوصف الذي يعدُّ عنصرًا له أهميته الخاصة في إكمال الصورة؛ وجدنا قصوره في بعض قصص المجموعة، والذي أحدث ارتباكًا في الصورة الذهنيَّة عند المتلقي، ففي قصة «جزء من النصِّ مسجون» يقول الصحفي الذي كُبِّل من قِبل الشرطة في حواره مع لجنة التحقيق:

– «أين أنا؟.

– أنت في غرفة التحقيق؟

– تحقيق! تحقيق ماذا؟ ما جنايتي؟

– لا تخفْ، وابق هادئًا، ولا تُخفِ عنا شيئا...

– أُخفي ماذا؟ أنا كاتب مرموق، ولا يليق أن أُعامَل هكذا!

– وماذا فعلنا بك؟ هل ضربناك؟ هل آذيناك؟

– لا، ولكن ماذا تسمِّي هذا القيد الذي يلف يَدَيَّ؟!

– إجراء احترازي، إن أردت أن نفكَّ عنك هذا القيد، فلك ذلك؟

– نعم، فكَّ عني القيد.

– حسنًا، ولكن أخبرني قبل ذلك، هل أنت من كتب هذا؟ ثم دفع إليه بورقة مكتوبة..

نظر إليها ثم قال: نعم...

هنا لم يأخذ الوصف حقَّه، ففي هذا المقطع لم تكتمل الصورة في ذهن المتلقِّي، فحين دفع المحقِّق الورقة المكتوبة إلى المتَّهم، أشعر القارئ مسبقًا بأن قيده لم يُفكَّ بعد، وحينها لم ترتسم الصورة بوضوح عند المتلقِّي؛ فهل دفع الورقة على طاولة التحقيق، أم إلى يدَي المتهم، هذا إن كان مُقيَّد اليدين من الأمام، أم ظلَّت الورقة بيد المحقِّق وأمام عين المتَّهم! إن الوصف عنصر مهمٌّ من عناصر الفنِّ القصصي، وغيابه أو قصوره قد يُلحِق الخلل في الصورة الخياليَّة عند المتلقي.

كل ذلك لا يُقلِّل بأي حال من قيمة المجموعة القصصيَّة، فهي محاولة أولى للقاصِّ، رَسَم من خلالها أسلوبه الخاصَّ، وطريقته المميزة، نتطلَّع من ورائها إلى مزيدٍ من العطاء، سواء على صعيد الإبداع الأدبي أم على الصعيد النقدي.

* كاتبة وأكاديمية سعودية.



المتنبي : رؤيةٌ تاريخيةٌ اجتماعيةٌ..

■ منى حسن*

لم تحتضن العربية شخصية شاعر أكثر جدلا من شخصية المتنبي، الذي شغل الباحثين حيًا وميتًا. وربما جاء ذلك تصديقا لقوله:

أنـــام مـــلء جـفـونـي عـــن شـــواردهـــا
ويـسـهـر الـخـلـقُ جـراهـا ويـخـتـصـمـوا

هكذا وصف المتنبي لغته الشعرية، بثقة العارف بما يفعل، والمدرك لما يقول.

كان المتنبي عبقريا في التقاطاته، جـزلا فـي لغته، وبليغًا فـي تصويره؛ ولكن لم يكن جُلُّ طموحه النبوغ كشاعر وحسب، بل كان يرى في نفسه عقلا حكيمًا وفارسًا مقدامًا، جديرًا بالحكم والسيادة اللذين شكلا هدفه الأول في الحياة. وكان يتباهى بفروسيته وشعره وشجاعته. لـذا، هجر سيف الدولة حين تكالب عليه الحساد، واستطاعوا التفريق بينهما، وذلـك بعد أن قرّبه سيف الدولة وأدنى مجلسه، ثم هجره وأقصاه. ولما فقد المتنبي الأمل في نيل منصب، أو حتى الحفاظ على مكانته لدى سيف الدولة بعد أن نجح الوشاة في إقصائه، وعلى رأسهم أبو فراس الحمداني، تسلل خفية وقصد كافور الإخشيـدي، نكاية فـي سيف الـدولـة وسعيًا نحو طموحه غير المحدود.

ولكن لم يلبث طموحه أن اصطدم بالخذلان والتسويف في بلاط كافور، الـذي لـم يكتف المتنبي هـذه المرة بهجره وحسب، بل خلَّد خذلانه لأحلامه وطموحاته في قصائد هجائية لاذعة

اللغة والصور، وغاضبة الألفاظ، اتخذت من سواد لونه وتاريخه كعبد للإخشيد مصدرًا للسخرية والتحقير، فأصبحت فيما بعد حجة لمن ينتقصون من قدر المتنبي شاعرًا وإنسانًا، وألحقت باسمه - رغم قلتها- صفة العنصرية التي يُهاجم ويُقابل بها كل متحدث أو مستشهد بشعر المتنبي في العصر الحديث.

ورغم احتشاد شعر المتنبي بالحكمة والفلسفة التي تتكئ على التفكر في الكون والحياة، والاستشهاد بالقرآن ومعانيه وصوره، ومدح الأخلاقيات الحميدة كالفروسية والكرم والشجاعة، وغيرها، والتي ذهب معظمها مضربًا للأمثال عبر التاريخ، إلا إن أغلب المطلعين على شعر



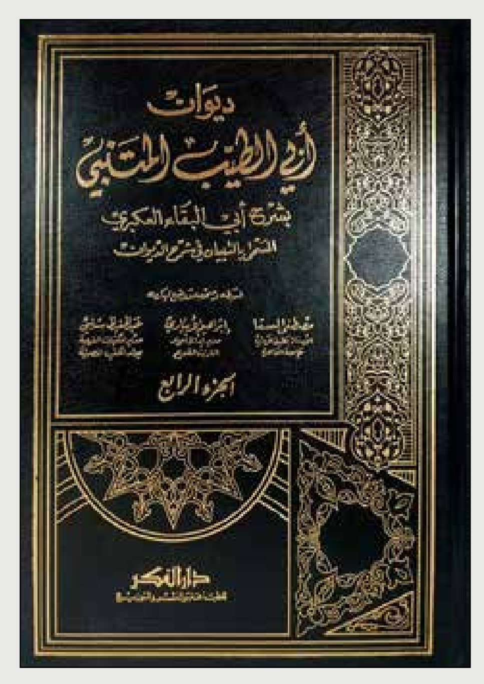
منى حسن وتمثال الشاعر المتنبي ببغداد

المتنبي في العصر الحديث من الشعراء والنقاد، يقللون من قدره شاعرًا، ويعيبون عليه العنصرية التي تجلت في أبشع صورها في هجائه لكافور الإخشيدي حين قرر هجره. إلى حد أن أصبحنا نرى كثيرًا من الدعوات والنداءات التي يطلقها مناهضو العنصرية في مواقع التواصل الاجتماعي والإعلام، التي تدعو إلى ضرورة الانتباه لخطورة أشعار المتنبي الهجائية، وتنادي بعدم تضمين أي من شعره في المناهج الدراسية، بل ويطالبون بحذف بعض نصوص ديوانه كونها تدعو للعنصرية، وتمجّدها، وتعيق حملات رفع الوعي ضدها.

مصدر هذه الخطورة التي يستشعرها منتقدو عنصرية المتنبي، ليس لأنه الشاعر العربي الوحيد الذي كتب أشعارًا بها ملامح عنصرية، ولكنها تكمن في كونه شاعر العربية الأكبر والأشهر، كما وصفه الكثير من النقاد والمهتمين عبر التاريخ، وكونه ظاهرة شعرية عظيمة. لذا فإنهم -أي مناهضي العنصرية - يخشون قوة تأثيره على أخلاقيات المجتمع، ويرون من منظورهم المثالي أن أشعار المتنبي يجب أن تكون قدوة للأخلاق الحسنة، لا محرضًا على الأخلاق السيئة، وأن المتنبي لا يستحق الثناء عليه شاعرًا عظيمًا بسبب عنصريته.

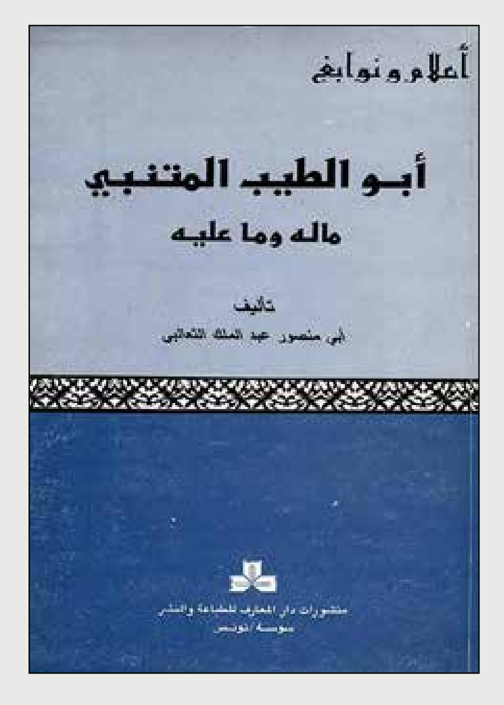
فهل كان المتنبي عنصريا كما يصفونه؟ أم أن شعره كان مرآة عاكسة لثقافة مجتمعه، وللحقبة التاريخية المحتشدة بالتغيرات الكبيرة والمنعطفات الحادّة التي نشأ فيها





وعايشها، والتي شهدت تحولات تاريخية وسياسية كبيرة كان أعظمها تفكك الدولة العباسية وتحولها لإمارات ودويلات صغيرة.

لكي نجيب على هذا التساؤل علينا أولا إدراك حقيقة أنه لا يمكننا بأي حال محاكمة نص بمعزل عن بيئته وظروفه التاريخية والاجتماعية والثقافية. إذ كان للشعر وما يزال دور كبير في التأريخ ليس للأحداث السياسية وحسب، بل لثقافة المجتمعات وتطور تفكيرها وتغير أفكارها ومفاهيمها ومعتقداتها عبر الزمن، فالعنصرية التي أصبحت تعد أخلاقيات غير مقبولة تمامًا في العصر الحديث، عصر إعلاء القيم الإنسانية، واستحداث القوانين المناهضة للعنصرية، وتغير المفاهيم، لم تكن تستنكرها الثقافة المنتشرة في مجتمع المتنبي حينها، تلك الثقافة التي تُقر العنصرية والقبلية وغيرها من أنواع التمييز الذي مارسه الإنسان على أخيه المختلف عبر العصور. وذلك رغم نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن العنصرية، ودعوته لهجرها ونبذها، إذ كان وما يزال هنالك تداخل كبير بين مفهوم العنصرية التي أنكرها الإسلام، والشاهد فيها قصة الصحابي أبي ذر مع الصحابي بلال بن رباح، رضي الله عنهما، حين نعته بابن السوداء، فأنكر النبي، صلى اللّه عليه وسلم، عليه ذلك قائلا: إنك امرؤ فيك جاهلية؛ ما دفع أبا ذر لوضع خده على التراب والإقسام على أن لا يرفعها حتى يطأ بلال على خده، اعتذارا لبلال رضي اللّه عنه، وتأديبًا لنفسه، وتأدبًا لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم. ومفهوم العبودية التي أقرها الإسلام، ولم يكن العبيد وقتها من



سود البشرة فقط. ولكن جاء قدر وحظ كافور الإخشيدي مع المتنبي أن يجتمع سواد بشرته مع تاريخ مثقل بالعبودية في شخص كافور حينها.

والعنصرية التي كانت تسري في عروق المجتمع في تلك الحقبة التي نشأ فيها المتنبي، والتي تجلت في شعره سهامًا في روح كافور الإخشيدي، عانى منها في الجاهلية عنترة بن شداد العبسي الأمرّين، وخلّد صراعه مع قسوتها شعرًا، مع مراعاة اختلاف الظروف بينهما، كون المتنبي كان من الفئة التي تمارسها لا ممن مورست عليهم كعنترة العبسي.

لذا، فإن دراسة شعر المتنبي، أو الحكم عليه لا يمكن أن تتم بمعزل عن ظروفه الذاتية والظروف السياسية والاجتماعية السائدة وقتها. والنظر إلى شعره من هذا المنظور الضيّق، ووصفه بالعنصرية وإقصائه شاعرًا قابضًا على شمس اللغة يعد إجحافًا كبيرًا في حق الشعر قبل الشاعر. وربما لو عاش المتنبي في عصرنا هذا لاستنكر ما قال واعتذر عنه. فهل من الواجب علينا فعلا حذف هذه الأشعار من الكتب وإعدامها وعدم الاطلاع عليها؟ أم أن الأجدى أن تترك مثالا وتأريخًا للظلم والتمييز الذي مورس على الإنسان، في حقب مظلمة إنسانيًا، وعظة وعبرة للأجيال.

كذلك، لا يفوتنا ذكر أن هجاء المتنبي لكافور لم يكن بسبب لونه أو عبوديته، بل جاء لعدم وفائه وتسويفه بالوعد، وكان اللون والعبودية أدوات استخدمها المتنبي لتحقير كافور واستصغاره!

وسواء مِلنا إلى وصفه بالعنصرية أم إلى نفيها عنه، فإننا نجد أنفسنا في الحالتين أمام شاعر لم تنجب الضاد مثله، معتد بنفسه قبل شعره، وسابق لأوانه وعصره، وشاغل لكل مهتم بالشعر واللغة العربية. استطاع وباستمرار إثارة الجدل بين خصومه ومحبيه في حياته وبعد مماته. فما يزال القراء والنقاد والمفكرون يتدارسون شعره، ويسهرون على شوارد لغته وأخيلته، ويسقطون عليها تأويلاتهم وتفاسيرهم.

أبرز أغراض الشعر لدى المتنبي

كتب المتنبي في أغراض عديدة أبرزها الفخر الذي شكّل السمة الأساس لشعره؛ إذ كان لا يُفوّت لذة أن يمدح نفسه ويتباهى بوصفها في أغلب نصوصه، حتى إنه يضع تباهيه بنفسه أولوية على ثنائه على ممدوحه. أبدع المتنبي أيضًا في المدح، الذي يتبرأ منه الشعراء المعاصرون ويكثرون من نقده والانتقاص منه، واصفين كل مَن يمدح أنه إنما يمدح استجداءً لمال أو مصلحة من الممدوح، حتى كاد فن المديح أن يتلاشى تمامًا، رغم كونه غرضًا أساسًا وأصيلا في الشعر العربي؛ فقد أرّخَ للصفات الحميدة عند العرب وسلّط الضوء عليها وعلى أهلها. وكان المتنبي يذهب بنفسه عن مدح غير الملوك والأمراء كما ورد عن أبي بكر الخوارزمي في كتاب «أبو الطيب المتنبي، ما



له وما عليه»، لأبي منصور الثعالبي، المتوفى في ٤٢٩هجرية، والذي يعد من أهم المراجع التي رصدت سيرة المتنبي، وناقشت ما وجه إليه من انتقادات، واتهامات، بحيادية، وتقصّي.

كانت قصائد المتنبي في سيف الدولة الحمداني دون غيره من أجمل وأخلد ما ثبت في ذاكرة الشعر العربي وذائقته، وكما قال أبو الطيب:

بَلَغْتُ بسَيْفِ الدّوْلَةِ النّورِ رُتْبَةً
أنَرْتُ بها مَا بَينَ غَرْبٍ وَمَشرِقِ

إذا شاءَ أنْ يَلْهُو بلِحيَةِ أحْمَقٍ
أراهُ غُبَاري ثمّ قالَ لَهُ الحَقِ

وكما قال الشاعر:

لولا أبو الطّيّبِ الكنديُّ ما امْتَلأَتْ
مَسَامِعُ النّاسِ مِنْ مَدحِ ابْنِ حَمْدَان

أيضا، وكما أسلفنا، فإن المتنبي طرق باب الهجاء، وأصبح من أشهر أغراض الشعر لديه، رغم قلة قصائده الهجائية التي كان لكافور الإخشيدي منها النصيب الأوفر.

أما أجمل أغراض شعره فكانت الرثائيات والإخوانيات والحكمة، وأشفها الغزل الذي كان وما يزال سيد المشهد في الشعر العربي قديمه وحديثه، والذي كان يفتتح به قصائده كعادة الشعراء في الزمان الأول فيما يسمى بالنسيب.

وفاته

قضى أبو الطيب حياته لاهثًا وراء طموحه الكبير، محملا بكبريائه، مزينًا سماء الشعر بنجوم إبداعه ومتنقلا بين الأمراء والبلدان بحثًا عن المجد، وكانت أيامه مع سيف الدولة هي الفترة الذهبية والمضيئة في حياته.

جاءت نهاية هذه الحياة الحافلة بالطموح، المحتفية بالشعر والكبرياء مأساوية؛ إذ انهزمت طموحات المتنبي وآماله أمام تهوره وكبريائه في طريق عودته محملا بالهدايا من عضد الدولة بشيراز، بالقرب من النعمانية، عند دير العاقول سنة «٣٥٤هـ - ٩٦٥م»، في موضع اسمه «الصافية»، حين وقع شاعر الخيل والبيد في يد قاطع الطرق فاتك الأسدي، وقوع الكتاب في يد الجاهل الذي لا يدرك قيمته، ولقي حتفه على يد مَن لا يعي أنه قام بإنهاء حياة أعظم وأكثر شاعر مثير للجدل في تاريخ العربية، رغم اعتراض الكثيرين على هذه الحقيقة.

المراجع:

١. التبيان في شرح الديوان للعكبري.

٢. أبو الطيب المتنبي، ماله وما عليه لأبي منصور الثعالبي.

---

* كاتبة- السودان.

مُـشـتَـبَهٌ بِهِ

■ عبدالله محمد العبدالمحسن*

مُني باسل بخسارة فادحة؛ لقد فقد بالكامل ثروة لا تقدر بثمن، جمع نفائسها على مدى عامين كاملين، هما مدة بعثته للحصول على الماجستير في علم المكتبات والمعلومات، لا نبالغ إذا وصفنا بعثته بمهمة البحث عن الكتب، ثروة صرف الوقت والمال في جمعها، انتقاها بدراية وعناية فائقة، لتكون مورده الذي يغذّي به ثقافته في بيئة قاحلة، يندر فيها وجود مثل هذه المصادر.

تعاطفت معه شركةُ الشحن، بذلت ما في وسعها، استخدمت كل سبل التقصي والتحري، ولم توفق في معرفة سبب فقد شحنة الكتب ومكانها، لكنها لم توصد باب الأمل في العثور عليها، وعرضت عليه تعويضًا، فرد منفعلا منكسرًا:

- هل الكتب والمذكرات تعوّض!

طوى وثائق الشحن كشاهدة وفاة عزيز، أو صك ملك مستلب ودسّها في حقيبته، ولا يزال محتفظا بها تذكارًا مؤلمًا، لعل الأيام تكشف حقيقة مآلها ويستعيدها.

لا تبارح مخيلته عناوين الكتب وملامح أغلفتها كوجوه مفتون بها، كم حَلم أن يزين بها صالة منزله، وأن يستعرضها متباهيًا أمام مَن تعنيهم الكتب. ظل مشغول الذهن بلغز اختفائها. لو كانت شرطة FBI تريد أن تصادرها، لأقدمت على ذلك يوم زار فريق منها شقته، وتفقدوها كتابًا كتابًا، كذلك استبعد أن تصادرها جهات الرقابة الإعلامية في المملكة دون إشعاره. أكثر ما تدور الشبهة حول إهمال موظف مكتب الشحن، كان ثملا صباح يوم سبت، حين استلمها من باسل، ربما أخطأ في تدوين

العنوان، فتاهت الكتب، لقد كانت عملية شحن السيارة والكتب ليست ميسرة بسبب انعكاس أحداث ١١ من سبتمبر على معاملة الأمريكيين للسعوديين.

أصبح فقدان الكتب مصدر ألم، كما كان جمعها متعة من متع العمر، جمعها أشبه برحلات الترويح والقنص، يصعد جذلانًا هضبة متوسطة الارتفاع، تتيح له مشهدًا مهيبًا للغروب، الأشعة الذهبية كعقارب ساعة تؤكد أنه أتى في وقته الأسبوعي المعتاد إلى فرع من فروع مكتبة (بارنز اند نوبل) العريقة والمنتشرة في مدن أمريكا، يقصدها لقضاء إجازة نهاية الأسبوع في رحابها. مكتبة اختار لها صاحبها موقعًا جاذبًا، يصلح أن يكون منتجعًا للراحة والاستجمام، وزوّدها بالكتب القيمة والدوريات الرصينة، ووفر فيها ما يجتذب القرّاء: قاعة هادئة ذات أرائك دمثة مريحة، مقهى آية من جمال التصميم والهدوء حتى لا يكاد يُسمع همس، يحتل المقهى الباذخ ركنا من أركان المكتبة، يطل على فتنة الهضبة، يدعو باسل كلما ارتاد المكتبة لاحتساء فنجان من القهوة وبيده كتاب، أو مجلة، بعيدًا عن ضوضاء المدينة.. يقصد ذلك المقعد الذي أصبح مخصصًا له منذ استأذن باسل صاحب المقهى أن يحركه قليلا من موضعه، وينصبه بزاوية تجعله في مواجهة فتنة الهضبة، يذكّره بالمقعد الذي خصصته له شقيقته أم مشعل في صالة منزلها الواقع أسفل قلعة زعبل، ليرى إطلالة القلعة، ولم تكتف بذلك، بل أرسلت له صورة للقلعة من صالة منزلها يظهر



عبدالله العبدالمحسن

فيها المقعد الشاغر، وكأنها تذكّره بأن مقعده وهي ينتظران زيارته، ما برحت هذه الصورة العزيزة على قلبه معلّقة في مكتبه منذ عقدين؛ شرفة يطل منها على القلعة، ومنها يحلّق فوق غابة نخيل الجوف.

مكتبة فوق تلة موقع جعلها مجالا للترويح عن النفس، خاصة مشهد الغروب الساحر، الذي ينقل باسل إلى قمة قلعة زعبل المطلة على حقول النخل، ذلك المشهد ومقتنيات المكتبة يغريانه أن يواظب بانتظام على زيارتها والشراء منها، وعلى الرغم من أن نظام المكتبة يتيح للرواد قراءة ما شاءوا من مقتنياتها دون اشتراط الشراء، إلا إن باسل أكثر روادها شراءً، فدخل سجل روادها المميزين. كانت محصلة ما اقتناه خلال هذه الزيارات نحو خمسين كتابًا؛ ما لفت نظر البائع في الكاونتر رقم ٣ خفيف الظل دمث المعاملة أن يعلق:

أنت سوسة كتب، تميّز الغث من السمين.

ما طلبته من النوادر النافدة. لم نعثر على نسخ منها في فروع مكتبتنا، سنأمر بطباعتها، بعد أسبوعين ستجهز، إذا لم يكن لديك مانعٌ من الانتظار.

"خدمة الطباعة" معلومة سمعها من عميد الكلية الذي يُدرّسهم مقرر (إدارة المعرفة) في إشادته بهذه المكتبة التي تعود نِشأتها، كما حدثهم إلى سنة ١٨٧٣م. حصل باسل على تقدير عالٍ في الدرجات بفضل اعتماده بعض إصدارات هذه المكتبة مراجعًا مثل كتاب: (بين عصرين) لبريجينسكي، وكتاب (الاستشراق) لإدوارد سعيد، كما نال حظوة العميد إذ اختاره واحدًا من ثلاثة انتقاهم من بين الطلبة «صيني وأمريكية»، ليشرف على بحوثهما الجامعية.

يصرف فيها ساعة ونصف قبل الغروب، وساعة ونصف بعده، وعندما يشبع نهمه منها يخرج غير راغب في مغادرتها، لولا إغراء آخر لا يقاوم لرصيف جامعة قريبة ذي أشجار مشذبة بأناقة لافتة، يدعوه للمشي مسافة طويلة، حتى ينتهي بمقهى تركي أشبه بتكية مولوية، جدرانه مزدانة بلوحات خط النسخ الرشيق، الفن الذي يعشقه، وأبدع فيه أعمالا نشرها في مجلات رصينة، زيّنت جدران المقهى لوحات تحمل بعضها عبارات منتقاة من أقوال العارف جلال الدين الرومي، الشاعر المقروء باهتمام من قبل الأمريكان، أقوال تحيل إلى جوهر صوفية الشرق الساحر. يعاود قراءتها كدعاء كلما قصد المقهى، يؤثر منه تلك الأقوال: لا تقعد وتنتظر، بل انطلق إلى الخارج، واشعر بالحياة. لا تأتيك الأيام الجميلة من تلقاء نفسها! عليك أن تسعى إليها. يستهل السهرة عازف يناغش قصبة الناي نحولا ورشاقة، صادق المشاعر، مرهف الأحاسيس، يتدفق عزفًا منفردًا تحلّق الأرواح بأنغامه في سمو صوفي نحو ساعتين.

يصف باسل ما ينفق من وقت في المكتبة وفي هذا المقهى بأحلى ساعات العمر وأثراها، هي فعلا من أجمل ساعات العمر حقًا. تجتمع فيها عناصر جلال المكتبة وجمال الطبيعة من حولها، ووجبة شهية من المشويات التركية مع أنغام العود، يعود بعدها إلى سكنه بانتشاء، لقد غذّى العقل والروح والجسد حدَّ البهجة، وبه نشاط يحرّضه أن يستهل مساء آخر.

يتذكر ذلك اليوم الحاسم الذي قسم التاريخ عصرين ما قبله، وما بعده، اليوم الحادي عشر من سبتمبر نهض فيه باكرًا، وفق جدوله اليومي المعتاد في السادسة، وضع البن في جهاز إعداد القهوة، التلقيمة، كما يطلق عليها متذكرًا قهوة والده، تحتاج نصف ساعة حين يبدأ في السابعة دراسته لساعتين، ثم يستريح لدقائق تتخللها مشاهدة موجز الأنباء، لفت نظره حين فتح التلفاز ذلك اليوم مشهد طائرتين تصطدمان بمبنيين، أبراج تنهار كأنها من كرتون، دخان يتصاعد، جثث تتهاوى من علو شاهق، ظن ما يعرض فيلمًا، لعدم اعتياده القنوات المحلية، فقد أوقف اشتراكه في القنوات من ضمن إجراءات العودة الوشيكة إلى الوطن بعد انتهاء بعثته، ومنها قناة CNN مضحيًا ببرنامجه الأثيري (لاري كنج لايف)، والاكتفاء بالقنوات الأساسات المحلية، أغلق التلفاز، ليكمل دراسته، فسمع نغمة رسالة في

جواله، رسالة صوتية من صديق في الوطن، ساوره قلق، فليس من المعتاد أن يتواصل معه هذا الوقت، بادر بالاتصال المباشر، وجاءه النبأ العظيم بأن المشهد الذي صرف عنه اهتمامه ليس فيلمًا من صناعة هوليوود، إنما حادثة قسمت التاريخ لعصرين.. ما قبلها وما بعدها. لمتابعة الحدث التاريخي الكبير، حاول إعادة الاشتراك في القنوات، لكنه وجد صعوبة غير معتادة عند التواصل، شمَّ فيها رائحة العنصرية النتنة. خرج من شقته للاستطلاع، أصيب بالذهول، العلم الأمريكي يكاد يكون على كل شرفة، وفي الشوارع تبادر لذهنه أنها مرحلة جديدة يدخلها التاريخ الأمريكي والعالمي بما تحمل من تغير شامل.

بعد الانفجار الكبير (Big Bang)، كما أطلق باسل على تفجير برجي التجارة العالمية، بأسابيع قُرع جرس شقته، فنهض ليفتح الباب للطارق بإلحاح صباحًا، ثلاثة رجال أمن، أفسح لهم دون تردد، وكأنه على موعد مرتقب بزيارتهم، كان متوقعًا هذه الزيارة منذ سمع أن بعض الطلبة من موطنه تعرضوا للمساءلة ومداهمات لتفتيش سكنهم أعقاب ذلك الحادث العظيم، انقلبت معاملتهم رأسًا على عقب، إذ لاحقت الشبهة الشباب القادمين من المملكة للدراسة في أمريكا بعد اتهام خمسة عشر شابًا سعوديًا من تسعة عشر في تدبير الهجوم على برجي التجارة.

لم يتوقع أحد أن يحدث هذا الانقلاب المفاجئ في معاملة الأمريكان للطلبة السعوديين المرحب بهم دائمًا؛ إذ كانوا يستقبلون بود واحترام، ويعاملون كأنهم موظفون في السلك الدبلوماسي، يتمتعون بحصانة دبلوماسية، لأنهم عادة مسالمون، إما منصرفون لطلب العلم، أو لاهين بمتع الحياة، لا يصدر عنهم شغب أو فوضى، لا تحوم حولهم الشبهات، فهم ليسوا من ذوي سوابق، وليسوا ممن يعانون من عوز قد يدفعهم لارتكاب محظور. فجأة تحولوا لعناصر إرهابية- متهمون حتى تثبت براءتهم، وتنكّر الأمريكان للحاهم المباركة التي كان أصحابها يحملون السلاح، ويقاتلون مع الأمريكان كتفًا لكتف في حربهم ضد السوفييت بأفغانستان في الجهاد -الحرب المقدسة، والآن استوحوا من لحية بن لادن وعمامته رسمًا، ليصبح أيقونة للإرهاب.

لم يحاول أن يخفي شيئًا مما في شقته، ليس فيها ما يقلق.. مجرد كتب، لم يكن خائفًا منهم، ولا وجِلا، فهو غير منتمٍ لا لمنظمة، ولا لجماعة محظورة، هو منتمٍ فقط للكتب وللدراسة، ليفتشوا الكتب، إنه لم يهربها إلى بلادهم، اشتراها من سوقهم الزاخر بمثلها، ومعظم من ألّفوها يحملون الجنسية الأمريكية، وهي موضوعة على رفوف مكتبة الكونجرس ومتاحة للجميع، بل تضم مكتبتهم ما هو أخطر منها، فما هو الجرم أن يقتنيها! سيقول لهم إن سألوه عن سبب اقتنائه هذه الكتب؟ إن اقتناء الكتب من صلب عمله، إذ يعمل في إدارة مسئولة عن تزويد المكتبة الوطنية بالكتب. يعرف أن كتبه قد تثير الشبهة، فلن تنطلي على عناصر أمن محترفين، إن مَن يقتني هذه المجموعة مجرد طالب بسيط يدرس علم المكتبات. منذ

دخلوا شقته، وألقوا نظرة خاطفة على كتبه، أدركوا انهم في منزل شخص مختلف ليس إرهابيًا، لكنه أخطر، من أولئك الذين فجروا أبراجهم. قبل أن يتفرغوا لتفقد الكتب، سألوه عن معاني الشعارات المريبة المعلقة في صالته، الكتب قد لا تعكس بالضرورة فكر مَن يقتنيها، لكن الشعارات مداخل سريعة ومباشره تقود لفهم مَن يرفعها. ترجم لهم قول المتنبي: وخير جليس في الزمان كتاب، ثم ساعد ذلك الذي يحاول أن يتهجى بتعثر الأحرف الألمانية لشعار:(Buecher Leser erkennen nie eine Niederiage an) مَن يقرأ لا يهزم، شعار رفع في معرض الكتاب بفرانكفورت، نال إعجابه فرسم بخط رشيق جميل استعار انحناءاته وزوايا التقاء الحروف من الهندسة بالمنقلة والفرجار، ليبدع ببراعة لوحة فنية تضعه في مصاف الخطاطين الكبار، وعلى الرف المقابل علق شعارًا استعاره من الشاعر ملتون: (من يقتل إنسانًا يقتل إنسانًا، ومن يحرق كتابًا يقتل عقلا). ومن يصادر كتابًا يصادر حرية، عبارة جادت بها قريحته ودَّ أن يطلقها في وجه مدّعي الحريات، عندما رآهم يراكمون كتبه على طاولة الشاي، بعد أن أنزلوا جلها من رفوفها، وظن أنهم سيصادرونها. لا شك أنه يدرك أن عناوين الكتب تستفزهم، أولها كتاب عنوانه: «وداعا للحلم الأمريكي» لتشومسكي، ولأندريه فولتشيك كتابان: الكشف عن أكاذيب الإمبريالية، أندونيسيا أرخبيل الخوف، ولكورنيل ويست ثلاثة كتب: مسألة الديمقراطية، استعادة الأمل، فتات الخبز: الحياة السوداء المتمردة. المجموعة الكاملة لمؤلفات برنالد لويس صاحب مشروع تفتيت دول الشرق الأوسط، وكتب تثير الشبهة فيه «التطهير العرقي لفلسطين» وكتاب «عشر خرافات عن إسرائيل» لإيلان بابيه، أفردوها جانبًا، ثم أضافوا لها كتابين آخرين من مؤلفات المؤرخ الإسرائيلي شالومو ساند: متى وكيف تم اختراع إسرائيل؟ ومؤلفه التوأم اللصيق: متى وكيف تم اختراع الشعب اليهودي؟

استل المفتش كتابًا من بين الكتب عنوانه: أحجار على رقعة الشطرنج لويليم كار. باسل لا يظن أن المفتش على علم بأن هذا الكتاب الخطير كان وبالا على مؤلفه وأسرته، إذ اغتيلوا جميعًا في ظروف غامضة عبرة لمن ينوي التطرق للمحظور، فهذه المعلومة تحفّظ عليها إعلامهم الضخم. كتاب فضح سر صناعة حروب الدمار، وكشف مخططات اليهود السرية للسيطرة على العالم، وافتعال الأزمات الاقتصادية، وأشار بوضوح إلى القوى الخفية التي تدير القادة والشعوب على رقعة الشطرنج. كان باسل يراقبهم من زاوية عينه، رآهم منهمكين، يبدو.. كانوا على علم أنهم سيفتشون بيت شخص مثقف، لذا أرسلوا من يفقه في الكتب.

كتب كلها مثيرة للجدل، لكن هذا أخطرها، تناقلته أيدي المفتشين بحذر، وكأنه عبوة ناسفة، يريدون إبطال مفعولها. إن من تضم مكتبته مثل هذه الكتب ليس شخصًا عاديًا، لا يستبعد أنهم خلصوا لهذه النتيجة. شمّوا فيه رائحة إنسان مثقف ذي شأن جعلهم يتحسسون مسدساتهم[1].

قد تدينه هذه الكتب على الأقل بتهمة معاداة السامية، إنها تهمة نكراء تتداعى لها أمريكا، لا تقل عن جريمة تفجير برجيّ التجارة. هز المفتش بعنف آخر كتاب، وكأنه يريد أن تتساقط محتوياته. إنه ديوان الشاعر ألن جينسبرج: أخبار الكوكب. قصائد تدين حرب فيتنام، والتلوث البيئي، والتمييز العنصري.. الجرائم التي تدان بها أمريكا.

شقته شبه مستودع لمتفجرات تنتظر ذكيًا يفض ختمها، ويفجر ما تبقى من أبراج في هذه الكيان الغاشم، ويغرق أساطيل العدوان المنتشرة في المحيطات، لترهب أهل الأرض.

لن يغيب عنهم أن هذا النوع من الكتب لا يهتم بها إلا مختص بالشأن الأمريكي، بل معاداة أمريكا، ليست مجموعته المختارة بعناية من تلك الكتب التي تقرأ بجوار البركة. سيطمئنهم إن لزم الأمر أن نحو أربعة ملايين كتاب في مكتبة الكونجرس من إنتاج الفكر الإنساني لم تغيّر أمريكا، لم تقلب نظامها المتوحش، لم تجعلهم أكثر إنسانية ورحمة. مع قناعته أن الكتاب قد يغير التاريخ دون إراقة قطرة دم. سيقول لهم إن سُمح له:

- لا تقلقوا من الكتب. ليس بالضرورة أن يتأثر الإنسان بما يقرأ.

بالتأكيد لن يقول إن هذه المجموعة المنتقاة بعناية ودراية تعينه على فهم أعمق كيف تُحرَك البيادق على رقعة الشطرنج.

ليست الكتب المصفوفة على الرف وحدها، ولا التي وجدوها في حقائب وأكياس هي ما أثارت شبهتم فيه، إنما الأدهى والأمر الصورة التي زين بها جدار صالته. صورة إنجيلا ديفيس[٢] في شبابها جالسة على كرسي متواضع مستغرقة في تفكير عميق باحثة عن مخرج لهموم الإنسان المضطهد، ويظهر في تلك الصورة أرنست تشي غيفارا رمز الثورة ضد الظلم والطغيان. ليت باسل لم ينخدع بحرية أمريكا، واختار بدلا منها المغنية الزنجية نانسي ويلسون، أو مايكل جاكسون، والأفضل منهم جميعا صورة مارلين مونرو الشقراء- أيقونة الإغراء، وهي في فستانها الأبيض، والهواء الوقح المنبعث من فتحة التهوية لمترو الأنفاق يحاول أن يميط فستانها عن ساقيها وفخذيها المترفة، وهي تجاهد خجلا وغنجًا أن تستر سوأتها بِلَمّ أطرافه على مفاتنها. صورة قد تخفف عنه وقع الشبهة، نعم لو زين بها جدار صالته. إنه شاب وواضح أنه يمتلك الصحة، وذي سعة في الرزق، ويعشق الفن والجمال. هذا ما يشي به أثاث شقته، وما كشفت عنه خزانة ملابسه، حين فتشوها أنه ذو ذوق رفيع، ويبذل المال بسخاء من أجل الأناقة، باختصار يحب الحياة.

غادروا شقته بعد أن دونوا ملاحظاتهم، وتوعدوه بلغة مستفزة:

لنا عودة أخرى.

أقفل الباب خلفهم، تمنى لو تجاسر وقال لهم:

اذهبوا فتشوا عن خيوط الجريمة عند أولئك الذين كانوا يتراقصون أمام عدسات

الكأميرات منتشين، وهم يتابعون انهيار برجي التجارة العالمية، كأنهم مشجعو كرة قدم، سجل فريقهم هدف الكأس!

كيف ستقنعون ذوي العقول أن الأبراج انهارت من قواعدها الفولاذية بفعل طائرة مدنية مثقلة بالإمكان اصطيادها بقذيفة مدفع، طائرة تطير لا بسرعة الضوء، ولا بسرعة الصوت، هذا ما تحفظ عليه بالأمس حين أصرت صحيفة الجامعة ECHO (الصدى) على إجراء لقاء صحفي معه. نصب سؤال محررها فخا بأحكام:

ما تفسيرك لتضحية الخاطفين بحياتهم بهذه الطريقة؟

لا مجال أن يعتذر عن اللقاء، كيف يهرب من إجابة قد تلامس السياسة، أو الدين. اكتفى بجواب مقتضب لا يشفي غليله، ولا غليل السائل:

ليس لديهم ما يخسرونه!

ألح السائل أن يوضح جوابه بمثال، فاستشهد باسل بأبطال المقاومة الفلسطينية الذين يلجؤون للعمليات الاستشهادية لتساوي الحياة والعدم.

لم تنته معاناته بزيارة فريق الشرطة الفدرالية لشقته، ولا بسؤال صحيفة الجامعة، بل تعقبته بشكل سافر في المطار، وهو في رحلة العودة إلى الوطن، يوم مُدْلَهِم أليم تزامن مع انهمار الثلوج بكثافة، أبقته مشدودًا في تواصل مع شركة الطيران لاحتمال تأجيل الرحلة، فالثلوج تغطي كل شيء. قصد المطار، أنهى إجراء الحصول على بطاقة الصعود للطائرة، وفوجئ بسؤال مختصة الشحن مشفوعًا بنظرة شك وريبة:

أنت منظم أكثر مما ينبغي!

هو بالفعل هكذا منذ طفولته. إحدى حقائبه مليئة بهدايا العودة، وأخرى خصصت لملابسه. لم يكترث بسؤالها، دخل صالة المغادرة ظانًا أن كل العوائق انتهت، ألقى نظرة إلى الثلج المتراكم خلف زجاج الصالة، اصطف مع المغادرين، أفسح لأسرة من الهند بطفلين أن يتقدموه رأفة بالطفلين، وفوجئ بعد دقائق برجل وسيدة من عناصر الأمن ينظران إليه بصلف وازدراء، ثم يطلبان منه العودة للصالة، أخرجوه عنوة من صف صعود الطائرة، فاستوقفهما بحزم مَن له حق في السفر، وإجراءاته تمت دون اعتراض:

- هل يمكن معرفة السبب؟

فردت ضابطة الأمن:

- زيادة حمولة الطائرة.

أخبرها أن أمتعته قد شحنها، ورفع صوته قائلا:

- ووزني ٧٣ كغم.

ليستفز كتلة اللحم المتضخمة الذي يقف بجوارها، وأضاف:

ورحلة الارتباط للعودة على الخطوط السعودية التاسعة مساء يصعب تغييرها.

فحاولت تخفيف معاملة زميلها الفظة قائلة:

ستغادر على الرحلة القادمة بعد أقل من ساعتين.

ساعتان هما أطول ساعات العمر مضضًا، وأثقلها وطأة على الروح ليس بسبب الصقيع، أو قلة النوم الليلة السالفة، بل إساءة رجل الأمن. بعد مرور أكثر من ساعتين صعد الطائرة الموعودة، بحث عن مقعده، فكان آخر مقعد في الطائرة، بعد جلوسه، واكتمال الركاب بدقائق دخل رجلان لهما بنية رياضة واضحة، لا يبدو عليهما الاستعداد للسفر، تبادل مع أحدهما نظرة استغراب، احتلا المقعدين المجاورين إليه، واحد عن يمينه والآخر عن شماله، وأخذا يرسلان نظرات ريبة إليه، وليهرب من شباك تلك النظرات العدوانية أخرج من حقيبته اليدوية مجلة، لعل تصفحها يخفف عليه وطأة النظرات البغيضة، ووعثاء السفر. بعد إقلاع الطائرة بثلث ساعة تقريبًا اصطدمت بكتلة ثلج ضخمة، فارتجفت الطائرة مترنحة، صرخ معظم الركاب حتى الكبار منهم. ظن باسل أنها ستسقط، اغتاظ رجلا الأمن، استفزهما اللغط الذي أثاره ارتطام الطائرة بكتلة الثلج، وتنفس حديث تفجير أبراج التجارة الذي انبعث بقوة، أما باسل لم يكترث، أغلق المجلة فقط، وراح ينظر إلى غلافها، ظل رجلا الأمن متربصين به طوال الرحلة من مطار رالي إلى مطار نيويورك.

انتابه شعور بهيج عندما دخل صالة الخطوط السعودية في مطار نيويورك، شعر أنه وصل الوطن. أخذ مجلة المجلة استعدادًا لرحلة قد تستغرق أحد عشر ساعة، لفت انتباهه غلافها. عائشة معمر القذافي في لباس غريب، وعنوان أغرب هل ستحكم هذه المرأة ليبيا؟ سمع عنها باسل أنها مهتمة بالقضايا العربية والإنسانية، والمرأة والطفولة، لقبت بأميرة السلام، وسفيرة النوايا الحسنة للأمم المتحدة، ألا يكفيها هذا مجدًا! لِمَ تطمع في السلطةّ! تساءل باسل:

هل ستظل السلطة حلم أبناء هذه الأمةّ وبناتها ومُفسدتهم!

بددت رؤية البحر الأحمر تعب الرحلة والسهر ليليتين، وأنسته سوء معاملة رجال الأمن الفظّة، ومحت كآبة منظر الثلج، وسوء المنقلب، تراءت عن بعد عروس البحر الأحمر مسترخية على الشاطئ تنعم بالدفء، دبت فيه حيوية تشبه حيويته، وهو يصعد الهضبة متوجهًا إلى المكتبة، أو هو يصعد قلعة زعبل. اعتدل المزاج، فراح يقلب خيارات تسجيلات الطائرة، جادت عليه بلحن لمغن مقل:

(عاش من شافك).

---

* كاتب سعودي.

(١) (كلما سمعت كلمة مثقف تحسست مسدسي) مقولة لجوزيف جوبلز وزير دعاية هتلر.

(٢) مفكرة وناشطة أمريكية من أصول أفريقية.

وقفةُ الكلمات

■ رائد المقبل*

كيف أفتتحُ هذا الصمت، والكلمات تنظر إلـيّ عابسةً مسترخيةً، أجرّها للحديث ولا تتحرّك. كيف يجري القلم على ورقي ويملأ الأسطر؟ وكلماتي هكذا مستلقية! كيف أسوسُ الأفكار والخيالات وأغزل الجمل والفقرات؟ وكلماتي تحاول التملص والهرب!

وقفتْ كلماتي وقفةً واحدة وقالت: ليس لنا من الأمر شيء. إلهامك يلهمنا، لن نُكتب هكذا لمجرد الكتابة؛ بل يجب أن نُكتب بصدق وإخلاص وضمير وروح؛ يجب أن نشتعل اشتعالا كي نُكتب، نحن لا نملأ العواميد ولا نقيّد بعدد كلمات.. نحن كتل موحّدة، نحن حياة واحدة، بلا إيجازٍ يقصمنا، ولا إطنابٍ يقطّعنا.

نفضّل مفازات الصمت على أن نُكتب بطريقة مثل هذه، نفضّل البراري والقفار والجمل المقتضبة، وكلام الخاطر الذي لا يخرج؛ على أن نصبح حبرا على ورق بلا روح ومعنى وحسن كتابة. والكتابة الحسنة يا أخي لا تكون إلا بإلهام جيد، وصفاء نفس، وطول بالٍ وأناة.

رائد المقبل

نحن لا نحب الكتابة المستعجلة، كأنّ الكاتب يريد التخلّص منا، والفوز بنصٍّ يعجبه ويسرّه، وقد لا يعلم أنّه لا يعجب الآخرين ولا يسرّ الناظرين. نحبّهُ أن يستطعم الكلمات، ويزاوج بينها وبين الأفكار، نحبّهُ أن ينظر إلينا كلمة كلمة، وأن نعلم مكاننا عنده من عينيه. نحبّه أن يكون بيننا مدّة أطول وأن نكون معه محيطين به، نمسّهُ دون أن نخاف.

سكتت الكلمات، ولبرهةٍ جعلتُ أنظر إليها، والعرق ينزل من جبيني، وكلماتي بدأت بالتفرّق في كلّ مكان. أردتُ جمعها ومناداتها. وقلت في نفسي: وهل من مجيب!

---

* كاتب سعودي.

زهرةُ الأوريس

■ مريم الشكيلية*

أتعلم ما هو أكثر جزء يضج بالحياة في أجزائي كلها.. هي أصابعي عندما تشرع في كتابة رسائلي تلك..

أشعر عندها إنها الوحيدة التي تخرج من تلك القوقعة التي أنا فيها؛ منعزلًا عن الضوء والوجوه...

لا أعلم لِمَ كانت رسالتك الأخيرة تفوح منها رائحة البحر والقهوة! هل كتبتها من شرفتك المقابلة له؟ هل كان البحر هادئًا ككلماتك..؟ أستطيع تخيلك عندما ترتب الأحرف المكتوبة على الورق الهائج بفعل الرياح الآتية من الموج.. كما أستطيع أن أقرأ عادتك عندما تنسى قهوتك حتى تبرد وتستشيط غضبًا من نسيانك..

أعلم أن رسائلي تصلك وهي مكتظة بالأحاديث الطويلة، وأنني أشعرك بحجم الكلمات التي تخرج من موقد قلمي وتهطل إليك كالسيل، بلا مظلات تقيك هذا الهطول الكثيف..

سألتني في رسالتك الأخيرة هل أفكر في السفر إلى فلورنسا...؟! كنت أود أن أسير نحو ذاك المقهى الصباحي على جانبي الرصيف المبلل بنكهة الشتاءات الباردة في منتصف شهر كانون الجليدي، وأجلس في ذاك المقعد المطلّ على الخارج، وأحتسي فنجانك، وأبخرة القهوة تعانق برودة المكان.. ولكن لا لن أكون موجودة هناك رغم إغراء صفير القطارات..

كنت أود أن أسأل لماذا يختبئ أوريس في منتصف الكتب التي نستعيرها من أدراج المكتبات..؟

هل يمكن أن تكون الزهور شاهدة على نزيف أحاديثنا..؟

هل يمكن أن تكون البتلات هي أحرف سقطت سهوا لتواري خيبات كتاباتنا..؟!

---

* قاصة - سلطنة عُمان.

حذاءٌ صالحٌ للأكل

■ جلاء الطيري*

استوقفتني ابنتي أمام "الهايبر ماركت"، وهي تنظرُ إلى لوحة الإعلانات النيون التي تبثُ أنواع العروض لهذا الأسبوع، وقد خصصت يوم الخميس لتقديم عروضٍ على أنواع الشوكولاتة. أدخلتني عُنوة؛ مرةً بالبكاء، وأخرى بالتوسّل، لشراء بعض قطع الحلوى.

أخذت تدور بعينيها، كلما أمسكت قطعة، أمسكت حقيبتي مفتشة عن نقود تكفي لمتطلباتها، عبأت عربة التسوق بالمياه الغازية والشوكولاتة والعصائر في غفلة مني، وأنا أحسب كيف سنقضى بقية الشهر، فنقودُ النفقة التي اختصرها أبوها إلى النصف، مقدمًا حججًا وبراهين وأوراقا تثبت فقره وعوزه، وهو الذى يمتلك الكثير من المال، ونفقة ابنته الشهرية التي يُعطيها على مضض، ما هي إلا ثمن حذاء يشتريه ثم يلقيه بعد يومين لأنه ملّ منه!

دائما يقول لي إنه ملول، عندما يعتاد الأشياء، وتصير ملك يديه يزهدها! هل كُنتُ كحذائه، ملّ مني وألقى عليّ يمين الطلاق؟ نعم، هذا ما تمنيته! ولكن كيف سأعيش بعد أن أجبرني على ترك عملي، الذي لا يليق به؟! هي بضعة أشهر، قضيتها معه، ثم بدأ يعتادني، ربما كنت أفضلُ قليلا من حذائه الذي تخلص منه بعد يومين. تخلص مني، ولكنه ترك جنينًا بدأ ينمو بداخلي، لم أعرف إلا بعد شهرين من الطلاق. حاولت التخلّص منه، ولكنه كان متمسكا بالبقاء، كانت بنتًا، كانت تشبهني، ولكنها ملولة كأبيها، رفضت ثديي، وارتضت بحليب، أستدين ثمنه كل شهر.

انتبهت وهي تُفاضل بين أنواع الشوكولاتة وتختار أغلاهن، جرّت العربة، أخذتُ صنفين فقط من أكوام الشكولاتة التي امتلأت بها العربة، دفعت ثمنهما، نظرت إليّ بغضب، أزاحت عربة التسوق بعنف، فاصطدمت عجلتها بحذائي، فازداد الخرق اتساعًا.

على الرفّ حذاء مصنوع من الشوكولاتة، دعاية للعرض، تُحوم حوله ذبابة طنينها يخترق أذني رغم الصخب الذي حولي.

ابنتي تشدني..

ماما انظري.. حذاء مصنوع من الشوكولاتة.

نعم حذاء جميل، كحذاء أبيكِ.

---

* قاصة - مصر.

ساقٌ على الجدار

■ رجاء عبدالحكيم*

تَقاطَروا نحوي فجأة، وأحاطوا بي كما لو كانوا جيشًا من الكلاب المسعورة، وقد شرعوا في التهامي، رغم أن البيت قريب من المدرسة، لكن في تلك اللحظة الفاصلة فقدت بوصلتي التي توجّهني إليه، شعرتُ كما لو كنت كرةٍ بلاستيكيةٍ رخيصةٍ هَتكَها الصغار، أخذوا غايتهم منها وركلوها بأرجلهم بعيدًا. على الترعة أستردِ أنفاسي، أفتح باب قلبي تمر من خلاله الأسماك والسماء الصافية، آهٍ.. الألم كائنٌ خرافي يبصق من فمِه المتسع ذلك الجحيم الذي أسبح فيه. يا إلهي اخلقني مِن جديد.. أنبِتْ لي ساقًا دافئة باللحم والدم بدلا من تلك الساق الحديد، لا أحتمِل برودتها في الشتاء، أمدّد جسدي على الترعة، يرتدي جسدي ثوبًا من ألوان قوس قزح، هل مِن الممكن أن يتحقق هذا كأن تصعد تلك الساق الصناعية، وتنبت أخرى مكانها من لحمٍ ودم؟

بعد أن أنهى جرس المدرسة آخر مهامِه لهذا اليوم ألقَى المبنى بالجميع خارجَه، هكذا كما لو كان لفَظَهم كنفسٍ واحدة، تزمجر الريح مرتعشة بالغبار، هذا الحضور المباغت لتلك الريح تَمَخض في أحشائها عن صِبية يتدافعون نحوي وهم يضحكون، أتوقف.. أحتمي بالألم.. أتشبّث بساقي الصناعية محاولا الوقوف ثابتًا على الأرض، يعلن الحديد عن نفسه وهو يتخذ شكل جسد، يندلق صراخي بين الأصوات الضاحكة وهي تمارس طقسًا من المرح يعرّيني أمام الجميع، كما لو كان هناك قائدٌ لهم، فقد سمعت

صوتًا يشبه غولا تجشأ يردد: «أنت عندك أسرار آه، بس احنا ما بنحملش الأسرار، لازم نفضحوها»، وينسكب المزيد من الضحكات. يتركونني هكذا مغمورًا بتراب الطريق كجيفةٍ أمضي بين دموعي، كأعمى اعتلى الطريق كظِل. تلك الصرخات الهائجة تعيد لي ذكرى صوت القطار الذى يرعد وأنا أخترق مزلقان السكة الحديد المغلق، والناس تصرخ «حاسب.. حاسب»، لكني لم أتبين أن ذلك الصوت الذى كان صادرًا من أفواه الناس مِن أجلي أنا، بعد أن ابتلع القطار ساقي وأعطاني ساقًا لا أشعر بها لأنها مِن حديدٍ مثله.

انعكس ظِلي على ماء الترعة وتَمدّد.. يا لتلك الحكايات السحرية القديمة التى تدخلني مع ضياء الشمس الراحل، محتفظًا فى قبضتي بسِنّي اللبنية كما علّمتني أمّي، ألقيها فى قلب الشمس وأنا أردد فى مرح «يا شمس يا شموسة خدِي سِن حمار واعطنى سِن عروسة».. أبتسِم وأنا أهمس على استحياء «يا شمس يا شموسة خدِي ساق حديد، واعطني أخرى دافئة من لحم ودم»!

كل يوم تقريبًا بعد انتهاء اليوم الدراسي أكون على موعد مع الترعة وبقايا شمس الشتاء الدافئة، أُعرّي ساقي الحديدية كما أشجار الصفصاف، تستحم عاريةً فى حمّامٍ شمسي؛ هكذا لا نستر عورتَنا أمامها، بل نأتمِنها عليها كأمٍّ كونيةٍ لنا تبارِك رغبتنا بالتطهر، بالاعتراف ننفض عندها الكيس المعبّأ بالأوجاع، أمكث عاريًا، ساقي مخلوعة عن جسدي، تلقى على شط الترعة فاترة لا تشعر بأوجاعي.. إنها الساعة التى تشبه اللعنة، لم أكن أعلم أن هناك مَن مشى ورائي ورأى ساقي الصناعية، وأنا أتعرّى فوق الترعةِ كما أشجار الصفصاف.

على الجدار يلعق لسان المصباح الدموي جسدي، ثمّ يبصقه كظلٍ باهتٍ يتمدد بلا نهاية، الليل بحرٌ هائج، ولا سبيلٍ لإنقاذ الغرقى، أتحسس أعضائي وأنا أتساءل: هل أنا حقيقةٌ أم ظِلٌّ مِن تلك الظلال التي ينفثها المصباح؟ تفترسني الأسئلة التى بلا إجابات.. هل يستطيع ذلك الفراغ الهائل أن ينبت لي ساقًا من لحمٍ ودم؟ ساقًا مثل ساقي الأخرى دافئةً وموجعة؟!

---

* قاصة - مصر.

يا لـه من يومٍ هائلٍ!

■ أحمد الملا*

"يا له من يوم هائل!"

بهذه العبارة

أو بالأحرى بمعناها،

عليك أن تُنهي اليوم، وكل يوم..

أن تنهض وتسمي الأيام بأسماء ملأى بالمعنى، بل أن تنهض وتسمي الأيام بأفعال ترتكبها عنوة، وليس أسماء ورثتها أو صفات استعرتها من السابقين.

عليك أن تنحت ما تريد برغبة، لا تقل مهارة عن صائغ يعالج الذهب بالنار والمخرز.

ولا تلتفت أبدا، فيداهمك الوقت ويمرق من بين جنبيك كأفعوان.. امض بشهوة المشتاق قبيل الموت، وافترع اللحظات بشجاعة الخائف على عياله، انتهبها كأنها كأسك الأولى بعد صحراء خالية، وتجرعها كما قرصان في بحره الأخير! لا السبت سبت، ولا الأحد..

إن هي إلا هذا النور العابر من خرم، ويضيء مائلا في خط طويل، كل سطر سيختفي ليتلوه آخر، وأنت تحدّق بين خطواتك مرتعبًا، خشية أن تزل قدمك وتهوي في فراغ مظلم.. لهذا، لا تنتبه وتعيد تسمية الأيام كيفما اتفق.

قم واركل غطاء يعزل رغباتك ويرتبها في أدراج مؤجلة، هكذا يوهمك بمعطف للبرد، بمظلة حين تمطر وبمروحة الصيف، وكأنك خانع له ولا تحلم عاريًا تحت مطر



غزير، أو تلعب بالنار في عز الشتاء، أو تقضم الثلج كُلما عنَّ للشمس أن تدهمك.. قل لي من علمك؟ هل سئلت يومًا إن أردت السبت سبتا أو الأحد، وهكذا...

لا الأثنين أثنين ولا الثلاثاء..

ما لم تخرج عاريًا من نومك، تشق الهواء بضحكة ماجنة، وتدعك عينيك بدهشة أعمى، رأى. تنقض بنهم الجائع والفقير والمحروم، وتتحدث بألسنة عدة كأنما طارق الموت لحوح على الباب، تنشب نظراتك فيما تتخيل وتضعه على الطاولة حيًا، أن تشم رائحة الحسان بنفس طويل فتقلبهن على بطونهن، أن تصعد السطح بقفزة واحدة، وإلا..

لا الأربعاء أربعاء ولا الخميس..

دع يدك تسابقك.. وشفتيك، وانحز لكل قصيٍّ نسيه الغافلون، اسبق اليقظة إليه وانهب ثمالته بلا تردد ولا كتمان، لينتفض جسدك وتغشاك رعشة ويبترد ظهرك عرق بارد، كلما انتبهت لوجهك في المرآة، ليكن خلف ظلك ضجيج العابر، حين يفجر، وأثره السخي، تنفس كأنما تملك تسعا وتسعين معنى للموت، ولا تجد إلا نافذة وحيدة للحياة!

دع الجمعة في جمعته غافيًا ومثخنًا بجراحه، ولا تضع علاجه البين من الغصن، صل الليل بالنهار فلست فلاحًا لتصطبر على الزهر، ولا حديقة العجائز فتتأمل وترسل تنهيدة تلو أخرى.. اقلب الظهيرة ضحى، والأصيل فجرًا، بل دحرج المساء من علٍ بعد أن تملأه حصى، وانصب على قمة الليل خرقة تدل السكارى بذنوبهم..

هيا، سمّ ما تريد كما تشتهي، لا تهرق ماءك في طلب الغفران ولا تتردد في أخذ الثأر بأسنانك..!

هيا، هب كما ريح لا تحتسب جبلا كان أو سهلا، اقفز مرة وكأنها الآخرة، واضرب بكعبك الأرض صارخًا: يا له من يوم هائل!

لكنه السبت، الأحد، الأثنين، الثلاثاء، الأربعاء، الخميس، الجمعة وهكذا..

ها أنت تقف على تل نهار شاحب، ترى أيامك تتدافع كالشياه، متشابهة مثل ثغاء، خرقاء بلا حنين..

أيام تراها فارغة من كثرة تكرارها، تعصر جبينك دون أن تميز بينها..

أيام مثل قوارير مهملة القفل، مغبرة وغير صالحة للاستخدام ثانية، ولا حتى للتذكر.

هيّا..!

---

* شاعر وسينمائي سعودي.

لم يكن غير شجرة

■ إبراهيم الحسين*

لم يكن الحبو على مرأي ومسمع من النخيل آخر أناته، ولم يكن حفيف ثوبه أقل ظلا حين كانت رطوبة التراب تلقف نظراته، المسافة بين جذعين كانت متوحشة، حتى أنها لا تتورع عن إنشاب مخالبها في صوته، فلا تدري هل كان يصيء، أو أن ذكرى موغلة اعترضت حنجرته وأوقفت تدفقها؟! كان يكرم العشب والروائح، ويبجّل خضرة الغصن وينفق عليها من صمته، كان يخرج من لهفته ليقف بين يديها، وكان يصعد من صبحه ليصل إلى وجهها، كان يعرفها في العتمة، ويعرف أين تنام، وكان يمسك بحبل معقود في قلبه لا ينتهي إلا عند قاماتها، هكذا كان يحبو..! يغرس رُكَبا إلى جوارها ويزهر، يشذّب دموعه ويغطس في سعفاتها، وتكون عزلته هي الأشد عندما تقصّ عليه حكاية السماء، وتصير الأقسى حين تذكّره بعصافيره



الصعبة، وبالهواء الذي لا ينفخ ثيابه إلا بالوحدة، وبأنه يقصد أصدقاء كثيفين يونِعون ويمدّون جذورهم فيه وفي عيونه! فلو أنك لمسته وتصفّحته جيدا، لو أنك لم تنشغل والتفت لو مرة واحدة فقط، لوجدت أنه أبدًا لم يكن غير شجرةٍ تعوّل كثيرًا على صورتها، وعلى صفتها، وعلى اسمها؛ وتعوّل أكثر على الذي لم يكن طيلة الوقت غير شجرة عميقة أخذوا منها كلماتها كلها وتركوها تحبو.

---

* شاعر سعودي.

رسالةٌ إلى مَـنْـسِـيّـة

■ موسى الشافعي*

كُلُّ الذي قالَ كُلُّ النّاسِ للنّاسِ ... يُقالُ بَعْدَ انْتصافِ الليلِ في رَاسِي!

وكُلّما اسْتَحْكَمَتْ في الليْلِ هَدْأَتُهُ ... أثارَ صَوتَ ضَجيجِ الشِّعْرِ وسْواسِي!

في كُلِّ وادٍ منَ الدُنْيا يُطوّفُ بي ... ويَسْكُبُ الأرْضَ كُلَ الأرْضِ في كَاسِي!

لا تَطْعَمُ الكَأْسُ شيئا منْ لَذاذتها ... ولا تَفيءُ إليْها نَشْوةُ الحَاسِي!

قَدْ يَمْلِكُ المَرءُ آلاءً ويجْهلُها ... وتَجْنَحُ النَّفْسُ في شيءٍ لَدَى النّاسِ!

مَاذا رأيتِ بِغَيري كَي يَذُوقَ غدا؟ ... مِنْ خَنْجَرِ الغدرِ ما ذاقَتْهُ أنْفاسِي!

لمْ تغْدري بي ولكنْ خانَني خَلَدي ... وجَرَّحَتْ كَفَّيَ الخَرْقاءُ أمْواسِي!

قدْ يقْطعُ السّرْحَةَ الشّمّاءَ فأسُ غوًى ... وبعْضُ أغْصانِها في حَلْقَةِ الفاسِ!

لنْ تَبرحَ الشّأْفَةُ الحَمْقاءُ موضعَها ... حتّى يَمُرّ عَليْها مبْضَعُ الآسِي!

وليْسَ إلا على عَيْنَيّ بي عَتَبٌ ... لوْلا تَجَنِّيهِمَا ما ذُقْتُ مِنْ بَاسِ!

إنّي لأبْرأُ منْ عَيْنَيْنِ تَخْذُلُني ... ولا تُفرِّقُ بَيْنَ الفَحمِ والمَاسِ!

أوْغَرْتِ صَدْري بِثأرٍ لا أشَبِّهُهُ ... إلا بِثَأرِ كُلَيْبٍ عِنْدَ جَسّاسِ!

مسكينَةٌ أنتِ منْ ضعْفٍ إلى خَوَرٍ ... فكيفَ جِئْتِ لِهذا العَالمِ القَاسِي!

فَلْتَأخُذي الآنَ عَنّي ما سأكْتُبُهُ ... ولْيحْفظِ الدّهْرُ ما أُمْلِي بكُرّاسِي!

(أوْهيْتَ قَرْنَكَ يا وَعْلَ الفلا سَفَهًا ... وأنْتَ تَنْطحُ هَذا الشّامخَ الرّاسِي)

تأمّلي حَجْمَ هذا البَيْتِ واتَّعظي ... لَوْلايَ أعْنيهِ ما ضَمّتْهُ أقْواسِي!

منْ شاعرٍ تَرْغُسُ الأشعارُ في دَمِه ... رَغْسَ الأحَاديثِ في صدْرِ ابْنِ عبّاسِ!

ما طاسَ وَجْهُكِ لوْلا نَبْضُ قافيَتي ... ولا تَسامَيْتِ لوْلا نَزْفُ إحْسَاسِي!

ولا تَحوّلْتِ منْ أُنْثى لِمَمْلَكَةٍ ... لَوْلا تَنَاهيدُ أقْلامي وقرْطاسِي!

مَا كُنتِ قَبْلي شيئا يا مُفارِقَتي ... فَكَيْفَ أُعْلِنُ منْ لا شَيءَ إفْلاسِي!

و لَمْ تَكُوني سوى ظِلٍّ لأبْخرَةٍ ... ولَيْسَ للظّلِّ منْ وزنٍ ومقْياسِ!

قالَ الحُطَيْئَةُ قَولا وابْتَنَى مَثلا ... يَجْري على الدهْرِ منْ ناسٍ إلى ناسِ!

((لَقَدْ مَرَيْتُكُمُ لَوْ أنّ درّتَكُمْ ... يوما يَجِيءُ بِها مَسْحي وإبْساسِي))!

ها قَدْ محَوْتُكِ من عيْني وذاكرَتي

يا....

أنْت..

مَا اسْمُكِ؟

عفوا.. ذكّرِي النّاسي!

---

* شاعر سعودي.

رجلٌ قديم

■ محمد الدميني*



الشاعر محمد الدميني محاطا بالصديقين الحفيدين..!

لم تعُدْ تزورُنِي الكوابِيس..
كبُرْتُ قليلا
وها أنذا أتسكّعُ
في حُقولِ نوْمي المقطّع؛
لكي تخْضرّ شهَواتي البعيدة..

لا تقتَربْ من هذا الليل!
لا تصْرم حشائشهُ،
ولا تُوْقظ الهاجعينَ فيه..
اتركهُ أعزلا
تغرّدُ فيه طيورٌ ضالّة،
وأحلامٌ لم تعُد تسْتيقظ.

في الماضي، كانَ لي رأسٌ
تترنحُ فيهِ الأحلام..
وحين أنساهُ في الحديقة المجَاورة،
يحْملهُ الحارس،
ويُعيدهُ مجلّلا بالتعاويذ..!

أمامَ البحرِ، رجلٌ قديمٌ
يداعبُ القططَ
التي تلتقطُ قُوْتها بين الصّخور الكسُولة
وتسْخرُ من دفْئهِ الفائِض.

---

* شاعر سعودي.

شتاءٌ يتعثر هناك

■ تركية العمري*

بعض شتاء لروح الكاتبة
منيفة الفندي**

١

منيفة
هذا العام، أتى الشتاء حزينا
يتذكر معي حكاياتك لي عن ثلوج
صباحات مدينتك
ورقص معطفها الأزلي..
بين ذاك البياض.

٢

منيفة
أتى الشتاء الذي نحب،
ولكن رأيته يمشي منكسرا،
بين ربابته يتعثر..
وهو يتذكر
غناءك لأزهار حقل أمنياتك الأخضر.

٣

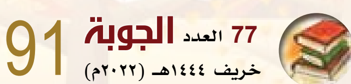
أتى الشتاء يا منيفة
ولكن..
بلا مستحيلاتك المتدفقة،
في الأمكنة المُتعِبه!

٤

أتى الشتاء يا منيفة..
وتمطرين ببالي
غيمة باسمة..
حالمة،
رحلت..
ولكنها تركت..
هتانها هناك؛
ليندّي دروب نساء من شمال..!

---

* كاتبة سعودية.
** منيفة الفندي كاتبة من محافظة القريات بمنطقة الجوف.



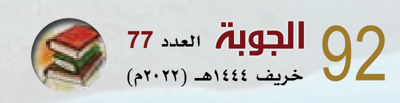
أنثى مستبدة

■ وفاء خنكار*

أزهاري
لا تتفتّح إلا على نداكِ وخيوط فجركِ
فلم الظلم؟!
نهاري
لا يطلع إلا على أذان فجركِ
فلم الظلم؟!
عصافير حديقتي
لا تستيقظ إلا إذا جففتُ كتفيكِ من «دوش» الصباح
فلم الظلم؟!
يومي
لا يبدأ إلا على قهوة شفتيكِ
فلم الظلم؟!
حاسوبي
لا يعمل إلا إذا أقفلتُ أزرار (بلوزتكِ)..
وألبستكِ حذاءكِ..
فلم الظلم؟!
صفقاتي
لا تكسب إلا إذا ألبستكِ معطفكِ
وحملتُ قبعتكِ
فلم الظلم؟!
مواعيدي
تتأجل ما لم أعقد لك ربطة شعركِ
فلم الظلم؟!
سيارتي
لا تعمل ما لم أفتح بابها وأتناول يدكِ
فلم الظلم؟!
نظّارتي
لا تعكس الضوء إلا إذا رأت عينيكِ
فلم الظلم؟!
ساعتي
لا تعمل إلا إذا حملتُ حقيبتكِ وشالكِ
فلم الظلم؟!
باب مكتبي
لا يفتح إن لم أبتلّ لأحمل مظلتك
فلم الظلم؟!
ستدخلين النّار
لأنك تظلمين
لكنّني سألحق بك..
أتمسك بذيل ثوبك..
طفل يلهو بمدفأة
أنا معكِ
إلى نار الجنّة
وجنّة النّار
لا تقصّري ثوبكِ الطويل..
لقد اكتشفت
أن الثوب الطويل
فوق قوامكِ الجميل..
أجمل!
وأن الأرض الكروية
تحت قدميكِ مسطحة..
فلم الظلم يا أنثاي المستبدّة؟!
لم الظلم؟!
لم الظلم؟!
لم الظلم؟!

---

* شاعرة سعودية.



وجه الصباح

■ محمد عرش*

-١-

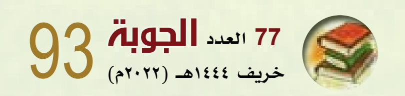
صاحت الريح:
لترقص الأوراق
على شاكلتها،
أو شاكلة الحد الأقصى،
لا وقت للطيور،
كي تنسى حناجرها
خارج المعنى؛
ها هم ينقبون - رغم الغبار- عن ملح الروح،
في مغاور الأوراق.
تآكلت الأصابع، يسليها عطش الأنبياء،
وهذا النهر يمتد من الضفة إلى أختها،
يغريك بالصمت، لكن مجازه عميق
كسواد في ظلام الكون.
صاحت الريح:
- ما أقسى وداع ديوتيما،
ها هو يتوسد ركبة الجنون،
ولا ينسى مراثيها كلما طال الليل،
لكنه ينسى، الضفة الأخرى للنهر،
ويتذكر أوبة الطيور بلا مراثي،
فقد نسيتها خطوطًا على القبر.

-٢-

عفوا،
ما زالت شمس الظهيرة متقدة،
والريح في جيوب الآلهة،
وخيول الدوائر،
نخشى عرقها،
إذا تكاثرت ألياف القمح،
القمح للأرض،
وللرحى أسرار الخيام،
وخيولك أنت،
تدور فوق البياض،
وقت الليل والكل نيام،
تحصد الحروف بعدما،
أطلت القصيدة على وجه الصباح.

---

* شاعر- المغرب.



لا تخافي

■ ناهد شبيب*

لو تمادى الجوع
في السبع العجاف
لو تلظّت شهقة
وانداح دمع
أو تدلّت مقلة في كفّ حافي
لو هوت عيناك في أحضان حمقى
واستبيح السطر
من كعب القوافي
لا تخافي

لو أنين البوح يغتال العوافي
لو تردى الموت من خبز الكفاف
لو تهاوى من فضاء الروح نجمٌ
مترع بالخوف..
مبتور الحواف
.. لا تخافي

لو غزلنا ثوب أعراس اليتامى
من دموع الشمس في تلك المنافي
أو ضحكنا في ليالٍ أرملات
أو شربنا الشاي بالسّمّ الزّعاف
أو لعبنا
مثلما الأطفال شيبا
واجترعنا الصمت من يبس الشفافِ
وافترشنا الأرض
من غير انتماءٍ
وشهدنا الزور من دون اقتراف
لو سواد الخيمة الصماء أضحى
كعبة للحزن مألوف الطواف
مثقلات بالأسى ليلات شعب
ما زرعن الصبر إلا للقطاف
قبلة للجرح
هذي الأرض
ضحلٌ
فرحنا فيها
ووعد الموت طافِ

من عطاء الله
نستجدي سقاءً
يعشب الآهات في سفر المنافي
.. لا تخافي
...
لو شربنا زمزمًا
من غير ماء
في سراب الحلم
من فرط الجفاف
سنبلات الجوع
يلهين الليالي
في صلاة الصبر
صمتًا
باعتكاف
ربما المصباح
في وجه المرايا
يستميل العتم بالشهْب اللطاف
ربما القنديل
كالأحلام أعمى.. دامع الأضواء..
مسلوب الضفاف
شاخ منه الصبر في عرس الحكايا
شهريار فيه كالمخمور
غافي
والنسا يلطمن في ليل المرايا
مطرقات السمع
طوعًا كالخراف
كاسيات.. عاريات.. مائلات
قاتلات اسهد سكبًا بارتشاف
تهرأ الأطراف منهن انتماء
في ذهاب أو رجوع
باختلاف
لو أفضنا بالدعا
فالله سمحٌ.. راحمٌ برٌّ
على القوم الضعاف
لا تخافي..

---

* شاعرة سورية مقيمة في مصر.

القاص والكاتب المغربي الدكتور محمد الولي

إننا ما نزال في مرحلة استيعاب التراث العربي وفهمه فهمًا جيدًا، وتأويله في ضوء النظريات المعاصرة

نستضيف في هذا الحوار الدكتور محمد الولي، وهو من مواليد ١٩٤٩م بمدينة الناضور الواقعة شمال شرقي المملكة المغربية على البحر الأبيض المتوسط.

يُعد الدكتور محمد الولي أحد أبرز الأسماء المشتغلة بحقل الدراسات البلاغية بالمغرب والعالم العربي، من خلال صياغة أسس خطابية وشعرية جديدة؛ مُحلِّقا بجناحَيْ البلاغة: الخطابة والشعر. ومن إسهاماته في هذا المجال كتاب: « فضاء الاستعارة وتشكلاتها: في الشعر والخطابة والعلم والفلسفة، والتاريخ والسياسة» الصادر عن دار فالية سنة ٢٠٢٠م، وكتاب:» الخطابة والحجاج بين أفلاطون وأرسطو وليبرمان»، وله أيضا ترجمات مهمة في الحقل البلاغي ك «الشكلانية الروسية للدكتور إيرليخ سنة ٢٠٠٠م، و«الكلام السامي: نظرية في الشعر» لجان كوهن ٢٠١٣م، ثم كتاب» الاستعارة الحية لبول ريكور عام ٢٠١٦م.

■ حاوره صخر المهيف

إضافة إلى اشتغاله بترجمة مشتركة لكتاب «بنية اللغة الشعرية» لجان كوهن بالاشتراك مع الدكتور محمد العمري ١٩٨٦م، ومؤلف «قضايا الشعرية» لرومان جاكوبسون مع مبارك حنون سنة١٩٨٧م، وكتاب «البنيات اللسانية في الشعر» لصمويل ليفن بالاشتراك مع خالد التوزاني ١٩٨٩م، و«الشعرية العربية لجمال بن الشيخ» بالاشتراك مع

مبارك حنون ومحمد أوراغ ١٩٩٦م، و«البلاغة: المدخل لدراسة الصور البيانيّة» لفرانسوا مورو بمعيّة عائشة جرير، الطبعة الثانية صدرت سنة ٢٠٠٣م.

هذا إضافة إلى عضويته لهيئة تحرير عدد من المجلات المُحكمة، منها مجلة علامات، الذائعة الصيت في مجالها.

- **يعرفك المهتمون بحقل الدراسات الأكاديمية الأدبية المغربية والعربية بمشروعك البلاغي والخطابي، ما هو الدافع لهذا الاختيار؟**

- كما تعرف، هويتي هي التدريس، بدأت مدرسا في الثانوي، وأمضيت الجزء الأكبر من حياتي المهنية أستاذا في الجامعة بتخصص محدد هو البلاغة والشعرية، وما يرافقهما من قبيل ترجمات أمهات البلاغة الغربية، من قبيل الإسهام في ترجمة بنية اللغة الشعرية لجان كوهن، والكلام السامي للمؤلف نفسه، وقضايا الشعرية لرومان جاكبسون، والبنيات اللسانية في الشعر لصمويل روبير ليفن، والشعرية العربية لجمال الدين بن الشيخ.. إلخ. وأسهمت في التأليف بعدة كتب، منها: الصورة الصورية في الخطاب البلاغي والنقدي، والاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، وفضاءات الاستعارة، والخطابة والحجاج.. إلخ.

كل هذه الأعمال تتسيّج ضمن التخصّصين المعروفين الشعرية والخطابة أو الحجاج. بطبيعة الحال كل هذه الأعمال هي دعامات أساس لما كنت ألقيه من محاضرات في الجامعات المغربية، في فاس, ومكناس، ومراكش، والرباط. أنا في الأصل مدرس، لهذا جاءت كل هذه الأعمال تأثيثا لمحاضراتي، القسم هو مختبري الذي أجرب فيه الكثير من العتاد الذي أشتغل به؛ وإذ أختبر ما أستورده من عتاد من القديم أو من الحديث، القسم هو مكان اختبار الأفكار وعرضها على المحكّ أمام الطلبة، في كل الأسلاك: الليسانس، والماجستير، والدكتوراه. إنني أنتمي إلى تلك الفئة من المدرسين الذين يربون فضيلة الاجتهاد في نفوس الطلبة؛ بمعنى فهم الماضي وهضمه وإعادة بنائه وتليينه البيداغوجي، هذا النزوع لا ينفك عن المهمات التي يتكفل بها المدرس، إنه رسول الأفكار، بل هو ساعي البريد.. إنه ناقلة بمعنى آخر.

هذه العملية ترفق عندي بمحاولات الفحص النقدي للأفكار والمواد المدروسة، إن الأفكار كلها قابلة لهذه المعالجات النقدية، في هذا السياق أنجزت ترجمات عديدة تصب في هذا البحر التجديدي في الشعرية والبلاغة والحجاج.

إلا إن هناك سياقًا ثانيًا كنت أشتغل

فيه، ألا وهو الإسهام في هيئة تحرير عدة مجلات مغربية، على رأسها مجلة دراسات أدبية ولسانية، ومجلة علامات، ثم مجلة البلاغة وتحليل الخطاب؛ ذلك هو مختبري الثاني الذي كنت أنشط فيه مع باحثين آخرين. وللحقيقة والإنصاف، فإن السنوات التي قضيتها بصفتي عضوًا في هيئة التحرير في علامات وتتعدى الآن ربع قرن، كانت نتيجتها أن هذه المجلة نشرَت حولها مناخا تجديديا في السميائيات والبلاغيات والتأويليات في كل العالم العربي.

هذه المجلات كانت في جملتها ذات نفس وتطلع تجديدين، وللحقيقة مرة أخرى فالهمّ التجديديّ لم يكن هو الأساس، بل الأهم كان بعث روح من الجدية والصرامة في العمل الذي كنا نقوم به. ينبغي هنا تقديم التوضيح التالي: فإذا كنا في القسم مقيدين بعدة اعتبارات كالمقرر وسنة التدريس والامتحان والتنسيق مع أساتذة المادة أو التخصص، فإننا كنا نجد في هذه المجلات تلك الحرية التي نعدمها في الأقسام، في القسم تقوم بعملك الذي يلزمك القانون بالقيام به، أما في المجلات فأنت حر في أن تكتب وتطرح ما تراه مناسبًا من الناحية العلمية، فلا أحد يلزمك بألا تكتب شيئا.

- **هل استنفدت البلاغة العربية الكلاسيكية ذاتها بعد نهاية العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية؟**

- في الحقيقة، البلاغة العربية أنجزت مهمات تاريخية مهمة في الدائرة الحضارية الإسلامية العربية، فقد تمكنت من حصر موضوعها بدقة متناهية كما تمكن اللغويون العرب من تدوين الإرث الشعري وتحقيقه وشرحه وتصنيفه وترتيبه، بعد ذلك جاء البلاغيون العرب وعينوا ورتبوا مجموع المقومات البلاغية بوصفها كيانات نصية، إنها بلاغية شكل النص أو جماليته، أي مجموع الملامح اللغوية الكفيلة بإحداث تأثير إحساس جمالي في المتلقي. أكاد أقول: إن مجمل الملامح التي دونتها البلاغة العربية تندرج في إطار المقومات الجمالية المؤثرة، من قبيل هذه المقومات، نجد التشبيه والاستعارة والكناية والتوازي والجناس والتكرار والتقديم والتأخير والمجاز العقلي والتمثيل والرمز.. إلخ. بل الأهم والأخطر من كل هذا هو إقامتهم مراتب ودرجات الفوز الجمالي، لا نندهش ونحن نرى كيف جعلوا الاستعارة سيدة الملامح الشعرية. كانت البلاغة تكمل ما ينجزه علماء العروض والقافية ونقاد الأدب وعلماء الضرائر الشعرية والفلاسفة، إضافة إلى شراح شعرية أرسطو وخطابته، فإذا كان العروض الخليلي وعلماء الضرورة مثل أبي سعيد السيرافي تلميذ سيبويه، ونقاد الأدب مثل الجاحظ قد لوّنوا البلاغة العربية باللون المحلي الأصيل؛ فإن شراح أرسطو مثل الفارابي وابن سينا

وابن رشد قد خلعوا على البلاغة العربية الألوان الوافدة.. كل هذه التخصصات تصب في بحر ما يمكن أن ندعوه نظرية الشعر أو البلاغة العامة. لقد أنجزت هذه التخصصات مشاريع مهمة جدا تعد أساس كل المحاولات التجديدية في القرن العشرين. لا يمكن أن نقول إن تلك المعرفة البلاغية والشعرية قد ماتت وأصبحت من المتلاشيات؛ ورغم هذا الإقرار، وجب القول إن تلك المعرفة لم تعد كافية لإلقاء الضوء على الأصقاع اللغزية في الإنتاج الأدبي، لأن تلك المعرفة البلاغية قد تم بناؤها ضمن سياق له همومه التي لم تعد همومنا. إن ذلك الهمّ الذي رضعت البلاغة العربية حليبه لم يعد همًّنا نحن الذين تعلمنا على الشكلانية الروسية والبنيوية الفرنسية وجمالية التلقي الألمانية ومدرسة تَارْتُو همًّا ماضويًا، ولم يعد يحتل الحيّز نفسه الذي كان يحتله، ولكي نعطي مثالا واحدًا للتوضيح، فإن المجاز العقلي في البلاغة العربية نشأ في بيئة دينية، وإن شئت فقل كلامية، هذه لم تعد همومنا نحن الذين نعيش في كوكب معولم، استبدل حدود الإمبراطوريات والدول بعالم أصبح كله مجرد قرية صغيرة. هكذا أصبحنا في البلاغة الحديثة منشغلين بالملامح العامة، لهذا الذي نسميه شعرًا أو بلاغة. لم يعد شِعار الجاحظ «فضيلة البلاغة مقصورة على العرب» متمتعًا بأي بريق، بل ربما رأينا فيه اليوم شعارا عنصريا، تمامًا كما أن شعار أرسطو بأن صفة «السداد العقلي لا يتمتع به إلا المواطن الأثيني» وما عداه مجرد بربريّ لا تصدر عنه ممارسات لوغوسية سديدة. لقد انتهت هذه الأساطير في البلاغة الحديثة، ولكن رغم كل ذلك فإن المنجز التقليدي الموروث يوفر مدونة مهمة صالحة كمادة لبناء صروح جديدة؛ بعبارة أخرى، لا يمكن أن نحنط القديم ونقول إنه يقدم كل الأجوبة على الأسئلة التي يطرحها النص الأدبي، إن الزعم بأن البلاغة القديمة عربية وغربية تقدم كل الأجوبة على أسئلة الخطابات الشعرية والإقناعيّة إنما هي دعوى إيديولوجية تقصد إلى تكليس المعرفة في صيغة ماضية جاهزة، وتمنع عن الاجتهاد وطرح الأسئلة الجديدة المتعلقة بكل أجناس الخطاب.

- **ما الجدوى من الخطابة في الراهن العربي؟**

■ الخطابة بمعناها العام هي كل كلام يلقيه المرء للتأثير في الأخر، ومحاولات تغيير سلوكه أو تثبيته، إن خطابا عائليا، وخطابَ المدرس في القسم، والواعظ أو الخطيب في المسجد، والنشرة الإخبارية والإرساليات الإشهارية وكاتب المقالات الصحفية ومحرر البيانات الحزبية، بل وحكايات الجدات للأطفال، والمرافع في المحكمة، وخطاب المحلل النفسي أو الطبيب.. إلخ، كلها خطابة تسعى إلى

تعديل الأفكار والسّلوك؛ بل إن عدة رسائل تبدو مصونة من هذا المسعى الخطابي الإقناعي، هي خطابية، وأحيانًا خطابية قوية. إن عبارة I Love you على سبيل المثال لا الحصر، قد تبدو لبعضهم عبارة بريئة من أي قصد حجاجي، والواقع أن حجاجيتها متوقدة، بل يمكن أن نجد فيها استعطافًا وتوسلا وأمرًا.. إلخ. أغلب خطاباتنا هي خطابات حجاجيّة، الغرض من ورائها التأثير في الآخرين، بل إن الخطابة تتجاوز التحققات اللفظية إلى الممارسات غير اللفظية، من قبيل الزي الذي لا يحمل دلالة فقط، لكنه بالمقابل يبعث استجابة من جهتنا نحن المعنيين بذلك الزي وشكله!

- **وماذا عن البلاغة بمعناها الشعري؟**

■ البلاغة بمعناها الشعري لا تخلو من القصد الحجاجي التأثيري. فقط البلاغة الشعرية هنا تشتغل بمواد رطبة ولينة؛ فتتخذ لها الممرات إلى العقل عبر التأثير في القلب، إنه الإقناع المستتر حسب عبارة Packard Vance فانس باكار في كتابه الذائع: Persuasion clandistine إن البلاغة الشعرية يمكن إدراجها ضمن المُقنِعات المواربة.

- **حاولت في مؤلفيك: فضاء الاستعارة وتشكلاتها: في الشعر والخطابة، والعلم والفلسفة، والتاريخ والسياسة الصادر عن دار فالية بالمغرب سنة ٢٠٢٠م، والخطابة والحجاج بين أفلاطون وأرسطو وبيرلمان، أن تعمل على تجديد البلاغة العربية، بعد أن رصدت البلاغة الغربية في محطاتها الثلاث من أفلاطون مرورًا بأرسطو وانتهاء بالفيلسوف شايم ليبرمان، بالاستناد إلى صياغة أسس خطابية وشعرية جديدة بخلخلة صروح البلاغة العربية التقليدية، هل يمكنك أن تحدثنا عن الأمر قليلا؟**

■ إن قراءتي للبلاغة العربية القديمة وللبلاغة أو الخطابة اليونانية هي محاولة لتجديد فهم القدماء، لا ينبغي أن نكتفي بترديد أفكارهم كما هي، إن هناك محاولة لفهم وتفسير بل وتأويل أخرى، إن نظرية الأدب قد حققت في العصور الحديثة خطوات جبارة في كشف الكثير من الجوانب المظلمة في الإبداع الشعري. إننا نستعين بهذه الثورات الشعرية والحجاجيّة والخطابية لفهم تراثنا. نحن لا نحاول تملك النظريات المعاصرة الوافدة فقط، بل نستعين بها لفهم أفضل لتراثنا؛ فنعيد صياغته على ضوء الإنجازات المعاصرة، وكأننا بهذه العمليات نُلحق ما كان منزويًا في الدائرة الحضارية العربية الإسلامية بدائرة أوسع هي الدائرة العالمية؛ كأننا نجعل البلاغيين العرب يتحدثون لغة المعاصرين، وبهذه العملية نخرج التراث من قوقعته لنجعله يتحاور مع العالم حوارَ أنداد لا حوار أتباع؛ وكأننا نحاول أيضًا أن نجعل خصوصية هذا التراث ترتقي

سلم العالمية، فتنفتح في وجهه الحدود التي كانت تمنعه من العبور إليها، نحن نحاول، إذًا، أن نفهم القدماء بشكل أفضل بما فعله الأسلاف؛ فالمعرفة العلمية تتمتع بخاصية طرح أسئلة جديدة لإدراك أجوبة جديدة، وما أن تتحول هذه الأجوبة إلى معرفة قارة فإنها تميل إلى الثبات، ذلك أن التحجر ومقاومة التغيير وتجديد الأسئلة، وأعني بذلك تحول المعرفة الدينامية الحية والثورية يقود إلى إيديولوجية متكلسة وتبريرية. هذا الفهم الجديد جزء من فهم الإنسان في العالم ويعد بالتالي تحفيزًا لتغيير أحوال البركة الراكدة.

- **كيف تقيّمون محاولات اقتحام البلاغة المغربية والعربية -بعد تجديدها- مجال الشعر والإشهار والسرد والدعاية السياسية؟**

■ لا شك أن هناك إنجازات مهمة تحققت في مجال السرديات والشعريات، إن مدارس الشكلانية والبنيوية وجمالية التلقي والنقد الثقافي والتحليل النفسي والتاريخي قد حققت تراكمات مهمة جدا، إن الكثير من النصوص المؤسسة قد ترجمت إلى العربية، وفي الكثير من الأحيان ترجمات ممتازة، إن نظريات سوسور، وجاكبسون، وتشومسكي ومارتيني، وجورج مونان، وجان كوهن، وبول ريكور، وجاكندوف وجورج لايكوف، ومارك جونسون، وريتشاردز، وماكس بلاك، ونيتشه، وآخرين.. لم تعد غريبة عن الباحثين العرب، ثمة استيعاب ما هو مهم. نستطيع أن نعبر عن رضانا إزاء ما تحقق بصدد معرفة أمهات النصوص النقدية الغربية، وكذلك بصدد التطبيقات في مجالي الشعر والسرد، وفي مجال الإشهار.. فلا أكتمك أن المنجز في هذا المجال أقل منه في الجنسين السابقين، وأعتقد أن إسهامات بنكراد بما نشره من كتب في الموضوع أو بما نشره من مقالات غيره في علامات إنجاز بالغ الأهمية، ولا أعتقد أن ما تحقق في مجال الدعاية السياسية يرقى إلى ما تحقق في الأجناس السابقة؛ والسبب يعود في كل حال إلى أن خطاب الدعاية السياسية وتحليله يتطلب قدرا كبيرا من الحرية، لا أعتقد أن الباحثين المغاربة والعرب يتمتعون به.

وفي الحقيقة، فمن الحق القول إننا ما نزال في مرحلة استيعاب التراث العربي وفهمه فهمًا جيدًا وتأويله في ضوء النظريات المعاصرة؛ وتبعا لذلك.. وفي السياق ذاته، أعتقد أننا استوعبنا الكثير من النظريات الحديثة وترجمناها، وفي الكثير من الأحيان ترجمات جيدة، كما أننا طبقنا الكثير من النظريات الغربية على تراثنا. إن محاولاتي الشخصية في ما يتعلق بإدخال النظريات البلاغية إلى مجالات لم تكن تحلم بها في السابق، مثل تلك المحاولات المتعلقة بتحليل

لوحات للفنان البريطاني المجهول، وتحليل الشعر الجداري في أمريكا اللاتينية، وشعارات الثورة الطلابية مايو ١٩٦٨م، كلها محاولات لإخراج البلاغة من الممارسة الكتبيّة إلى الهواء الطلق؛ تلك محاولة لجعل البلاغة تنخرط في عمليات التحولات الاجتماعية.

هناك أيضا محاولة للاهتمام بالأجناس الصغرى كالشعارات السياسية والإشهاريات والأمثال. إن هذا يعزز محاولات إخراج البلاغة من الخرائب الكتبية إلى صهد الحياة السياسية التي تستعين بالأجناس الخطابية المصغرة كالشعارات السياسية والجداريات. طبعا محاولتي تمثلت في الإفصاح عن رسالة تقول إن الأدب الرسمي ليس هو وحده ما يستحق الاهتمام. بالنسبة لي أحاول التغلب على الفراغ السياسي الذي لا أتوفر عليه لممارسة حريتي، إن هذه المغامرات هي محاولة للتنفيس عن المكبوت السياسي، إنها أحلامي المتمردة، وفي كل الأحوال فإنها محاولات تطبيقية؛ لأن الأدوات المستخدمة كلها غربية، إن ابتكاراتنا تظل مشروطة بهذه الحدود، أي أن الابتكار العلمي لنظريات جديدة لا يبدو أن شيئًا منها تحقق في عالمنا العربي.

- **ما هو أفق الترجمة في العالم العربي؟**

▪ لا أشك أن العالم العربي يتوافر على مترجمين ممتازين، إن أسماء من قبيل محمد عصفور، وجابر عصفور، وشكري عياد، وعبد الرحمن بدوي، وحمادي صمود وعبد القادر لمهيري، وعبدالمجيد جحفة، ومحمد غليم، وحسن الطالب، وذاكر عبدالنبي، ومحمد خطابي وخليل أحمد خليل، وجورج طرابيشي، ومحمد البكري، وسعيد بنكراد، ومحمد العمري، وإبراهيم الخطيب، وعبد الحي أزرقان، قد أغنت الساحة البلاغية العربية، إلا إن ثمة ملاحظتين تفرضان نفسيهما في سياقنا:

الأولى تتعلق بواقع الترجمة في العالم العربي الذي تغلب عليه العصامية والمبادرات الفردية؛ إذ ليست هناك مشاريع ومخططات لترجمة أمهات الأعمال النظرية والأدبية العالمية، سواء كان ذلك في مستوى وزارات البحث العلمي وفي مستويات البحث الجامعي، أو في مستوى دور النشر المختصة؛ فالوضع الغالب هو انعدام أبسط الأعمال التنسيقية في عالمنا العربي، كل هذا يشعرنا بأن الانتقال من بلد عربي إلى آخر يشعرنا بأن هناك تغييرًا للغات المصطلحية إلى حد أن الانتقال من مدينة إلى أخرى تشعرنا بهذا التفاوت المصطلحي، وهذا مثير جدا، في هذا المناخ تهيمن فيه الأنانية وجميع صنوف الانتهازية. وعلى الرغم من كثرة الترجمات الجيّدة التي هي نتاج المبادرات الفردية، فما تزال هناك أعمال كثيرة مترجمة ترجمات سيئة،

هذا إذا تجاهلنا بعض العادات السيئة وانعدام الذوق والوازع الأخلاقي المتمثل في السرقات المواربة، وغير المواربة. طبعا هذا يدل على فوضى ما تعيشه الترجمة عندنا بوجود ترجمات كثيرة سيئة كما أسلفت، إن مترجمين كبيرين من عيار محيي الدين صبحي وحسام الخطيب تشكو ترجمتهما لكتاب النقد الأدبي تاريخ موجز لوليام ك. ويمزات وكلينبث بروكس من عاهة الاستغلاق في كثير من فقراته، وكذلك الأمر بالنسبة إلى كتاب جان كوهن الذي ترجمه أحمد درويش. فكأن الرجل نشر المسودة الأولى للترجمة، بل إن كتابًا من عيار الاستشراق لإدوارد سعيد لم يحظ -بعد الترجمة الرابعة- بترجمة تحظى بالقبول التّام، لا أعرف بين الترجمات الفرنسية أو الإسبانية إلا ترجمة واحدة لكتاب الاستشراق وكلتاهما موضع تنويه، ولتكن هذه مناسبة لطرح مسألة تهمني، وأعني بها الترجمات المشتركة. أعتقد واعتمادا على تجاربي الشخصية، أن الترجمات المشتركة هي الأقل عرضة للزلل عندنا، إن الرقابة تكون مضاعفة والحرص على التصفية يكون أقوى، بل إنني أفضل الترجمات المشتركة على الترجمات الفردية التي يوقعها مراجع. إن الترجمة غابة كثيفة وولوجها الانفرادي يجعل المرء عرضة لكل أنواع المخاطر؛ والدخول إليها مع الرفقة الجيدة يجعل المزالق أقل تأثيرا. أعظم الكتب التي ترجمتها هي تلك التي أنجزتها ضمن مجموعة. لذلك جاءت أغلب ترجماتي في شكل ترجمات جماعية؛ فالمراجِع في العالم العربي لا يلبي غالبًا حاجة الترجمة الجماعية، إذ كثيرًا ما اكتفى بالتوقيع دون المراجعة! وهذه معضلة، علاوة على أن وضع المراجع وضع غامض في الترجمات العربية، واعتمادا على تجاربي الشخصية، كثيرا ما أثبت اسم مراجع الترجمة على الغلاف دون أن يراجع شيئا! إن الترجمات المشتركة تستفيد من خبرتين علميتين كما تستفيد من القدرات التأويلية للمترجمين.

المطلوب في العالم العربي وضع مخططات لترجمة أمهات التراث الإنساني، مخططات وانتقاءات تقوم على اعتبارات الأهمية بالنسبة إلى الحاجات الوطنية، طبعا لا ينبغي لهذا أن يلغي المبادرات الفردية التي أعدها إحدى دعامات النهوض الثقافي والاكتشافات الأساس التي تغيب عن اختيارات الدولة، وتبعا لهذا يجب تنظيم لجان الفحص والمراجعة والتزكية، وينبغي سن قوانين تحدد أجر المترجم، بل وتبني المعيار الدولي في هذه الدائرة.

ينبغي حماية المترجم وحقوقه وضبط عمليات الاختلاس واعتماد التقنيات الإلكترونية لضبط الغش والتدليس، فكم مرة سمعنا بأطروحات مسروقة بكاملها، هذه الأمور ينبغي ضبطها.

الروائية والتشكيلية د. هناء حجازي:

أكتب في الصمت التام..!

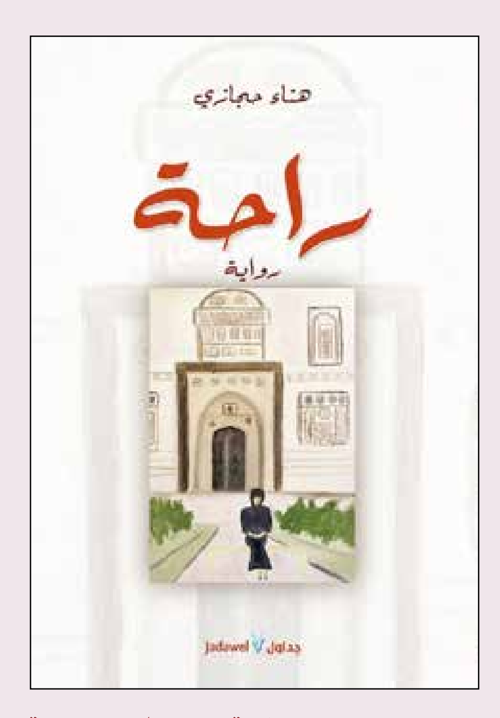
ضوءُ النهار مهم للكتابة بالنسبة لي، إذا جاء الظلام أنصرف للقراءة ومشاهدة التلفزيون

هناء حجازي أنموذج من الأديبات اللائي يُجدن التعامل مع إمكاناتهن الإبداعية، وترويض أبسط المشاعر والانفعالات والانطباعات التي تنجز بها أعمالها الإبداعية، وكتاباتها الأسبوعية في زاويتها بجريدة الرياض وغيرها؛ ولعل قربها من القارئ يوثق قيمة أعمالها سواء في القصة أو الرواية أو حتى في الفن التشكيلي، وأيضا في الترجمة.

نعم، في كل هذه الفضاءات تحضر هناء حجازي كاملة، وعندما سألتها عن مصطلح «الأدب النسوي» كانت حازمة، فقالت: «... لا تهمني المصطلحات ولا أعترف بها، أعترف فقط بأدب جيد، يستطيع إيصال الفكرة وخدمتها ويجعلني كقارئة أعيش الحالة وأستمتع بالقراءة، أما الأدب الذي لا أستمتع به ولا يثريني.. لا أحب قراءته».

■ حاورها: عمر بوقاسم

• **يتنوع إنتاجك الإبداعي بين القصة القصيرة والرواية والسيرة الذاتية؛ فقد أهديتِ الساحة الإبداعية عام ٢٠٠١م، المجموعة قصصية «بنت»، وفي عام ٢٠٠٧م، مجموعة «هل رأيتني كنت أمشي في الشارع»،** وفي عام ٢٠١٢م، أصدرت «مختلف.. طفل الاسبرجر مختلف ليس أقل» وهو ينتمي لكتب السيرة، و«امرأتان» رواية صادرة عن دار الساقي عام ٢٠١٥م، وعام ٢٠١٩م كان موعد صدور رواية «راحة»، وهذا العام

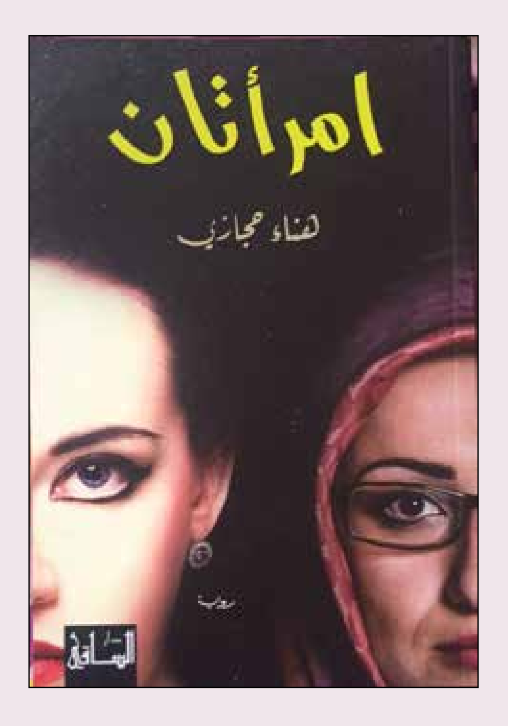


٢٠٢٢م موعد رواية «يوميات حقيقية لفتاة متخيلة أو العكس»، هذا التنوع الثري في فضاءات الكتابة، ما خصوصية المسيرة الكتابية لدى الدكتورة هناء حجازي؟

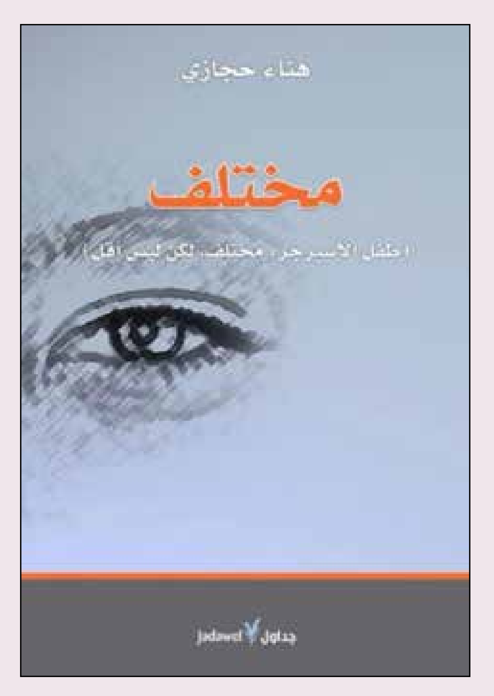
■ بدأت كمعظم الكُتّاب بكتابة الشعر، لكنني أدركت أنني لست شاعرة، أو أنني أقوى في السرد، كان ذلك مبكرًا جدا، كنت أصغي لما يقوله الذين ساروا في هذا الدرب قبلي؛ لكنني لم أرسل مادة لأي مجلة أو جريدة وتم رفضها. منذ أول كتابة، لم أكن أعرف أحدًا في عالم الصحافة أو الثقافة. كنت أقرأ كثيرًا منذ طفولتي، هذه كانت أدواتي، فقط. أرسلت مقالا لمجلة اليمامة وتم نشره فورًا، تتالى نشر المقالات في صفحة القراء المشهورة آنذاك، قلم وحبر، ثم أرسلت مادة أدبية، نص مفتوح لملحق أصوات، في مجلة اليمامة، كانت أول مادة أدبية أرسلها لملحق أدبي ونشر أيضًا. أتذكر أنني أيضًا أرسلت مادة، قصيدة، لملحق جريدة اليوم، ونشر أيضًا، وكنت أتابع صفحات الثقافة والملاحق الأدبية في ذلك الوقت. كل ذلك قبل أن أتعرف على كُتّاب الساحة الثقافية، ثم بدأت أتحدث معهم، تعرفت وقتها على فائز أبا، الذي كان يبحث عن هذه الفتاة الجديدة التي تكتب بطريقة مختلفة عن بقية الأصوات في الساحة، لم يصدق حين قلت له إنني لا أعرف أحدًا، وليس في عائلتي كاتب أو مثقف معروف، لكن حين ذكرت له قراءاتي اطمأن أنني لست نبتًا شيطانيًا! عرفني فائز أبا على عالم الكتاب، على عالم الحداثة، أعطاني أسماء كتّاب من السعودية، ومن مصر ومن العالم العربي والغربي، أدخلني دنيا جديدة، دنيا كتابة جديدة، لم يغير ذلك من طريقتي في كتابة السرد، لكنه زادني غنى ومعرفة وولعا بطرق جديدة في الكتابة. تعرفت أيضا على كتّاب مصريين كُثر في تلك الفترة، كنت أذهب إلى القاهرة وأجلس في مقاهيهم وأتحدث إليهم، ثم دخلت عالم الترجمة أيضا بتحفيز من فائز أبا. عالم الترجمة عالم هائل وجميل، يزيد من مخزونك الثقافي والأدبي، ومن مخزون المفردات، وكيفية التفكير فيها والتعبير بها. أول مجموعة نشرتها تأخرت كثيرًا، لأنني كنت خائفة من النشر، كنت مترددة جدًا، وكنت أقول لنفسي وسط كل هذه الكتابات الهائلة والرائعة، كيف أجرؤ؟ ثم جرؤت، ثم أصبحت أفكر أنه حق لي وللآخرين أن يستمعوا إلى صوت من المنطقة التي أنا منها، أدركت ذلك متأخرًا، ومع ذلك



أتذكر بعد صدور «بنت»، وتصريحي بذلك، أن خرجت مراجعة تتهكم على ما قلت، لم ألتفت كثيرًا للمسألة، كنت فعلًا مؤمنة أن لي صوت متفرد وبحاجة إلى أن يسمعه الناس؛ ولأنني لم أكن متفرغة للكتابة، ولأن هناك أحداثًا كثيرة كانت تمر بحياتي في الفترة ما بين الكتابين الأول والثاني، فقد صدر الثاني بعد ست سنوات من الأول. في كتابي «هل رأيتني كنت أمشي في الشارع»، جمعت بعض مقالاتي التي صدرت في مجلة الجديدة، وبعض قصائد نثر كنت كتبتها ومجموعة من القصص، كنت أريد أن أقدم هناء من خلال هذا الكتاب؛ رؤاها، طريقتها في الكتابة، كيف ترى الحياة، ربما لم يتم استقباله بشكل جيد؛ لأنه لم يكن متخصصًا في نوعٍ واحدٍ من الأدب. لكنني ما أزال أحب هذا الكتاب، وبالذات قصة «هل رأيتني كنت أمشي في الشارع» والتي تمت ترجمتها إلى الإنجليزية من قبل المترجمة المبدعة هيلة الخلف، وهذه القصة كانت السبب في ترشيحي للذهاب إلى برنامج الكتابة العالمي الذي تشرف عليه جامعة آيوا، بعد أن سمعني مدير البرنامج وأنا أقرأ القصة أثناء زيارته للمنطقة، كنت في هذه الأثناء أكتب بشكل أسبوعي في جريدة البلاد. استفدت من هذه التجربة، الالتزام بالكتابة، والقدرة على خلق الموضوعات والكتابة في شؤون المجتمع والأدب. كتابة المقال تساعد المبدع لأنها تدربه على الكتابة وتجعله مثابرًا في المسألة وغير بعيد عنها، كان ذلك ضروريًا لي؛ لأنني أعمل بشكل يومي في مجال بعيد عن الأدب والكتابة، كنت طبيبة استشارية ذات مسؤوليات طبية وإدارية، وكان ذلك يأخذ الكثير من الوقت، إضافة إلى مسؤولياتي كأم وزوجة في ذلك الوقت، ذهبت إلى برنامج الكتابة العالمي في العام ٢٠٠٩م. وهناك تعلمت أنني كي أكتب لا يجب أن أترك ذلك للظروف أو انتظار الوحي، يجب أن أجلس بشكل يومي وأكتب. وكانت فكرة كتاب مختلف قد بدأت، وكنت قد بدأت الكتابة فيه فعلا، لكنني تركته لأنني لم أكن ملتزمة بالكتابة كفعل يومي، حين عدت من أمريكا بدأت الكتابة مرة أخرى بشكل أكثر دأبًا والتزامًا. ألزمت نفسي أن أكتب ٥٠٠ كلمة في اليوم. لكن أيضا للظروف الأخرى لم أستطع الانتهاء من الكتاب قبل ٢٠١١م. تم نشره في دار جداول في ٢٠١٢م، وحصلت على جائزة الكتاب من وزارة الثقافة في ٢٠١٣م. كان كتابي «مختلف، طفل الأسبرجر



مختلف»، وهو الكتاب الذي سيبقى الأقرب إلى قلبي والأكثر صدقًا؛ لأنه لم يكن خيالا، كان سيرة روائية عن رحلتي لاكتشاف حالة الاسبرجر، وهي طيف من أطياف التوحّد الذي يعاني منه يوسف، ولدي. تلقيت الكثير من الردود التي لامست قلبي من الكثيرين الذين قرأوا الكتاب، وما أزال أتلقى الكثير من الردود الجميلة والمتفاعلة. في العام ٢٠١٥م أصدرت رواية «امرأتان»، كانت أول رواية لي، أيضا لاقت صدى رائعًا. كنت قد بدأت كتابتها منذ فترة طويلة، وأكملتها بعد كتاب مختلف الذي أدركت من خلال كتابته أنني أملك النفس الروائي. وكنت قد تخليت عن كسلي في الكتابة وأدركت أن الكتابة قدري الذي لا مفر منه، أعجبت الرواية القنصل الفرنسي في جدة في ذلك الوقت، واقترح علي ترجمتها الى الفرنسية. تحدث مع دار النشر التي ينشر فيها كتبه، وبحثت أنا عن مترجم دلتني عليه الصديقة سارة خزندار ابنة الكاتب الكبير عابد خزندار التي تعيش في باريس. الترجمة حسب الذين يعرفون الفرنسية كانت رائعة، وهكذا تم نشر الرواية في دار ارتمان الفرنسية المعروفة. هذه الترجمة أخذتني إلى باريس حيث أقيمت أمسية بهذا الخصوص في دار النشر ودعيت بعدها الى بودكاست بخصوص الكتابة في الخليج، ثم دعوة إلى القناة التلفزيونية الفرنسية ٢٤. وبعدها بسنة جاءتني دعوة من معرض الكتاب في مدينة رين الفرنسية، حيث أقاموا أمسية حوار معي في المعرض، وقمت بتوقيع الرواية هناك، في العام ٢٠١٩م قمت بنشر رواية راحة، وإذا كانت رواية «امرأتان» مليئة بالدراما والأحداث، فإن رواية راحة كانت بسيطة جدًا تتحدث



بلسان امرأة ورجل عن حياتهما الزوجية، لكن يتخلل ذلك الكثير من التفاصيل حول الفوارق الاجتماعية، وطريقة تفكير امرأة تريد الراحة، ورجل يعتقد أنه كان يمنحها الراحة، مَن قرأ الرواية عرف أهميتها، لكنها من وجهة نظري لم تنل ما تستحقه من اهتمام!

روايتي الأخيرة التي صدرت قبل شهر ورآهـا الناس لأول مرة في معرض الرياض للكتاب بعنوان «يوميات حقيقية لفتاة متخيلة أو العكس»، هي تمامًا كما يشي العنوان، يوميات فتاة عصرية تعيش في زمننا الحالي، كل الوقائع العامة المكتوبة في الرواية حقيقية، وحدثت في التاريخ المكتوب نفسه، يصاحب ذلك أحداث خيالية للفتاة التي تتحدث بصوتها فيه، هذه باختصار، اختصار حكايتي مع الكتابة.

المقال تدريب على الكتابة..!

- **«نظرت إليه، كان يتحدث بجدية تامة، وكان معه حق، لم يكن من حقي أن أفتش في أغراضه، شعرت بالخجل من نفسي، وفي الوقت نفسه، كان غضب عارم في داخلي، شعرت أنني مخدوعة، كنت أتخيل طوال الوقت أن هذه هي شخصيته، أنه رجل بلا مشاعر، أنني تزوجت من رجل آلة، رجل يحرص على مظهره وعمله.حتى رحلاته المتكررة، كنت أظنها فقط من أجل الترفيه، امرأة في كل رحلة، لم أكن أهتم لذلك. لكن، أن تكون هناك امرأة واحدة، امرأة تختلف تماما عني، وأنه يضحك معها، يمسك بيدها، يذهب معها إلى كل مكان، وقبَلها، هذا ما لم يخطر على بالي» ما بين القوسين مقطع مجتزأ من رواية راحة، وهو أيضا يشغل الغلاف الخلفي للرواية، امرأة تصارع واقعها في صمت وتحاور ذاتها وتفترض الحلول ولو بهزيمة..! يحضرني هنا مصطلح «الأدب النسوي» أو «أدب المرأة»، الذي خلق نوعا من الجدل.. قبله بعضهم ورفضه آخرون، الدكتورة هناء ماذا تقول خارج أقواس هذا المصطلح؟**

- مَن الذي يطلق المصطلحات على الأدب؟! الأدب في تعريفه هو صيغة اختارها الإنسان للتعبير عن نفسه بطريقة راقية تستطيع أن توصل همومه ومشاعره إلى الآخر، فلماذا إذا كان التعبير عن مشاكل



د. هناء حجازي مع لوحاتها في معرضها بجدة

المرأة أو همومها أو مشاعرها، صار لا بد أن نسميه ونخصص له اسمًا محددًا، لماذا إذًا لا يوجد أدب الرجل، هناك هموم لكل كاتب أو مسألة يريد أي كاتب أن يكتبها ويعبّر عنها، هل لا بد أن نضع مسمى لكل نوع من أنواع الهموم التي يعبر عنها كل كاتب؟! في هذه الرواية بالذات، رواية راحة، كانت الرواية تتحدث بصوت المرأة وبصوت الرجل، لذلك، هذا المثل بالذات لا يصح على هذه الرواية لأنها مكتوبة بلسان الإثنين. بالنسبة لي لا تهمني المصطلحات ولا أعترف بها، أعترف فقط بأدب جيد، يستطيع



د. هناء حجازي وصورة مع احدى لوحاتها

إيصال الفكرة وخدمتها ويجعلني كقارئة أعيش الحالة وأستمتع بالقراءة، وأدب لا أستمتع به ولا يثريني.. لا أحب قراءته.

- **«تفاصيل صغيرة».. زاويتك الأسبوعية بجريدة الرياض، دائما تأتين بفكرة تُحدث الإعجاب لدى القارئ، وحقيقة هي زاوية مقروءة وجميلة، ولكن أذكر أنك غردتِ عن التوقف عن كتابة المقال، وتطلبين استشارة، والرد من الأصدقاء الكُتاب..! أتوقع أن يكون سبب فكرة التوقف عن كتابة المقال فكرة ستدخلني في متاهة فلسفية وعميقة، هل لي بالرد عن سر فكرة التوقف عن كتابة المقال..؟**

- أرجو أن لا أخذلك في توقعك وإن كنت أشعر أنني سأفعل؛ لأن الإجابة لن تكون بذاك التعقيد، أحيانًا تكتب وتكتب ولا تعرف إذا كنت مقروءًا فعلًا أم لا، لديَّ دائمًا مشروع كتاب، كلما أنهيت كتابًا تبدأ الأفكار تراودني للبدء في كتاب جديد، لا تلهيني كتابة المقالات عن مشروعاتي الكتابية، في الحقيقة لا تلهيني كتابة المقالات عن أي مشروعات. جادة أو ترفيهية، أكتب في أي مكان ومن أي مكان، أرسل مقالاتي من المطار أو وأنا في رحلة إلى الدومينيكان. من على متن باخرة كروز أو في عزلتي في بيتي، لذلك لم تكن هذه هي المعضلة. على العكس، كتابة المقال تدريب على الكتابة، على خلق الموضوعات، على قدرة الكاتب على مواجهة هذا التحدي الأسبوعي في كتابة موضوع ملهم وحيوي وجاذب، وهذا بالضبط ما يحتاجه كاتب الرواية، أن يملك القدرة على المضي في روايته وجعل شخوصها ملهمين وأحياء

وجذابين، سؤالي كان فقط للتأكد من أن هناك من يقرأ مقالاتي، وأنت هنا تقول أنها مقروءة وجميلة، وأنا أشكرك على ذلك، هذا ما أحتاجه فعلا، أن أتأكد أنها مقروءة كي أكمل، لأنه لو لم تكن، ما الحاجة إذًا لإمضاء هذا الوقت لكتابتها، لو لم تكن جذابة بالدرجة الكافية كي يقرأها الناس، يكون التمرين، إذًا، فاشلًا ولا داعي له.

خطوات مهمة..!

- **معرض الرياض الدولي للكتاب، يحظى برعاية وزارة الثقافة واهتمامها ممثلة بهيئة الأدب والنشر والترجمة، المعرض بفعالياته وبرامجه الثقافية، يتسيد المنابر التي يحرص عليها المفكرون والشعراء والكتاب والجمهور، على المستويين المحلي والدولي. فهناك الكثير من المكاسب؛ اقتناء الكتب، وإقامة الندوات والأمسيات الشعرية، وغالبا ما يشهد ولادة كتاب «إصدار كتاب»، واللقاءات والحوارات الجانبية.. والكثير الكثير من المكاسب. أين هناء حجازي من معرض الرياض الدولي للكتاب؟**

- على الرغم من أنني من مدينة جدة، لكن علاقتي بمعرض الكتاب في الرياض كانت دائما أقوى، أو ربما لأن معرض جدة توقف فترة، لكن حتى حين عاد، لم أذهب، أنا بطبعي لا أحب الزحام، وإذا لم يكن لدي نشاط أو دعوة، لا أذهب، ومعرض جدة دائما بعيد عني، بينما معرض الرياض كانت دائمًا هناك دعوات لإقامة أمسيات أو إدارة أمسيات. أذكر أنني شاركت في أمسيتين قصصيتين في سنوات مختلفة، وأذكر أنني أدرت أمسية في سنة أخرى، وأذكر أنني شاركت في ندوة، والحدث الأهم هو عندما استلمت جائزة الكتاب من يد معالي الوزير عبدالعزيز خوجة قبل تسع سنوات خلال المعرض. وقمت في السنة ذاتها بتوقيع كتابي في المعرض، كل هذه الأحداث التي تهم أي كاتب وتعد خطوات مهمة في دربه حدثت لي في معرض الرياض الدولي للكتاب.

هل رأيتني..!

- **«داما آرت» بجدة، حيث أقمت معرضك التشكيلي الأول، والمعنون «هل رأيتني..؟». يطغى على فنك فن «البورتريه»، وهو رسم الأشخاص، ومن الواضح أنك رسمت عددا من الشخصيات المقربين منك من فنانين وأدباء معروفين، وما يعمق ريشتك وفكرة لوحاتك أنك رسمت الشخصيات بروح فنية وبعين الفنانة، وليس بعين الحرفة التي تستنسخ فقط، هل لنا ببوح يقربنا من عالمك الفني؟**

- حب الرسم بدأ معي منذ الطفولة، تمامًا كالكتابة، ومشروع الفن التشكيلي بدأ منذ زمن بعيد، لم أتوقف عن الرسم، أبدًا، كنت أرسم سكتشات في كل مكان أكون فيه، تشهد على ذلك ماصات كلية الطب، وكتبي ودفاتري. كنت بارعة في الرسم، تشهد على ذلك معلمات الرسم في كل المدارس التي كنت فيها، ودفتري الذي أهدته معلمة في معمل الأحياء لطالبة في السنة التي تليني. لأن رسوماتي للأحياء الدقيقة كانت رائعة حسب وصفها. لكن مشروعي الفني بدأ

تحديدًا بعد تخرجي من كلية الطب، في لحظة شعرت أنني أريد أن أخوض هذا المشروع، كنت قد أصبحت كاتبة لها اسم معروف في الساحة الثقافية، تقريبًا. لكنني في تلك اللحظة أحسست أن ما أريد أن أعبر عنه، لا يريد أن يخرج عن طريق الكتابة، ولذلك بدأ مشروع الفن. صرت أبحث عن كتب تعليم الفن في كل مكان، وجدت هذه الكتب حين سافرت، كنت كلما سافرت إلى بلد بحثت عن كتب تعليم الرسم والتلوين. وبدأت، بالتعليم الذاتي. وأكملت هذا الهوس طوال الوقت، كنت أزور المعارض الفنية في جدة وفي كل بلد أزوره. شاركت في البداية في عدد من المعارض للموهوبات، أتذكر أن إحدى لوحاتي المائية عرضت كغلاف في مجلة. ثم توقفت. لم أتوقف عن الرسم وعمل اللوحات، لكن توقفت عن المشاركة والاهتمام. ظللت أعمل بصمت، لكن بمثابرة، حتى جاء وقت اعتقد في ٢٠١٥م. قررت أن أعود. للمشاركة والاهتمام. كل ذلك أوصلني إلى معرضي الشخصي الذي شاهدتم تغطيته، كان نجاحًا باهرًا بالنسبة لي، أحب الوجوه، البورتريه بالنسبة لي كان خيارًا منذ طفولتي، لم أستطع الحَوِّد عنه مهما حاولت، أحب التعمق في ملامح الشخصيات التي أرسمها. أحب قراءة روح الشخص الذي أرسمه والتي تظهر حين أرسم، لا أعرف كيف أصف النتيجة، أنتم تشاهدونها وتعرفون، أعرف من تعليقات الحضور، لوحاتي لا تشبه البورتريهات الأخرى، لوحاتي ناطقة، تنطق بروح وشعور الشخص الذي أرسم. تشدك نظراته، أو تعبيراته. تشدك أشياء أبعد من مجرد لوحة بورتريه لشخص معروف، يشدك سؤاله الذي يقوله عبر اللوحة، هل رأيتني؟

تضطر للاستغناء عن ذلك..!

- **هناك عدد من القراءات النقدية التي تناولت أعمالك الأدبية، ما تقييمك لهذه القراءات، وهل استطاع النقد أن يصل أو يضيء لهناء حجازي زاوية «ما» في فضاء الكتابة، أم أنك لا تهتمين أو تخشين النقد؟**

- كان النقد كريمًا معي أحيانًا أو تحاشاني أحيانًا أخرى. أكثر ما كان كريمًا معي في كتابي مختلف وهو سيرة مجتزأة عن رحلتي في اكتشاف حالة التوحد عند ولدي. كتب عنه فهد عافت، وعبدالله السفر، وآخرون، كتابات رائعة. رواية امرأتان أيضا لقيت العديد من القراءات الجميلة، كتب عنها أحمد زين مراجعة عميقة وجميلة. ضيف فهد أيضًا كتب عنها. أذكر أمثلة فقط. رواية راحة لم تجد ذلك الصدى، ليس لأنها لا تستحق في رأيي، ولكن لأن النقاد يعزفون عن القراءة، كل الكتاب يهتمون بالنقد، ونحن في مناوشاتنا وإظهار أننا لا نهتم بالنقد، نكاد لا نستطيع إخفاء كم نحن نهتم بالنقد، لكن لا يمكنك إجبار النقاد على الالتفات لعملك والكتابة عنه، لذلك، تضطر للاستغناء عن ذلك بسماع آراء زملائك الكتاب، وحتى آخر رواية صدرت، فإن ما أسمعه من آراء دائمًا كان في صالح ما أكتب، وهي آراء مهمة لكتّاب مهمين. لذلك حين أقول لا أهتم للنقد، فإن ما أعنيه حقيقة هو أنني لا أهتم للنقد الذي يحاول أن يوحي للآخرين أن

هناء حجازي كاتبة ليست مهمة، وهي مسألة تبعث على الضحك أكثر مما تبعث على القلق أو تدعو للاهتمام.

أكتب في الصمت التام..!

● **بعض المبدعين - بصفة عامة- يلتزمون بطقس معين أثناء الكتابة، هناء حجازي، كيف، ومتى تكتب؟**

■ حاليا أكتب في الصباح، بعد أن أشرب قهوتي. حين كنت ما أزال أعمل كنت أكتب حين أعود من العمل، ضوء النهار مهم للكتابة بالنسبة لي، إذا جاء الظلام أنصرف للقراءة ومشاهدة التلفزيون. أكتب في الصمت التام، لا أستطيع ان أكتب إذا كان هناك أي نوع من الضجيج، وبخاصة الموسيقى أو الأغاني، وهي مفارقة غريبة؛ لأنني أحب الاستماع إلى الموسيقى حين أمارس الفن التشكيلي..!

سأقرأ بشكل عشوائي..!

● **بعضهم يغرد عن ما يقرأه، أجد أن النصيب الأكبر للكتب الأجنبية أو لكاتب معروف، ونادرًا جدًا ما أجد مَن يقرأ أو يغرد لكتاب أو مجموعة شعرية لكاتب شاب، ما رأيك..؟!**

■ لا أعرف عن الآخرين، لكنني أقرا وأكتب أيضًا عن الشباب الذين تعجبني كتابتهم، أقرأ لمن تعجبني كتابته بصرف النظر عن شهرته أو سِنّه أو خبرته؛ ولذلك من طقوس القراءة عندي أنني أختار الكتاب الذي سأقرأه بشكل عشوائي. أعتمد مثلا على اختيار الكتاب بحسب حروف الهجاء، ابدأ من الألف إلى الياء. إذا صادفني عنوان يبدأ بالألف أو اسم مؤلفه يبدأ بالألف قرأته، وهكذا حتى أنتهي من كل حروف الهجاء، ثم أبدأ من جديد، كل ذلك كي أضمن أنني سأقرأ بدون تخطيط مسبق وبدون تحيز لاسم معين. هذا رد على طقوس القراءة دون أن تسألني عنها، لكنني أرحب دومًا بأي شخص يهديني نسخة إليكترونية من كتابه، أجعلها من الأولَويات. على أن تكون نسخة إليكترونية، لم أعد أستطيع قراءة الكتب الورقية.

● **تحدثنا كثيرا عن الإضافات التي تضيفها الشبكة العنكبوتية وبإيجابية، أليس لهذه الشبكة أي سلبية على الكاتب أو المثقف بصفة عامة؟**

■ أنظر دائمًا للناحية الإيجابية للأمور. السلبية التي أثرت على الكاتب ربما وجوده الدائم، اكتشافه لرغبته في الشهرة، التحدث في أمور لا يفقه فيها، إبداء رأيه في كل شيء. هذه الممارسات السلبية هي السبب في شعور المثقف بأنه



الشاعر عمر بو قاسم أمام إحدى لوحات د. هناء حجازي

فقد وهجه. عامة الناس صاروا يتحدثون إليه مباشرة، ليس من وراء حجاب الكتب والصحف، والكثير من الناس ليس لديهم الأخلاق الرفيعة في التعامل مع المثقف. السلبية التي أراها بشكل فاضح، هي أن رغبة بعض المثقفين في الحصول على استحسان الناس جعلت لدينا مثقفا يقول ما يشعر أن الناس ستصفق له. بمعنى أن المثقف لم يعد يمثل الوعي، لم يعد الدليل، صار تابعًا لما يعتقد أنه سيعجب الناس. مرة أخرى أوكد أنني لا أتحدث عن الجميع.

تحتوي على الحديث والقديم..!

- **عفوا.. تعودت أن أسأل هذا السؤال فهو يضيء للقارئ الخصوصية الثقافية لدى ضيف الحوار.. هذا ما أعتقده، هل لنا أن نتعرف على محتويات مكتبة الدكتوره هناء حجازي بفضاءاتها المتعددة؟**

▪ مكتبتي فيها كل أنواع الكتب، يطغى عليها الأدب بالطبع، كل أنـواع الأدب، أميل للروايات، أحب الشعر طبعًا، أميل للشعر الحديث أكثر من العمودي، كتب التراث الأدبية. التاريخ. الفن. لا أحب الكتب السياسية، ولا كتب النقد الموغلة في استخدام المفردات النقدية الأجنبية. مكتبتي تحتوي على الحديث والقديم، الأجنبي من كل أنحاء العالم، والعربي من كل أنحاء العالم العربي، والمحلي طبعًا. وفي كل الأنـواع الثلاثة هناك الحديث والقـديم. مكتبتي كما قلت فضاءاتها متعددة جدًا، جدًا.



من لوحات الدكتورة هناء حجازي

الشاعر الدكتور عبدالرحمن بن إبراهيم العتل في حوار خاص للجوبة:

جمعيةُ الأدب العربي تنهض بعمل جليل رغم ضعف الإمكانات
موقف صعب كاد أن يحول بيني وبين الدكتوراه !

الشاعر الدكتور عبدالرحمن العتل: تربوي، وباحث، وحاصل على الدكتوراه في الأدب والنقد، وعضو النادي الأدبي بالرياض، وعضو جمعية الأدب العربي، له العديد من الدواوين المطبوعة، وهو أحد الفاعلين في الإعلام الجديد.

وقد سطر اسمه ضمن قائمة الشعراء في المملكة العربية السعودية، وله ذائقة شعرية متميزة، وشغوف بالشعر، ويهتم كثيرًا بآراء الناس حول شعره. تعالوا لنقرأ بعض تجاربه الدراسية والأدبية والحياتية والثقافية.

■ **حاوره: مسعود الدوسري**

- **نود في البداية معرفة جوانب من سيرتك الذاتية.**

عبدالرحمن بن إبراهيم العتل، من مواليد الرياض عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

بكالوريوس لغة عربية من كلية التربية، بجامعة الملك سعود، وماجستير في اللغة العربية تخصص أدب حديث من كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، ودكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها من كلية الآداب، بجامعة الملك سعود عام ١٤٢٧هـ.





من تكريم الشاعر د. عبدالرحمن العتل



عملت معلمًا في مدارس وزارة التربية والتعليم منذ عام ١٤٠٨هـ، ثم انتقلت للعمل في كلية التقنية عام ١٤١٣هـ وحتى عام ١٤٤٣هـ تقاعدت بعدها مبكّرًا. أحمل عضوية لجنة الشعر بنادي الرياض الأدبي، وعضو مؤسس لنادي الشعر بجامعة الملك سعود.

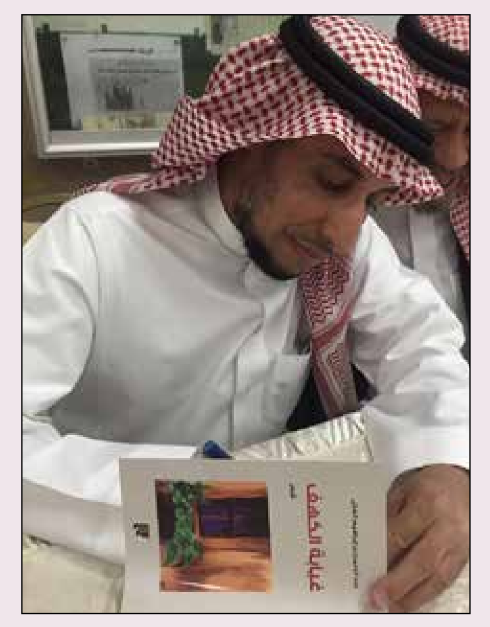
ولي في مجال الإنتاج العلمي: موسوعة تاريخ التعليم بالمملكة العربية السعودية، وعضو في الفريق العلمي، ومناهج اللغة العربية لمرحلة التجسير في معاهد المؤسسة العامة للتدريب التقني والمهني، وشاركت في تأليف كتاب شخصيات من نادي الرياض الأدبي، الذي صدر عام ١٤٣٧هـ. صدر لي سبعة دواوين شعرية:

- «دفتر من أرق» عن دار المفردات عام ١٤٣٤هـ.
- «خفق الكلمات» عن دار المفردات عام ١٤٣٤هـ.
- «غيابة الكهف» عن نادي الرياض الأدبي عام ١٤٣٧هـ.
- «لأني أحب» عن نادي القصيم الأدبي عام ١٤٣٩هـ.
- «رجفة الوجد» عن نادي الباحة الأدبي عام ١٤٤٠هـ.
- «وحدها هند» عن دار تكوين عام ١٤٤٢هـ.
- «على بعد قبلة» عن نادي أبها الأدبي عام ١٤٤٤هـ.

ولي مشاركات متعددة في الإذاعة والتلفزيون، وأقمت عدة أمسيات شعرية، وعدة دورات في التحفيز والإبداع، وحكّمت عددًا من الاستبانات لرسائل الماجستير والدكتوراه.



من نشاطات د. العتل





- **كيف أثرت طفولتك في شخصيتك؟**

من حسن حظنا أننا عشنا في زمن لم يشغلنا بشيء كما هو اليوم. كنت أعيش حياة تتميز بالبساطة والسماحة والعلاقات الاجتماعية العالية؛ فكان اليوم ينقضي بين المدرسة والبيت والمسجد ولقاء الأصدقاء الذين كانوا من فضل الله محبين للقراءة، فكنا نتبادل الكتب بيننا، فالذي لا يوجد عندي أستعيره من أصدقائي، وما ليس عندهم يستعيرونه مني، فتشكلت شخصيتي بحب القراءة والاطلاع على كثير من الكتب المتنوعة التي ظهر تأثيرها بعد ذلك فيّ.

- **أين درست؟ وما أبرز المواقف العالقة في الذاكرة من المراحل الدراسية؟**

كانت دراستي في مدينة الرياض منذ التحاقي بالابتدائية حتى حصولي على الدكتوراه، وخلال هذه السنوات مرّت مواقف عديدة، كان لها أثر بالغ في حياتي، ويصعب استعادتها كلها، لكن هناك مواقف لها تأثير في مسار العمر، ففي الثانوية كنت أكتب الشعر، فعلم أستاذ اللغة العربية، فشجعني ودعمني وحبب إليّ اللغة العربية وأدبها، فكان سببا في تخصصي في اللغة العربية في الجامعة، وفي الجامعة أيضا كان لنادي الشعر بها أثر كبير بصحبة عدد

من الزملاء الشعراء الذين كنا نلتقي بهم في النادي بحضور أساتذة الجامعة الذين يستمعون إلينا، ويوجهون النصائح التي نقوّم بها نتاجنا.

- **في دراستك الأكاديمية، ما الصعوبات التي واجهتك، وما أبرز المواقف التي مررت بها؟**

لا تخلو دراسة من صعوبات، والحياة كلها كذلك، لكني أحمد الله الذي منّ علي بإكمال دراستي والتزود من العلم في التخصص. في الماجستير كان مطلوبا منا في كلية اللغة العربية حفظ خمسة أجزاء من القرآن الكريم عند القبول غير محددة، وخمسة أجزاء محددة قبل المناقشة، وفي ذلك صعوبة لانشغالي بالتدريس وبالأسرة، فكنت أجاهد نفسي وأخلو بها لأتم الحفظ المطلوب الذي تحقق ولله الحمد.

وفي مرحلة الدكتوراه كان مرض ابنتي ودخولها المستشفى ومرافقتي لها من المواقف الصعبة التي كادت أن تؤثر في دراستي وتتسبب في تركها، لكن الله يسّر الأمر، وصابرت نفسي، وبوقوف الأهل معي وتحملهم جزءًا من المسؤولية ساعدني في استكمال دراستي ونيل الدكتوراه.



الشاعر د. عبدالرحمن العتل

- **كيف ترى الآن أثر «نادي الشعر» في الجامعة في مسيرتك الشعرية؟**

يكفي أنه عرّفني بزملائي الشعراء، وبلقاء أساتذة متخصصين في الأدب والشعر، واستفدت من نقدهم وتوجيههم، وما أزال أحفظ لهم هذا النصح الذي وصلت به بعد الله إلى مرحلة شعرية متقدمة.

- **صف لنا تجربتك الشعرية؟**

ولله الحمد كانت تجربة جميلة، عشت مراحلها كلها بحب وثقة وسعادة، بدأت خطوة صغيرة تعشق الشعر وتكتبه على استحياء، وتدونه في دفاتر ملونة وتفخر به، وكانت صوتا معبرا لبعض الأصدقاء الذين يطلبون مني أن أكتب لهم ما يشعرون به، فأتلقى منهم الثناء والمدح والشكر، ثم كانت مرحلة الدراسة الجامعية المتخصصة التي ساعدت على تطور التجربة وإكسابها مزيدا من التفرد والخصوصية، حتى وصلت مرحلة النشر والطباعة بعد أن نضجت التجربة واستوى عودها قويًا راسخًا، وما أزال أمر بأحداث ومراحل حتى أصبحت كالعود يزيده الإحراق طيبا!

- **أي دواوينك أحب إليك؟**

الشاعر يرى كل دواوينه قريبة لنفسه؛ لأنها النافذة التي يطل منها على العالم، ويراه العالم من خلالها، فيعرفونه عن قرب، لكن يبقى الديوان الأول أقرب من غيره؛ لأنه الطلقة الأولى التي انطلقت بعد جهد وتعب، وأيضا عرّفني بدور النشر، وكيف يتعاملون مع المؤلف وطرقهم في ذلك، ثم كيف يتعامل المؤلف مع تسويق إنتاجه ووصوله للقراء، وقد خرج لي ديوانان مرة

واحدة هما: خفق الكلمات، ودفتر من أرق، وبهما عرفني الناس.

- **هل واجهت عوائق في نشر الدواوين؟**

النشر ليس سهلا ودربًا مفروشًا بالزهور، بل هو متعب ومقلق للشاعر، بدءًا من اختيار الدار وما بعدها من مراحل تحتاج صبرًا وجلدًا وذكاءً. وقد تعرض ديوانك على الأندية الأدبية، فيظل عندهم وقتًا طويلا، ثم قد يوافق على طباعته، أو يرد إليك، لكن المهم ليس الطباعة فحسب.. بل التسويق؛ لأنك قد تنشر ديوانًا ويبقى حبيس مكتبتك وبيتك، فلا يصل للقراء وهذه موجعة حزينة لكل شاعر.

- **كنت عضوًا في لجنة الشعر في النادي الأدبي بالرياض، فكيف كانت التجربة؟ وإلى أي حد خدمت اللجنة الشباب؟**

تشرفت ولله الحمد بكوني عضوًا فيها، وقد قدمنا مع زملائي عملا أراه جيدًا جدًا، فاستضفنا شعراء من مناطق المملكة في أمسيات شعرية يتحدثون عن تجاربهم الشعرية، ونقادا يلقون محاضرات حول الشعر والأدب، ولم يكن ذلك ليتحقق لولا جهود رئيس النادي آنذاك الدكتور عبدالله الحيدري ومن معه في مجلس الإدارة، الذين كانوا يدعموننا ويشجعوننا ويسهلون لنا كل شيء لأجل تنفيذ الفعاليات المتنوعة، وكذلك زملائي في اللجنة، فلهم كل الشكر.

- **طبعت مجموعة من الدواوين، وهي تشكّل المسيرة الشعرية، ولكن لماذا لم نرَ لك أعمالًا بحثية ونقدية مطبوعة؟**

شغلني الإبداع عن البحث والنقد، فوجدت نفسي في طباعة شعري، ولم ألتفت لنشر البحوث والمشاركة في اللقاءات الأدبية رغم مشاركتي بورقة نقدية في ملتقى الشعر السعودي بنادي جازان الأدبي، والآن أراجع رسالتيْ الماجستير والدكتوراه، وأسأل الله العون والتيسير لتريا النور قريبا.

- **تقاعدت عن العمل العام الماضي، فهل ثمة تفكير في كتابة سيرتك الذاتية؟**

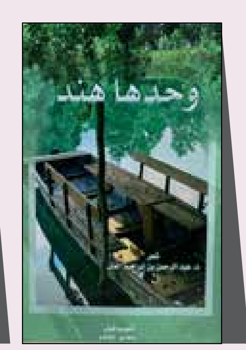
الحقيقة أنني بدأت كتابة سيرتي العملية المتعلقة بعملي في التدريس، وما أزال حتى اليوم أكتب فيها.

- **كيف رأيت الحراك الذي تنهض به جمعية الأدب العربي، وخاصة «ملتقى وج الثقافي» في الطائف، والمشاركة مع نادي**















جدة الأدبي في تكريم د. عبدالمحسن القحطاني؟

من الأشياء التي أتشرف بها هي انتمائي لجمعية الأدب وكوني عضوا فيها، وأشكر رئيسها السابق أ.د. ظافر العَمري الذي تفضل عليّ بعضويتها، وهي اليوم تنهض بعمل جليل رغم ضعف الإمكانات، لكنها نفذت عددًا من الفعاليات كان له صدى كبير في الأوساط الثقافية، فكرمت د. محمد الربيّع في حفل مشهود بحضور أمير الرياض صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر، وكذلك شاركت في تكريم الدكتور عبدالمحسن القحطاني في نادي جدة بحضور عدد من المثقفين والأدباء كمعالي الدكتور عبدالعزيز خوجة، والدكتور عبدالعزيز السبيّل وغيرهما، وشاركت الجمعية العام الماضي في تنظيم أمسية شعرية في محافظة ثادق بالتعاون مع اللجنة الثقافية هناك، بمناسبة يوم التأسيس، وكنت أحد المشاركين، ولله الحمد.

والزملاء في الجمعية بقيادة رئيسها الحالي د. عبدالله الزهراني يبذلون جهدًا كبيرًا لتؤدي الجمعية دورها في المجتمع؛ ولعل ملتقى وج الثقافي في الطائف واحد من الفعاليات المميزة التي نالت الاستحسان والثناء والدعم من المسؤولين، وسترون منها ما يسركم في الأيام القادمة.

- **وظّفت حساباتك في الإعلام الجديد لخدمة الأدب والثقافة والتعليم. فكيف تصف التجربة؟**

من نعم الله وجود هذا الإعلام الجديد الذي جعل الفضاء مفتوحًا بلا قيود، أو تحكم فرد فيما تنشر، وأصبح التواصل مع الناس ميسرًا، فما عليك سوى إنشاء حسابٍ ثم يبقى دورك في النشر وتقديم الشعر والأدب والتثقيف للمجتمع.

وقد قدمت دروسا في النحو وحلقات عن الشعراء، وأسعدني تفاعل المتابعين معي ومشاركتهم لي، وتعرفت على كثير من الأساتذة من داخل البلاد وخارجها، وهم عرفوني، ولذا ضروري أن يحسن الواحد منا ما يطرحه في حسابه وما يقدمه؛ لأنه مسؤول أمام الله أولا، ثم أمام مجتمعه، وعليه أن يكون فاعلا مميزًا صادقًا في كل ما يقوله.

«الشيء الوحيد الذي لا يمكن تعديله هو الخيال»

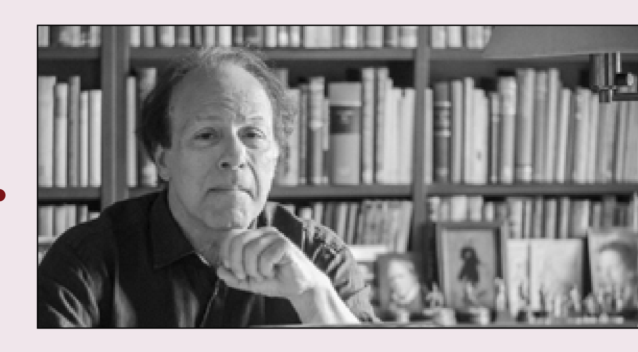
خافيير ماریاس

Traduction en Arabe. يعدّ خافيير ماریاس Javier Marías واحدًا من كبار كُتّاب الرواية المشهورين في أدبنا المعاصر. تنوّعت مواهبه في الكتابة بحيث استطاع أن يجمع بين الروائي، والمترجم، والمحرر، وكاتب الأعمدة، في صحيفة «إل باييس» وعضو الأكاديمية الملكية الإسبانية. وقد شكلتْ وفاته في مدريد يوم الأحد ١١ سبتمبر ٢٠٢٢م، إثر إصابته بالتهاب رئوي، صدمةً للأدب والأدباء والقرّاء على حد سواء. في ما يلي حوار أجرته معه «فيرونيكا أورازي»؛ أستاذة الأدب الإسباني بجامعة تورينو، حول روايته «بيرتا إيسلا» Berta Isla.

■ حاورتْه: فيرونيكا أورازي*
ترجمة: د. فيصل أبو الطُّفَيْل

• فيرونيكا أورازي: تروي «بيرتا إيسلا» القصة المعقدة لزوجين عاديين، على ما يبدو في ظاهرهما - بيرتا وزوجها توماس - يجدان نفسيهما، أو بالأحرى يكتشفان نفسيهما، متورطيْن في سلسلة من المؤامرات والحبكات التجسسية. ويقدّم العمل نقطة انطلاق مثيرة جدًا للتأمل في الطبيعة، ولكل ما يشكّل التجربة الذاتية. فكيف يتجسّد كل هذا داخل القصة؟

▪ خافيير ماریاس: ما تفضلتِ بذكره يمثّل جوانب تبرز أيضًا في رواياتي الأخرى التي نشرت سابقاً. يمكننا أن



نقول إننا غير قادرين على معرفة أي شيء، حتى في ما يتعلق بما نعيشه أو ما عشناه. في الواقع، يبدو الأمر وكأننا نعرفه، ولكن الحقيقة مخالفة لذلك! تذكّري بدايات «ديفيد كوبرفيلد»(١)، عندما يقدّم بطل الرواية نفْسَه ويتظاهر بأنه قد وُلِدَ، «هذا ما قيل لي وأنا أؤمن به». هنا، ينطوي هذا التسجيل الموجز والمجرد جدًا على رؤية رئيسة للواقع؛ ما نعرفه - أو ما نعتقد أننا نعرفه - هو شيء وهمي، وأنه أقرب إلى فعل إيماني منه إلى التصور الموضوعي للأحداث.

ولا يمكن أن يكون الأمر بخلاف ذلك؛ فنحن لا نتذكر ما يتعلق بماضينا البعيد ونستقي المعلومات المرتبطة بهذه المرحلة في وجودنا من الآخرين، ونقبلها وكأنها صحيحة وموضوعية وحقيقية. وعندما ننتقل بعد ذلك إلى مرحلة نحتفظ بذكرياتها، ومن ثمّ نعتقد بأننا على وعي بها، أي عندما نصبح قادرين على التفكير في ماضٍ نتذكّره، وحتى في الحاضر الذي نعيشه، تتعزز هذه الآلية؛ لأننا لا نعرف عن الحاضر، ولا الكثير عن تجاربنا الخاصة، ولا حتى عن آبائنا الذين نراهم فقط كما يبدون ظاهريًا، ويغمرنا في النهاية جهل تام بما هم عليه في الحقيقة، وكيف أنهم خارج هذا الدور وأبعد من نطاقه. وهذا الأمر ينطبق على كل شيء وعلى الجميع.

- **تقدم «بيرتا إيسلا» -باختصار- موضوعًا عميقًا للتفكير من خلال إثباتها إلى أي مدى يختفي وراء الواقع الذي ندركه، والذي يكشف عن نفسه مِثْلَ مظهر هش، جوهرُ عدم قابلية الواقع لأن يُعرف.**

- نعم، لأننا عندما نفكر في ذلك، فنحن لا نعرف أي شيء عما عشناه بشكل واع أو غير واع، نعتقد أننا نعرف، لكن ما لدينا لا يعدو أن يكون رؤيةً شخصيةً لنا، لتاريخنا، للأشخاص الذين نتفاعل معهم وللسياق، وللبيئة التي نعيش فيها. كل ذلك يتلخص في وجهة نظرنا، وفي ذاتية كل تجربة. وحتى التاريخ، وتسجيل الحقائق والأحداث، من حيث المبدأ المحايد والموضوعي، يخضع دائمًا لوطأة الذاتية، حتى في حالتها اللاواعية واللاإرادية؛ وعلى أي حال، يمكن دائما تصحيح التاريخ وإنكاره بل وحتى رفضه!

ربما من بين الأسباب التي تجعلنا نروي حكايتنا هو أننا بحاجة إلى يقينيات، ثم بعد ذلك ندرك أن الخيال وحده فقط، في طابعه غير الواقعي، والذي يعدّ أكثر واقعية من الواقع، يمكن أن يقدم لنا شيئًا حقيقيًا، وهذا أمر مؤكد؛ لأنه نتيجة لفعل إبداعي لا يريد أن يكون محاكيًا، وصفيًا، ولكنه يكاد يكون ابتكارًا خلّاقًا، إبداعًا خالصًا، وأن ينجح هذا الإبداع في تحريرنا من إعادة إنتاج واقعٍ من المقدّر له بالضرورة أن يظل بعيد المنال وغير

قابل للتصنيف. والشيء الوحيد الذي لا يمكن تعديله هو الخيال، الذي يصور واقعًا وهميًا، هو في حد ذاته كامل ولا يمكن إنكاره.

- **في الواقع، حتى عندما يتم إعادة صياغة عمل خيالي وتعديله، فإنه يتشكل كعمل جديد، وبالتالي كواقع جديد حقيقي؛ لأنه نتيجة لفعل إبداعي وخيالي، من شأنه أن ينتج عملاً فنيًا مختلفًا.**

■ بالضبط. فقط يكفي أن يفكّر المرء في التغيير الذي يحدث في نهاية «أوبرا كارمن» التي عرضت في مسرح ديل أوبرا بفلورنسا، في يناير ٢٠١٨ م، إذ يموت «دون خوسيه» بين يديّ «كارمن»:. لقد أعاد المخرج «ليو موسكاتو» كتابة النهاية، لأنه أراد تحويلها إلى شكوى تتعلق بقتل الإناث. إن الأمر هنا أشبه بإصدار نسخة جديدة من رواية «مدام بوفاري»، تهرب فيها إيما مع حبيبها، أو نسخة من «دون كيخوت»، لا يموت فيها بطل الرواية.

- **و من ثم، يمكن، داخل نص ما، استخدامُ عناصر معينة بشكل توظيفي، لتحقيق هدف معين. هل ينطبق هذا الأمر نفسه بطريقة أو بأخرى على رواية «بيرتا إيسلا»؟**

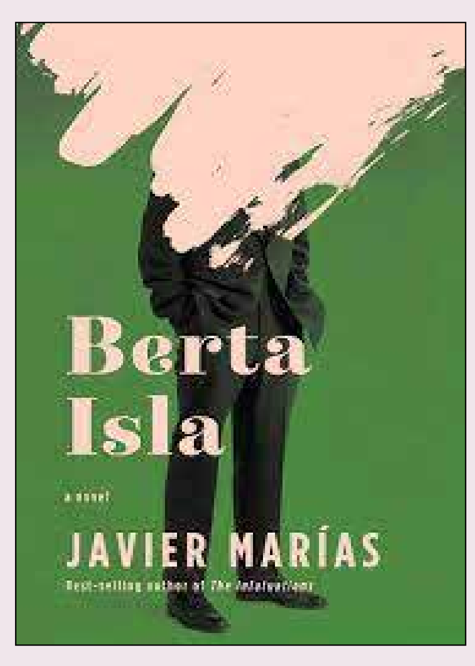
■ بمعنى ما، نعم، لأنه في الرواية، يمكن على ما يبدو مقارنة الحبكة بقصة من قصص الجواسيس، مع ما يصاحبها من السمات والأفعال والآليات السردية المميزة لهذا النوع؛ فالحبكة تمثل عنصرًا وظيفيًا للكشف عن الطابع الوهمي للمظاهر، في أي ظرف وفي أي سياق. ويُظهر السرد المنظور الجزئي - لأنه ذاتي - للبطلين (توماس وبيرتا)؛ إذ يكتشف القارئ رؤية كل منهما من خلال مشاركته من وقت لآخر وجهة نظر أحدهما، و إذ يعيد بناء قصة تَظهر تدريجيًا وليس بشكل كامل؛ وستبقى إحدى الشخصيتين - وهي بيرتا - غير مدرِكة للكثير مما حدث للواقع وللحقيقة.

وفي الواقع، عندما يضطر توماس في الرواية بسبب الظروف إلى الكشف على الأقل عن بعض التفاصيل السرية المرتبطة بوجوده لزوجته، فإنه يحذرها من أنه على أي حال سيكون هناك دائمًا جزءٌ لا يمكنها معرفته أبدا؛ جزءٌ سيظل مجهولاً بالنسبة لها. هنا، هذه اللعبة بين ما قيل وما لم يُقَل، بين الكشف والتحفظ، والمدعومة بحركيات شبه بوليسية، تعمل على جعلنا نفكر في حقيقة أن تجربة الواقع والآخر، وحتى تلك المعاشة بصيغة المتكلّم، وإدراكنا لتجربتنا الخاصة وتطورها العقلي في الذاكرة، والتي تتطور دائمًا وباستمرار في الزمن فهي تمثل رؤية جزئية بالضرورة، لأنها مجزأة وغير موضوعية.

- **وهذا هو ما يجابَه به القارئ؛ آلية المعرفة المزعومة بالواقع، وادعاء معرفة تلك العناصر التي تنتظرنا؛ العناصر التي تثبت أنها كلُّ شيء ما عدا أنها متماسكة ومتجانسة ومتسقة.**

■ نعم، يتعلق الأمر بضرب من التكيّف العقلي، وبطريقة للتفكير (الفكرة المثالية لمعرفة الواقع والآخر) التي تبين أنها

عديمة الجدوى، والتي لا وجود لها ولا يمكن أن توجد. إنها حالة من الوعي يجب الوصول إليها وقبولها والتعايش معها. فالعلاقات كلها مجزأة وشخصية، وكلها تستند إلى رؤية جزئية وذاتية، حتى لو كان من الصعب قبولها. وفي نهاية المطاف، يجب أن يكون هذا الجزء من الوجود والعلاقات، الذي قُدِّرَ له أن يظل شخصيًا، موجودًا؛ يبدو الأمر كما لو أنه يشكل المساحة الخاصة لكل فرد، ويمكن أن يكون رائعًا أيضًا، على سبيل المثال في علاقة رومانسية، لأنه يوفر لنا الفرصة لرؤية الآخر والدخول في علاقة معه كشخص جديد دائمًا.



● **وماذا عن بناء الرواية؟ كيف خرج هذا العمل إلى الوجود؟**

■ عندما أشرع في كتابة رواية ما، فإنني أكتب دون أن أعرف القصة، إذ لا أعرف كيف ستتطور وما هو الشكل الذي ستتخذه. وهذا لا يحدث فقط في البداية، مع الفصول الأولى، ولكن أيضا بعد ذلك، ولا حتى في منتصف الرواية، لا أملك بالضرورة فكرة دقيقة عن تطورها النهائي. وفي بعض الأحيان تمتد هذه الآلية إلى ما هو أبعد من نصف العمل. في حالة «بيرتا إيسلا»، على سبيل المثال، صممتُ جزءًا من العمل قبل شهر من وصولي إلى تلك النقطة في القصة، إلى ذلك المشهد الخاص. بقيتِ الفكرة هناك، واستقرت في ذهني لمدة شهر كامل. لقد وجدّتُ كل شيء مُملاً للغاية، لذلك قررت أخيرًا تغييره، وفكِرتُ في الأمر لمدة ثلاثة أيام، ثم قمت بتركيب المشهد، والذي لم يكن له في ذلك الوقت أي علاقة بالنسخة الأصلية.

حدث لي ذلك في أوقات أخرى أيضا، مع روايات أخرى. هنا، ينطبق الأمر نفسه على الناس: استحالة معرفتهم على نحو كامل، ووجود جزء منهم قُدِّر له أن يظل غامضًا وبعيد المنال، وبالتالي يظل مجهولا؛ لأننا لا نستطيع أبدًا تجاهل رؤيتنا الجزئية والمجزأة؛ إنها تنقذنا من الملل. وفي النهاية، فإن استحالة المعرفة الكاملة بالواقع وبالآخر تتيح لنا الفرصة لاكتشاف جوانب جديدة وحتى غير متوقعة، وهي من الإدهاش بحيث إننا لم نكن لنتخيلها أبدًا. هذا ما يحدث في «بيرتا إيسلا».

---

* كاتب ومترجم- تونس

(١) ديفيد كوبرفيلد: رواية للكاتب الإنجليزي تشارلز ديكنز صدرت عام ١٨٥٠م. المترجم.

مصدر الترجمة: https://www.lindiceonline.com/incontri/interviste/javier-marias-berta-isla/.

فضائلُ معرفية مُهَاجِرة عبر فن التراسل

■ المهدي مستقيم*



ينظر «روجِه بويفِه» Roger pouivet إلى الفضيلة الأخلاقيّة بوصفها موقفًا يتمّ تشييده على أساس قدرة طبيعيّة، قد تجعل الشخص متفوّقًا من الناحية الفكريّة؛ بيد أنّها تحفّزه على البحث عن الحقيقة، إذ تصبح المسؤوليّة المعرفية La responsabilité épistémique شأنًا تربويًا، وليست إعادة نظر جذريّة في الاعتقادات وبحثًا عن أساس مطلق[1].

إنّ الفضائل الفكريّة أو الإبّيستِمولوجيّة هي إذًا قدرات إنسانيّة وسمات تخصّ الطبع، وتضمن على قدر الإمكان -أي بشكل يقبل الوقوع في الخطأ- القيمة المعرفية لاعتقاداتنا، ومن بين أهمّها نجد[2]:

١- الحياد الفكريّ: الانفتاح على جميع الأفكار وإبداء الرغبة في الإنصات لها من أجل فهمها، واحترام الاختلافات الفكريّة التي تنجرّ عنها. ويقابلها التحيّز الفكريّ/الوحدة الفكريّة.

٢- الرصانة الفكريّة: تَوخّي الحذر تجاه الأفكار الشديدة الحماسة، واحترام السلطة الفكريّة لذوي الكفاءة العلميّة.

٣- الشجاعة العلميّة: فحص الأفكار المتداولة الشائعة وإخضاعها لمحكّ النقد والعقل. ويقابلها الكسل الفكريّ والشلل الفكريّ.

٤- الانسجام الفكريّ: القدرة على إيجاد الوسيلة المناسبة للبحث من أجل الوصول إلى الحقيقة، ويقابلها التشتّت الفكريّ.

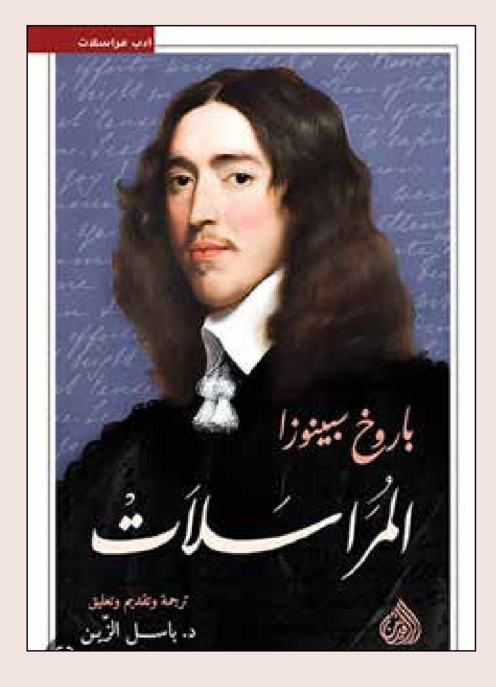
وتكشف مراسلات «سبينوزا» -الصادرة ترجمتها حديثًا عن دار الرافدين (٢٠٢٢م) بتوقيع الباحث والمترجم الأنيق باسل الزين- عن حرصه الشديد على التشبث بالفضائل تلك. الأمر الذي يبدو واضحا أشد الوضوح من خلال تمسكه بأوليّات المنهج العقلاني المطبوع بعلم الرياضيات، بما هو المصدر الذي تنهل منه شتى المعارف الحسيَّة المجردة، وبما هو المدخل الرحب المؤدي صوب خلاص الإنسان وسعادته. يقول هنري أولدنبرغ Henri Oldenburg واصفًا حال «سبينوزا» في رسالة خطها له بتاريخ ١٦ -٢٦ آب، ١٦٦١م: «إنَّ علم الأمور الجديَّة، الذي يجتمع مع اللطف والتهذيب (كل تلك الخصال الحميدة التي منحك إياها الفن والطبيعة)، ينطوي في ذاته على عناصر جذب كثيرة تجعله محبوبًا من كل إنسان نزيه تلقّى تعليمًا حرا»[٣].

ومن ثم تأتي الحاجة إلى نقل المراسلات هذه إلى اللِّسان العربي، لا سيما وأنها تمكّن من:

١- الوقوف عند بعض مناحي اللَّبس والالتباس في الجهاز المفاهيمي المُركَّب الذي يَنْظُمُ تأليف «سبينوزا»، قصد توضيحه ورفع ما يعتوره من غموض، وذلك بالنظر إلى قيمة الأسئلة والتوضيحات والمناقشات والانتقادات التي تلقّاها «سبينوزا» من مجايليه، سواء كانوا فلاسفة أو مفكرين أو علماء، إذ تبينوا كما يقول الباحث والمترجم «باسل الزين»: «مواضع الالتباس في فلسفته، ووقفوا على بعض متناقضاتها، بالحجة، والبرهان إلى حد يمكن القول معه إنَّ المراسلات هذه تشمل إضاءات لا غنى عنها لـ (سبينوزا) أولا، ولقارئه ثانيًا، ذلك بأنَّ النقد البَنّاء يتيح للفيلسوف فرصة إعادة صياغة ما التبس وتوضيح ما احتجب من فلسفته»[٤].

٢- ترسيخ الفضائل المعرفية التي تحلَّى بها «سبينوزا» في عصره: الفهم، والتقصي، والرصانة الفكرية، والتدبر المنطقي، والهدوء الفلسفي...إلخ، ومن ثم، نبذ الرذائل المعرفية المتمثلة في: الجهل، والتعصب، وضيق الأفق...إلخ

٣- الاطلاع على موسوعية فكر «سبينوزا» (الفلسفة، اللاهوت، الفيزياء، الرياضيات، الفلك...إلخ) من جهة أولى، وعلى سعة ورحابة صدره من جهة ثانية، إذ تنطوي مراسلاته على أبعاد إنسانية نادرة قوامها: العلاقات الوجدانية، والصداقات الرصينة.



في رسالته إلى السيد «وليم فان بلينبيرغ» Willem Van Bluenbergh بتاريخ ٥ كانون الثاني ١٦٦٥م، يقول «سبينوزا»:

«في الواقع من بين الأشياء التي لا تقع في مجال قدرتي، هو شرف تكوين علاقات صداقة مع الأشخاص الذين يطلبون الحقيقة بمحبة وصدق، مع كل ما تحظى به هذه العلاقات من أهمية. إذ أعتقد أنه لا يوجد في العالم بأسره شيء ما يمكن أن نحبه بثقة، من بين الأشياء التي تتجاوز قدرتنا، سوى هؤلاء الأشخاص. في الواقع، من المحال أن يختفي الحب الذي يُكنّونه لبعضهم بعضًا، ذلك بأنه يتأسس على الحب الذي يحمله كل واحد منهم للحقيقة، مع العلم أنهم لا يعتنقون هذه الحقيقة نفسها متى أمكن لهم تبنيها. وأكثر، يتعلق الأمر بالحب الأكثر سموًا والأكثر ملاءمةً الذي يمكن أن نجده في الأشياء التي تتجاوز قدرتنا؛ إذ ما من شيء آخر، بما في ذلك الحقيقة، قادر على توحيد الآراء والمشاعر المتباينة. وعليه، لن أقول شيئًا عن الفوائد الجمة التي تنجم عنها، كي لا أشغلك كثيرًا بأمور تعرفها جيدًا من دون شك؛ ومع ذلك، إذا ما عرضت لها حتى الآن، فذلك كي أظهر لك بوضوح كم يروقني، وسيروقني في المستقبل، أن أحظى بفرصة أن أضع نفسي في خدمتك»[٥].

فيم يفيد استقبال مراسلات «سبينوزا» عربيًا؟

من نافلة القول، إنَّ فن المراسلات يُسهم إسهامًا حميدا في تيسير سُبُل صوغ دليلٍ خاص بفلسفة كل فيلسوف، إذ يُسلّط الضوء على جهازه المفاهيمي، ويكشف عن اللّبس الذي يُعَتّور بعض مناحيه المستعصية على الفهم؛ ومن أجل ذلك، كتب الباحث والمترجم «باسل الزين» قائلا: «تتدرج مراسلات (سبينوزا) في هذا السياق، إذ إنها توفر للقارئ العربي دليلا خطه (سبينوزا) نفسه، ومجايلوه الأكثر تفقها وتعلما. في هذا السياق، من البديهي القول إن فلسفة (سبينوزا) عصيّة في بعض مواضيعها على الفهم من جراء تعمد الفيلسوف حجب بعض أفكاره، أو تمويهها بالنظر إلى البيئة المتشددة التي كان يحيى فيها... وخوفا من مزيد من الاضطهاد. بهذا المعنى، تأتي هذه المُراسلات، التي تعهّد أصحابها بالمحافظة على سريتها، لتوضّح ما احتجب وتكشف ما استتر»[٦].

ليس تَزَيُّدا في القول، إن التقابس والتحاور مع الآخر هو الشكل الفلسفي الممتاز[٧]، على أن الأفكار أكثر ما تكون فلسفية عندما يستطيع مَن يفكر فيها من الداخل أن يبحث عن وجهها الخارجي. وليس هناك ما يساعد على هذا القلب أكثر من الحوار والتقابس. فالحوار كما يقول المفكر «جابر عصفور» «-دائما-لغة الأكفاء، الواثقين بأنفسهم، الرّاغبين في تطوير أنفسهم، الطامحين إلى توسيع آفاق معرفتهم، المؤمنين أنهم لا يمتلكون المعرفة المطلقة أو اليقينية، بل المعرفة النسبية التي تغتني -دائمًا- بالتّفاعل. وثقة المحاور بنفسه لا تعني أنه المالك الوحيد للحقيقة، أو صاحب العلم اللّدني الذي لا يدانيه أحد، أو العارف الأوحد الذي لا بد أن يتعلم منه الآخرون الذين لا بد أن يكونوا أدنى منه، كأنَّه الصورة المقلوبة للملتحي الذي يقذف من حوله بصفات الكفر أو الإيمان. إن ثقة المحاور بنفسه تعني ثقته بغيره، كما تعني أنه لا يمتلك القدرة -وحده- على صنع المعرفة، فالمعرفة نتاج مشترك يتجاوز الفرد، والفرد لا يتعرف شيئًا

إلا في فعل جدلي، تتجاوز فيه الأنا نفسها إلى غيرها، حيث يقع الآخر الذي يسهم في صنع معرفة الأنا. هذا الفعل الجدلي يبدأ بحوار الفرد مع نفسه، ويمتد إلى حواره مع غيره»[٨].

يحدّ الحوار بما هو فعل مستمر في الزمن -أو بما هو فعل لا يعرف انقطاعات وتوقفات- من سطوة النهايات المغلقة، وعنف الإجابات الجاهزة، وسقم المسلمات المطلقة، إنه فعل حيوي لا يكف عن تحويل الأجوبة إلى أسئلة جديدة، تتصدى لمناورات آباء الكهنوت الذين يسعون إلى تأبيد قدسيَّتهم الساحقة، بتكريس ثقافة الخنوع والعبودية، والإذعان والتصديق، والسكون والتقليد، فنحن نتحاور لكي نغذي شكوكنا لا لكي نزيد من وطأة يقينياتنا[٩]، فمن البديهي أنه «لا حوار دون حرية، أعني الحرية التي يتجاوب فيها الفرد مع المجتمع، وتحكم العلاقة بين المبدع والمتلقي، وأشكال الخطاب بين المفَكِّر والمفكَّر، الحرية التي تنتقل من خارج الفرد إلى داخله، والتي تختفي معها كل القيود السِّياسية والاجتماعيَّة والفكريَّة والإبداعيَّة. إنَّ منطق الحوار يبدأ من المنطقة التي لا تنطوي على تسليمٍ بشيء سوى حق العقل في أن يختار لنفسه فعل معرفته، وأن يصوغ مدى هذا الفعل بملء إرادته، وأن يؤسِّس معرفته -أن يصنعها وينتجها- بنفسه وبقدرته التي هي علامة خلقِه وشعارَ إبداعِه، فلا معرفة خارج صنع الإنسان واختيارِه. واختيار المعرفة يعني اختيارَ غايتِها وقيمتِها التي لا تفارق الوعي المتجدِّد بضرورة الانتقال بالإنسان من مستوى الضَّرورة، حيث لا حوار، إلى مستوى الحرية، حيث الحوار ولوازمه الإبداعية... وبقدر غياب الحرية في المجتمع يغيب الحوار، وتسود لغة الصوت الواحد التي هي المقدمة الطبيعية للغة الإرهاب. وإذا كان الارهاب إلغاءً لوجود الآخر، ونفيًا لحضور العقل، أو فعل اختيار المعرفة، فإنه يبدأ من حيث ينقطع الحوار، ومن حيث تشيع مخدرات التسليم والتصديق، ومسكّنات الإذعان والاستسلام، ومبرِّرات بطريركية الفكر أو مطريكية الثقافة. إن الإرهاب يتولد من رفض لغة الحوار وشروطه؛ أي من تسلطية الصوت الواحد، من الإيمان بأن ما تقوله وحدك هو الحق، وأنَّ الحق ملك خاص لك، ومن التسليم بأن فردًا ما، فكرًا ما، زعيمًا ما، يمتلك ما يجعل منه الأعلى، ويهبط بالآخرين إلى الدرك الأدنى، كأننا إزاء مجلى النبي الملهم، أو الصورة البشرية للحقيقة الكلية»[١٠].

---

* أستاذ/باحث - المغرب.

(١) Roger Pouivet, Qu'est-ce que croire ?, Paris, Vrin, «Librairie philosophique», 2006, 2e éd., p. 33

(٢) Ibid., p. 34.

(٣) باروخ سبينوزا، المُراسلات، ترجمة باسل الزين، دار الرافدين، بيروت-٢٠٢٢م، ص٢٩.

(٤) المرجع نفسه، ص٢٦.

(٥) المرجع نفسه، ص١٣٠-١٣١.

(٦) المرجع نفسه، ص ٢٨.

(٧) Souriau. E: L'Avenir de la philosophie , Gallimard, (Coll. «Idées», 469) Paris 1982. P. 57.

(٨) جابر عصفور، هوامش على دفتر التنوير، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، بيروت-لبنان ١٩٩٤م، ص ٢٦٥

(٩) Ali Benmakhlouf, La conversation comme manière de vivre, Albin Michel, paris 2016, p. 10.

(١٠)جابر عصفور، هوامش على دفتر التنوير، ص: ٢٦٦-٢٦٧.

الإثنينية المقصودية

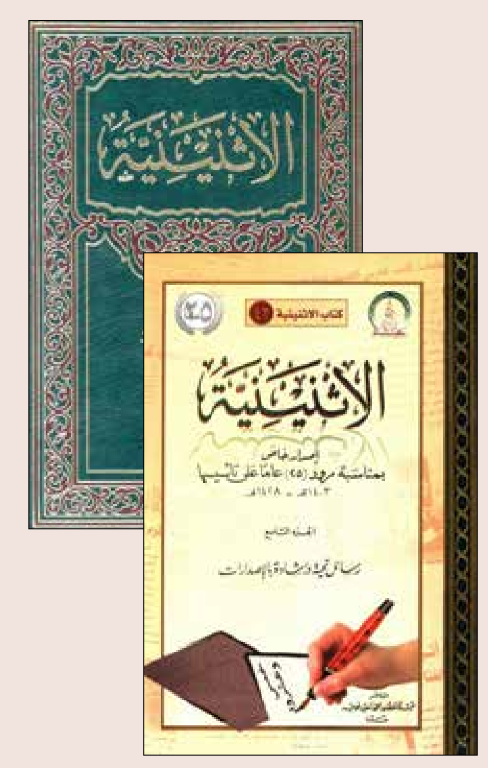
■ محمد علي حسن الجفري*

لدى وصول طه حسين، عميد الأدب العربي، إلى جدة عام ١٩٥٥م، رافقته ضجة إعلامية جماهيرية كبرى لم يحظ بها السلطان علي بن منصور الكثيري سلطان، حضرموت الداخل الذي جاء بالطائرة في العام ذاته، ولا العاهل الليبي إدريس السنوسي الذي جاء للحج عام ١٩٦٢م. ووفد إلى مكة -سواء بالبر أو البحر أو الجو- العديد من زعماء المسلمين، دون ضجة. فهل الكاتب الشهير أعظم في نفوس النخبة الثقافية والاجتماعية من سلطان وملك وزعيم؟!

لقد أقيم مهرجان لطه حسين لدى وصوله المملكة العربية السعودية، وحضره الأعيان وطليعة رجال الثقافة والأدب. ومع أن فندق الكندرة بجدة الذي احتضن المهرجان كان فيه صالة واسعة تكفي لألف شخص، إلا أن منظمي الحفل خافوا أن يزدحم المكان بالناس الذين توافدوا من جدة ومكة، وحتى المدينة والطائف، فلم يسمحوا لأحد بالدخول إلى مكان الحفل إلا بتدقيق شديد!

وكان لي صديق هو الآن في التسعين من عمره- شفاه الله- استطاع أن يحضر الحفل رغم أنه كان في العشرينيات من العمر، فسألته كيف يا أبا هشام تمكنت من ذلك رغم المعوقات؟ فقال: وصلت أنا وصاحبي فلان إلى بوابة الفندق مقر الحفل، فمنعنا الأستاذ عبدالله المنيعي المعين من المملكة لمرافقة طه حسين من الدخول. ولكن كنا نعرف بابًا خلفيًا يؤدي إلى البهو الكبير ثم الصالة الطويلة المخصصة للحفل، ومن ذلك





الباب الخلفي تمكنا من الدخول، ولم ينتبه لنا المنظمون، أو أنهم تغاضوا عنا.

شهد المهرجان والضجة الكبرى حوله شاب لم يتجاوز عمره الثلاثين عامًا اسمه عبدالمقصود محمد سعيد خوجة، ولما قص عليه صديقه أبو هشام حيلته في دخول المؤتمر ضحك عبدالمقصود؛ لكنه في قرارة نفسه قرر منذ ذلك الحين أن يسدي للأدب وللأدباء خدمة لم يفعلها أحد قبله.

كان والده محمد سعيد كاتبًا وأديبًا يشار إليه بالبنان، وقد اخترمته المنية عام ١٩٤٢م وهو في سن السادسة والثلاثين. وشارك في كتاب «وحي الصحراء» الذي سجل فيه سيرة الأدباء السعوديين وإنتاجهم بمشاركة الشاعر الكبير عبدالله عمر بلخير. وكان له منتدى سنوي أثناء موسم الحج لنخبة من مفكري العالم الإسلامي الذين يفدون للحج. فلا جرم أن يكون عبدالمقصود قد رضع الأدب صبيًا وشابًا وكهلا.

وفي عام ١٣٩٤ هـ أي بعد نحو ٢٠ سنة من المهرجان الأدبي لطه حسين، أقامت وزارة الإعلام المؤتمر الأول للأدباء السعوديين. وقد شارك فيه العشرات من الأدباء بقصائد وبحوث، ومنهم الصديق الشاعر أحمد قنديل الذي شارك بقصيدة همزية مكونة من مئات الأبيات في سيرة الرسول، صلى الله عليه وسلم.

وكان عبدالمقصود يتابع هذه الأنشطة، ويقول لنفسه إلى متى وأنت تؤجل مشروعك الأدبي. وما أن جاء عام ١٤٠٣هـ حتى فتح داره بحي الخالدية بجدة لهواة الأدب وللضيوف، كل يوم إثنين دون قيود، بل يكرمهم في نهاية كل ندوة بمأدبة عشاء عامرة، حتى أصبحت ندوة الإثنينية من معالم جدة للمهتمين بالثقافة والأدب والفكر والتاريخ والفلسفة.

عمل عبدالمقصود في شبابه في بعض الدوائر الحكومية، ثم تفرغ للتجارة، وأنعم اللّه عليه بواسع رزقه، فنشط لتحقيق أمنية صباه وشبابه في استضافة أعلام الأدب والشعر والفكر والفقه والحديث والتاريخ

والطب والموسيقى.

لكن، والحق يقال، إن فكرة الصالون الأدبي ليست جديدة في الحجاز. فهي عادة مكية قديمة في مكة المكرمة والمدينة المنورة؛ فالسيد هاشم يوسف زواوي له صالون، من رواده الشاعر محمود عارف، والأديب عبدالفتاح أبو مدين، وهناك الثلوثية للأستاذ محمد سعيد طيب، والخميسية للأستاذ محمد عمر عامودي ويحضرها صحفيون أمثال محمد صلاح الدين، وأحمد محمد محمود، ورجال أعمال أمثال المهندس حسن أبو داود، ومحمود بترجي وغيرهم، وللأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع صالونه، ومن رواده الأستاذ عبدالله عمر خياط، والأستاذ فاروق زكي، والأستاذ عبدالرزاق حمزة وغيرهم.

على أن الشيخ عبدالمقصود لم يكتف بفتح الإثنينية للخطابة والنقاش فحسب، بل كان يوثق ذلك تسجيلا بالصوت والصورة، ثم يقوم جهاز في مكتبه بتفريغ النقاشات مكتوبة، وبعد ذلك يطبع هذه الندوات، مما أسدى للثقافة والأدب كنزًا رائعًا لا يقدر بثمن. إلا إن عبدالمقصود ظل يشعر بحسرة أن الشاعر الجداوي الكبير أحمد قنديل توفي عام ١٣٩٩هـ، فلم يلحق تكريمه في الإثنينية. لكنه عوض هذا الشعور بأن طبع كافة آثار الشاعر، بما فيها «القناديل»، وهي الرباعيات الحلمنتيشية الظريفة التي كان ينشرها يوميًا في جريدة عكاظ.. أما الشاعر حمزة شحاته.. فكان قد سبق إلى الدار الآخرة ببضع عشرة سنة من بداية الديوانية المقصودية.

وتحت راية التكريم للأدباء الرواد،





عبدالمقصود خوجة رحمه الله مرحبا بضيوفه

استضافت الإثنينية المقصودية كبار رجال المجتمع، وعلى رأسهم أصدقاء المرحوم والده. ويحتوي المجلد الأول على سجل النقاشات لكل من عبدالقدوس الأنصاري، طاهر زمخشري، عبد المجيد شبكشي، عبدالله عمر بلخير، محمد حسين زيدان، حسين عرب، عزيز ضياء، حسين باشا سراج، أحمد عبيد، محمود عارف، أحمد العربي، عبد العزيز الرفاعي، عمر أبوريشة، طارق عبدالحكيم.

عبدالمقصود خوجة يكرم الشاعر الكبير عمر أبو ريشة

وهناك من اعتذر عن ترشيحه للتكريم، ومنهم السيد محسن بن أحمد باروم، مدير عام التعليم في المملكة قبل خمسين سنة.

وفي ليلة تكريم الشاعر السوري الكبير، عمر أبو ريشة، لم يخفِ أبو ريشة عتبه على صاحب الإثنينية، لأنه لم يبلغ بالدعوة إلا قبل بضع دقائق من الحفل. وكان اعتذار الشيخ عبدالمقصود خوجة أنه أرادها مفاجأة لرواد الديوان وللمحتفى به. والحقيقة أن الترتيب في تلك الليلة كان للاحتفاء بمحمد علي مغربي المؤرخ الكبير، ولكن لم يحضر لسبب غير معروف، فاضطر صاحب الديوان أن يبحث عن بديل!

وأذكر أن الأستاذ أبو ريشة حكى في الإثنينية قصة قصيدته التي بناها على حوار مع آنسة إسبانية في الطائرة جلست بجواره وقالت له إن أجدادها من الأندلس، ثم سألته متفاخرة هل عندك أجداد مثل أجدادها؟

قال:

فأجابت: أنا من أندلس
جنة الدنيا سهولا وجبالا

وجدودي ألمح الدهر على
ذكرهم يطوي جناحيه جلالا

هؤلاء الصيد قومي فانتسب
إن تجد أكرم من قومي رجالا

أطـرق الـطـرف وغـامـت أعيـني
بـــرؤاهـــا وتــجـاهــلــتُ الــســؤالا

وقد ساعدتني الظروف لحضور تكريم الشاعر العراقي الكبير، محمد مهدي الجواهري؛ فقبل أن يتوفاه الله بأربعة أعوام، استضافه الشيخ عبدالمقصود خوجة. رأيته بكوفيته المخططة وقد أكله الزمان، إذ كان وقتذاك في السادسة والتسعين من عمره، لكنه كان يحتفظ بحيويته وبسمعه وبصره، وكان في صوته صحل، وقد أتقن فن الإلقاء، فكأنه يتكلم بيديه وهو يلقي لنا قصيدته المعبرة والمؤثرة عن بائعة السمك التي ارتاد محلها في تشيكوسلوفاكيا. ثم ألقى قصيدته الرائعة الخفيفة:

ســـلام عـلـى هـضـبـات الـعـراق
وشـطـيـه والـجـرف والـمـنـحـنـى

وقد جئت ذات مرة إلى الإثنينية والمكان مزدحم بالسيارات، وإذ كنت أصحب أهلي، فقد تقدمت إلى بوابة القصر لكي ينزلن، ثم أبحث عن موقف، وما أن نـزل الأهل حتى خرج أحدهم وركب سيارته مغادرًا، فكأن صاحب الإثنينية يرحب بنا وهو لا يعرفنا. وكنت أتعجب من الزحام كيف ترك بعض الناس كورنيش جدة الفاخر ليأتوا إلـى ضيافة الإثنينية. ولقد كـان للنساء حضورهن منفصلات عن الرجال، وعند فتح باب المداخلات كان يعطى لهن نصيبا من الأسئلة وجوابها.

لقد كان يحضر الاثنينية أعيان المجتمع وكبـار الشخصيات. وأذكـر منهم فضيلة الشـيـخ محمد عـلـي الصـابـونـي، مفسر القرآن الكريم، رحمه الله، وأخاه الشاعر محمد ضياء الصابوني (شاعر طيبة). ومن الطرائف أن الشيخ الصابوني قام للحديث في تكريم الشيخ إسماعيل أبو داود دون أن يكون ضمن القائمة المعدة للمداخلات. فلما نبهوه إلى ذلك قال ما معناه: لا أستطيع الوقوف في طابور المتحدثين، فأنا قبلهم لأني من أقارب الشيخ أبو داود؛ فاستغرب منظمو الحفل وران الصمت على الجمهور، إذ ظنوا وجود قرابة مصاهرة بين الشيخ الصابوني والشيخ أبـو داود. لكن الشيخ الصابوني قال: أنا محمد علي الصابوني والشيخ أبو داود صاحب مصنع الصابون فـي جـدة، ألا تـرون الـقـرابـة بيننا؟ عبر الحاضرون عن موافقتهم التامة، فمنهم من ابتسم، ومنهم من ترك العنان للقهقهة.

ولقد استضاف الشيخ عبدالمقصود خوجة ذات ليلة الأسـتـاذ اللغوي الكبير أبا تراب الظاهري. وهو مَن هو في اللغة والأدب والحافظة العجيبة لكلام العرب، كما أنه شاعر.. ولكنه كثيرًا ما يستعمل ألفاظًا موغلة في القدم وغريبة على أهل عصرنا الحاضر؛ وفي نهاية كلامه ما كان من الدكتور محمد عبده يماني إلا أن علق

بقوله: من أراد ترجمة كلام الشيخ أبو تراب فلينتظر إلى نهاية الإثنينية؛ فضحك الناس.

وقد حضرت احتفالية الإثنينية لتكريم الأستاذ عبدالله خياط، رئيس تحرير عكاظ الأسبق، قبل سبع سنوات أو يزيد، وكانت هناك أسئلة موضوعة مسبقًا. فقال الأستاذ الخياط معلقًا، كانت الأسئلة المطبوخة أصعب من الأسئلة العفوية. الجميل أن الحضور لم ينشغلوا بجوالاتهم بل كانوا آذانا صاغية.

لقد كرّم الشيخ عبدالمقصود البارزين في شتى المجالات الثقافية والفكرية والفقهية والطبية والتاريخية. وجمع كل ذلك في مجلدات ربما وصلت إلى خمسين مجلدًا. ومنهم وزراء سعوديون مثل الأستاذ محمد أبا الخيل، وزير المالية والاقتصاد الوطني، والأستاذ هشام ناظر، وزير البترول والثروة المعدنية. كما كرم الدكتورة سميرة إسلام، والدكتور محمد علي البار، والدكتور محمد عمارة، والشيخ محمد عوامة، والشيخ ملا خاطر، والدكتور محمد سعيد العوّا. وكرم الدكتور عبدالله الربيعة، وزير الصحة الأسبق، الطبيب الذي أشرف على عمليات الفصل بين التوائم الملتصقة من سعوديين وغيرهم من الجنسيات العربية والإسلامية وغيرها. وليعذرني السادة ممن لم يتسع المجال لذكر أسمائهم من الـ ٥٠٠ الذين احتفت بهم إثنينية الشيخ عبدالمقصود محمد سعيد خوجة، والذين أثروا في حياتنا العلمية والأدبية والفكرية خلال القرنين العشرين والحادي والعشرين.

لقد حفظ الشيخ عبدالمقصود للمكتبة العربية خلاصة تراث عصرنا، وأسدى بذلك جميلا لا تنساه الذاكرة الثقافية العربية، كما نشر الشيخ نحو ثمانين مجلدًا (ليست للبيع) للبارزين في الأدب السعودي وعلى رأسهم الشاعر أحمد قنديل، حمزة شحاتة ود. عاصم حمدان وغيرهم رحمهم الله.

ختاما، لقد حضرت في ٢٧ محرم ١٤٤٤هـ الموافق ٢٥ أغسطس ٢٠٢٢م ندوة الخميسية في منزل الأستاذ محمد عمر العامودي بجدة، وهناك قابلت الصحفي المعروف، الشريف خالد الحسيني، الذي أتى من مكة المكرمة. وقد أعرب عن حزنه الشديد لوفاة الشيخ عبدالمقصود خوجة. وقال إن الفقيد لم يكن يترك واجبًا.

توفي الشيخ عبدالمقصود في ٢٠٢٢/٨/٢٠م في أحد المستشفيات بأمريكا، وجيء بجثمانه إلى مكة المكرمة، وصلى عليه المسلمون في المسجد الحرام. إنا لله وإنا إليه راجعون.

* مترجم، نائب رئيس مركز معلومات مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر بجدة سابقا.

فاكهةٌ للغربان

■ صلاح القرشي*

بعد روايته المهمة (ستيمربوينت) التي تناول فيها جوانب من سيرة مدينة عدن، خلال الوجود الإنجليزي، يعود أحمد زين في روايته الأخيرة (فاكهة للغربان) إلى عدن؛ لكن هذه المرة بعد خروج المستعمر، وانتصار الثورة، وحصول المدينة على استقلالها؛ لكنها تقع هذه المرة تحت تأثير صراع الثوار أنفسهم واختلافهم واحترابهم!

يغادر الإنجليز تلك الفلل الجميلة، لتتحول إلى مقرات لجبهات متعددة ومتصارعة، يجتمع فيها الرفاق، وتتحول المدينة الجميلة إلى مأوى للحالمين بالحرية والعدالة والمساواة. تتحول المدينة المحررة حديثًا إلى قبلة للشيوعيين العرب من كل مكان!

(بعد رحيل آخر جندي بريطاني، لم نكن نمشي فوق الأرض، نبتت لنا أجنحة، وطِرْنا، ابتعدْنا عن الأرض، وصِرْنا نُحلِّق عاليا. حلمْنا بثورة مستمرَّة لتحرير الجوار كله؛ فجأة، وكأنَّ أجنحتنا كانت من شمع، إذا بها تذوب في حرارة عدن وجوِّها الجحيمي، فتساقطْنا مرتطمين بالأرض التي لم نَخَلْها صلبةً فقط، بل كانت أكثر صلابة حتَّى من صخور ردفان).

تحولت الأحلام إلى كوابيس

(إنّ الأعوام التي تلت الانتصار على الإنجليز، كانت تشبه كابوسًا رهيبًا بلا



نهاية، كانت البلاد تصحو وتغفو على وقع الأناشيد الثورية، جميعهم يتعجل تحقيق الوعود بالعبور إلى حياة الرفاه والحرية، ثم ما لبثت أن هيمنت الجبهة القومية، وتفشت الوشاية، وانتشر كُتّاب التقارير).

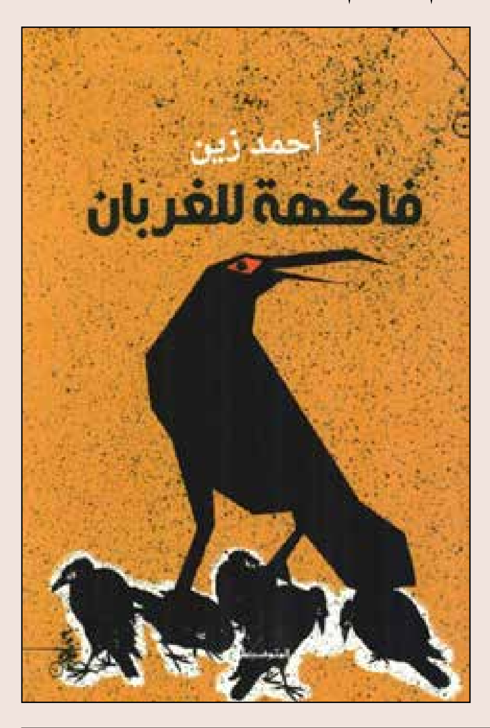
اختار أحمد زين أن يروي الأحداث الصاخبة في تلك الفترة بهدوءٍ شديد، وبلا مباشرة من خلال صوت امرأة مكلومة وجريحة؛ كأنما هو ينظر إلى ما حدث من خلال زجاج عازل، وهذا الأمر من وجهة نظري كان موفّقا؛ لأنه منح القارئ مساحة للتأمل والبحث بين السطور وخارج السطور، ليملأ فراغات اختار السارد تركها للقارئ وفطنته.

لا أريد هنا حرق أحداث الرواية، أو محاولة اختصارها، ويكفي أن أقتبس ما قاله الرجل العجوز الذي خسر وجاهته ومكانته بعد الثورة، وهو يخاطب الشاب الذي يواجه صراعًا بين إيمانه بالحركة، وخوفه وارتيابه منها.

(في زمن الإنجليز، كان الفقير يجهل أنه فقير، وبعد الاستقلال، لم يُدرك الفقير مرارة أنه فقير فحسب، زاد على ذلك أن راح يتباهى بفقره، إنجازكم الوحيد في رأيي، أنه أضفى على الفقر معنىً جذّابا. فأصبح الفقر منتهى أماني الفقير، وكأنما هو يملك خيارا آخر)!

أحمد زين في «فاكهة للغربان» ومن خلال شخصيات عربية أخرى هربت إلى عدن من نيران أخرى مشتعلة في فلسطين ولبنان والعراق، يصل بنا إلى أن انكسار أحلام الرفاق الطوباوية في هذه المدينة الجميلة، بل وتحوّل هذه الأحلام إلى واقع رهيب طوّق المدينة بالدمار والفقر، إنما هو امتداد لانكسارات أخرى تحولت جميعها إلى فاكهة عطنه تأكلها الغربان.

رواية فاكهة الغربان، من إصدارات دار المتوسط، وسبق أن ترشحت للقائمة الطويلة لجائزة البوكر العربية في دورتها لعام ٢٠٢١م.



* كاتب سعودي.

أحمد بن صالح الصانع
١٢٧٩-١٣٥٧هـ / ١٨٦٢- ١٩٣٢م

■ محمد بن عبدالرزاق القشعمي*

سمعت بالشيخ أحمد بن صالح بن إبراهيم الصانع، رحمه الله، في وقت مبكر، بصفته رائد التعليم شبه النظامي بالمجمعة، وأكد لي ذلك أحد طلبته الشيخ عثمان بن صالح الناصر الصالح - مدير معهد الأنجال الأسبق - وقد وصف دور أستاذه الصانع بدور أخيه صالح الناصر الصالح بعنيزة، عندما افتتح أول مدرسة شبه نظامية فيها عام ١٣٤٨هـ، وكذلك الأستاذ سليمان بن حمد السكيت الذي افتتح مدرسة (سبيل الرشاد) بحائل في حدود عام ١٣٦٣ه، بعد انتقاله من أول مدرسة أسست بالخرج عام ١٣٦١هـ، مشاركا مديرها الأستاذ عبدالكريم الجهيمان، رحمه الله.

أعود للصانع الذي تُرجِم له في (موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية في مائة عام) المجلد الرابع، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٣م، إصدار وزارة المعارف. «.. تلقى تعليمه في مدرسة دويحس الشماس الدينية بالزبير عام ١٢٨٥هـ، فحفظ القرآن، وألمَّ بالعلوم الشرعية والعربية، وبقي مدة في الزبير، ثم عاد إلى المجمعة في أوائل العقد الرابع من القرن الرابع عشر الهجري.

عمل الصانع بالتعليم، فافتتح مدرسة بالمجمعة عام ١٣٣٦هـ، والتحق بها أعداد كبيرة من أبناء البلدة وما جاورها، وحققت المدرسة نجاحا كبيرا، واستمرت هذه المدرسة إلى جانب المدرسة النظامية مدة من الزمن، حتى انتشر التعليم النظامي بشكل كبير فتوقفت.» ص٨٨.

هذا، وقد زودني الدكتور حمد الناصر الدخيِّل بصورة من كتاب (بحث ودراسة.. المعلم الشيخ أحمد بن صالح الصانع)



أحد رواد المدارس الأولية، لفهد بن عبدالله المزعل، بتقديمٍ من أحد طلاب تلك المدرسة، وهو الشيخ عثمان الصالح، ط١، ١٤١٥هـ. وقد وجدت لدى الدكتور الدخيِّل تقديرا واحتراما للشيخ الصانع؛ ليس لكونه معلما لوالده، بل لكونه معلما لجيل كامل قبل افتتاح المدرسة الحكومية النظامية بأكثر من عشرين سنة.

وجدت الشيخ عثمان الصالح في تقديمه للكتيب – (٧٥ صفحة) – يقول: «... كان أحمد الصانع شخصية ذات رأي وتربية.. وكان قاسيا كل القسوة على مَن حادَ عن الصواب، لا تأخذه في الله لومة لائم.. وكان على قسوته محبوبا معتمدا عليه في تربيته وتوجيهه الذي يشغل طوال اليوم صباحا ومساءً.. وكان مهيبا هيبة لا يخترقها عابث، وكان كريما على الرغم من قلة المادة، فكان إذا نجح الطالب في إمرار القرآن، يصنع له حفلة في بيته، يجمع لها خيار الناس وأعيانهم..».

وذكر أن الطالب ذا الخط الجميل، إذا لمس منه نباهة وسرعة فهم، وضع له حفلة خاصة، وسماه (خَتَم العقبة)، أي أن الطالب أصبح صالحا للعمل في شؤون الدين والدنيا.

وقال المؤلف المزعل إن المترجم له قد ولد في مدينة المجمعة سنة ١٢٧٩ للهجرة، ونشأ فيها أول حياته، ثم انتقل مع بعض أسرته إلى بلدة الزبير.. وبين أسرته وجماعته نشأ على الخصال الفاضلة والأفعال الحميدة، فشب على الطاعة والعبادة، وجدَّ في طلب العلم بمدرسة الدويحس الدينية، التي أسسها دويحس بن عبدالله الشماس عام ١١٨٥هـ، والتي قال عنها الشيخ عبدالله البسام في كتابه (علماء نجد): إنها قد خرَّجت عددا كبيرا من فقهاء وعلماء الزبير، وأغلبهم من الحنابلة.

وقال إن أحمد الصانع قد جدَّ واجتهد حتى تخرج منها حافظا متقنا للقرآن الكريم، ملما بالعلوم الشرعية التي تهتم بتدريسها تلك المدرسة. وقد استعرض أسماء أشهر مدرسيها.

وبعد قضائه مدة من الزمن في الزبير، مزاولا بعض الأعمال، ومنها التدريس في المدرسة، عاد في أوائل العقد الرابع من القرن الرابع عشر الهجري لبلده المجمعة؛ وبعد أن استقر بها، أدرك أن الحاجة تدعو إلى افتتاح مدرسة يتعلم فيها أبناء البلد مبادئ القراءة والكتابة، وقراءة القرآن وحفظه.

وقد وجد التأييد من أهل العلم والرأي، فافتتح المدرسة سنة ١٣٣٦هـ من حجرة واحدة، ولما كثر إقبال الطلاب، اتخذ للمدرسة مكانا أوسع في الجهة الجنوبية الغربية من الجامع القديم.

وكان دقيقا في اختيار الطلاب، فلا يختار إلا من يجده حريصا على حب العلم والرغبة في التعلم، فيعامل الطلاب بحرص أشد من حرص أوليائهم.

يروي أحد طلبته – عبدالعزيز بن حفير – أنه انقطع عن الدراسة للعمل عند أحد المزارعين مقابل ربع ريال في اليوم، وعندما قابله الشيخ الصانع قال له: أعطيك (رُبْعيّ ريال) أي نصف ريال ليغريه بالعودة للدراسة، لأنه توسم فيه النجابة والحرص وقوة الحفظ.

وقال إنه يدعو طلبته بـ(الإخوان) من باب التشجيع والإيناس، وغرس الثقة في نفوسهم، وكان يتابعهم خارج المدرسة، ويكلف بعض

الطلبة المتقدمين بمتابعة زملائهم وانتظامهم بالصلاة وحسن السلوك، فكان حريصا على أن يكون طلبته على خلق عالٍ وسمت حسن، وأن لا يصدر عنهم إلا كل فعلٍ حميد.

وأنه كان يُعلِم أولاده - عبدالرحمن وصالح ومحمد - السباحة، وإذا رأى بعض طلبته دعاهم ليعلمهم السباحة.

وكان نظام الدراسة على فترتين: الأول من طلوع الشمس إلى أذان الظهر، والثاني من بعد صلاة العصر إلى قبيل مغيب الشمس، عدا يوم الخميس، فالدراسة تقتصر على الوقت الصباحي، وبقية اليوم (للتحبير)؛ أي صناعة حبر الكتابة، والمكون من (السنو) و(الصمغ)، فكل مجموعة من الطلبة تجمع السنو من جوف الصاج (المقرصة)، من عدة بيوت، يضعونه في إناء يضاف له شيءٌ من الماء، ثم يقومون بطبخه، خلال ذلك يضيفون له نسبة من الصمغ حتى يصبح متماسكا، ثم يجعلونه على هيئة أقراص صغيرة يضعونها في الشمس حتى تجف، وتحفظ الأقراص حتى يحين موعد الكتابة، فيوضع قرصا في المحبرة ويضاف له قليلٌ من الماء، فيحرك حتى يصير سائلا أسود، ثم يغسل اللوح حتى تزول منه الكتابة السابقة، فيكتب به الدرس الجديد.

وقد قسم طلابه إلى ثلاث مستويات:

الأول: المبتدئون، ويطلق عليهم (الغُبيبة). وهم صغار السن.

الثاني: المجردة، وهم الذين قطعوا مرحلة من الدراسة.

الثالث: المغيبة وهم الذين شرعوا في حفظ القرآن عن ظهر قلب.

وكان يستعين بكبار الطلبة لتعليم صغارهم، ويهتم بتعليم الطلبة وتنشئهم، وذو منهج يتسم بالإخلاص والحكمة ورجاحة العقل.

وإضافة إلى عمله الدؤوب بالدراسة والتدريس، فقد تولى الخطابة والإمامة لصلاة الجمعة في الجامع القديم، بإنابة من الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري.

وبعد حياة حافلة بالعلم والعمل، توفي رحمه الله في الخامس عشر من شهر ربيع الأول من عام ١٣٥٧هـ.

ولا ننسى أن نذكر بعض طلبته ممن اشتهر بعد ذلك مثل المشايخ: إبراهيم السيف، وإبراهيم الثميري، وحمد إبراهيم الحقيل، وحمود بن عبدالله التويجري، وعبدالرحمن الخيال، وعبدالرحمن بن دهش، وعبدالعزيز الربيعة، وعبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري، وعثمان بن إبراهيم الحقيل، وعثمان بن ناصر الصالح، وعثمان النجران، ومحمد الربيعة، وقد تلى ذلك قائمة بأسماء (٨٠) ممن عُدوا من المتقدمين في الدراسة والمشهورين.

هذا، وقد ترجم له حمود المزيني في كتابه (إقليم سدير) ط١، ١٤٣٢هـ -٢٠١١م وقال: «.. وقد نجحت هذه المدرسة نجاحا كبيرا، وقامت بدور فاعل في تعليم أبناء المجمعة وما حولها، ولم تحقق مدرسة أهلية مثلما حققته مدرسة الصانع..».

* باحث سعودي.





إغلاق آخر مكاتب الصحف السعودية بمدينة سكاكا بمنطقة الجوف!

■ كتب المحرر الثقافي

أغلقت صحيفة الجزيرة مكتبها بمدينة سكاكا بمنطقة الجوف في ٢٠٢٢/٥/١م (٢٩ رمضان ١٤٤٣ه). كآخر صحيفة سعودية بمنطقة الجوف شمالي المملكة العربية السعودية!

كان مكتب الجزيرة قد افتتح عام ١٣٨٤ هـ الموافق١٩٦٤م، وأول مكاتب الصحف السعودية بمدينة سكاكا الجوف.

كان خالد الحميد "رحمه الله"، أول مراسل صحفي منتظم بمنطقة الجوف، وأول مدير مكتب جريدة بالمنطقة. قال في حديث صحفي عام ٢٠١٠ م عن قصة التحاقه مع الصحافة:

لم يكن هناك بنوك بالمنطقة، وكنت أعمل بالشرطة، وكل شهر نسافر بالبداية لمكة المكرمة، لنحضر الرواتب بأكياس كبيرة، وكانت عبارة عن ريالات فضة كل ألفي ريال بكيس، وكان راتب الجندي ١٥٠ ريالا، والموظف العادي يصل إلى ٤٠٠ ريال، ثم انتقل سفرنا للرياض، لنحضر الرواتب من هناك، ويضيف: في إحدى سفراتي لإحضار الرواتب، كنت أسمع عن جريدة الجزيرة، وكانت جريدة شهرية، ولها مراسلون في المناطق المجاورة عدا الجوف.

ودائما ما أتساءل: لماذا الجوف؟ لذا عزمت على زيارة صاحب الجريدة آنذاك، وهو عبدالله بن خميس، صاحب ومؤسس الجزيرة، وشاركه ٣٠ شخصًا عندما تحولت الصحافة من صحافة الأفراد لصحافة مؤسسات، والتقيت به، وأبديت رغبتي بالالتحاق بالجريدة، فرحب بذلك، وكان ذلك عام ١٣٨٤هـ، وعدت إلى الجوف، وبدأت العمل بمراسلة الجريدة، والتي كانت شهرية ثم أسبوعية ثم يومية.

ويأتي إغلاق مكاتب الصحف السعودية في مدينة سكاكا نتيجة لانحسار الصحافة الورقية، والصعوبات التي تواجه المؤسسات الصحفية في استمرارية أعمالها، بسبب انصراف القراء إلى اهتمامات وخيارات جديدة نتيجة التقنيات التي توفرها أجهزة الجوال وأجهزة القراءة الكفية والمكتبية.



الجزيرة

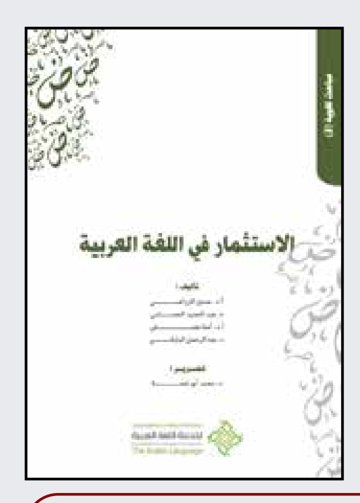
جريدة يومية

توقيع حامل البطاقة

البطاقة الصحفية للأستاذ خالد بن عقلا الحميد (رحمه اللّه)
المؤرخة في ١٣٨٩/٧/١هـ (١٩٦٩/٩/١٣م)



خلال تكريم أ. خالد الحميد مدير مكتب صحيفة الجزيرة بالجوف (يرحمه الله)
ويظهر إلى يمينه أ. خالد بن حمد المالك رئيس التحرير،
أ. عبدالرحمن بن فهد الراشد، د. عبدالواحد بن خالد الحميد



الاستثمار في اللغة العربية

المؤلف : ا. د. حسين الزراعي وآخرون.
الناشر : مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية

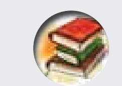
▪ أحمد العودة

منذ فترة طويلة نوعًا ما، ومركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية يعمل جاهدًا، في مجالات متعددة لتحقيق الوعي اللغوي على المستويات المختلفة (الاجتماعية والعلمية/الأهلية والرسمية)، وذلك للسمو باللغة العربية، وترسيخ مكانتها في سجل لغات العالم الحضارية، وترسيخ قيادتها الدينية والتاريخية لشعوبٍ شتى في أنحاء الكرة الأرضية.

وامتدادًا لذلك النشاط، يدأب المركز بموضوع النشر بكل قوة، مستقطبًا الأعمال الجادة والصادقة في هذا المجال، والتي تعالج قضايا نوعية على قدرٍ عالٍ من الأهمية، التي تهدف إلى الرقي باللغة العربية، بجميع الوسائل والإمكانات والأطر المتاحة.

يمثل كتاب: «الاستثمار في اللغة العربية» واحدًا من تلك الإصدارات الرائدة، التي تعالج قضية لغوية غاية في الأهمية، ألا وهي الاستثمار في اللغة العربية، وقد احتوى الكتاب على عدد من البحوث التي قدمت رؤىً نظرية ومقترحات تطبيقية، مع الإشارة إلى تجارب الشعوب الأخرى التي نجحت في عولمة لغاتها، ومن ثم الاستثمار في ذلك..

فرأيت في هذا الكتاب الكثير من تلك الطروحات المهمة، وإلقاء الضوء عليها ومناقشتها من خلال أربعة أبواب عريضة، تنبثق عنها مباحث فرعية، تشرح وتفنّد فكرة الباب الرئيس، وقد نهض بكل باب منها باحث أو باحثة، على قدرٍ عالٍ من الاطلاع، وسعة الأفق في مجالهم الثقافي، تناولوا بأقلامهم مباحث الكتاب التي تواترت تباعًا كما يلي:



الاستثمار في اللغة العربية من خلال اقتصاديات اللغة

ما أكثر ما بدأنا نسمع أو نقرأ عن موضوع الاستثمار في اللغة، وهو موضوع مغرٍ ومثير لارتباطه بالاستثمار، إذ يشهد العالمُ اليوم تسليعًا لكل شيء، ويغطي الاقتصاد فيه على كل ما عداه، بحيث أصبحت اللغة فيه تمثل بابًا واسعًا للاستثمار، ومصدرًا غنيًا من مصادر الدخل الوطني.

ويبين هذا الباب أنه يمكن لهذه اللغة (وهي أقدر على ذلك من كل اللغات الحية الأخرى) إنتاج دخلٍ كبيرٍ على الدول والجهات التي تتبناها وتعمل على الاستثمار فيها، ولكن دون ذلك متطلبات واستحقاقات يجب أن يستعد لها أبناء هذه اللغة والمنتمون إليها.

وقد طرح هذا المبحث عدة نظريات ومقترحات، يمكن أن يستضاء بها، لإيضاح هذا السبيل الطويل الجميل، الشاق الممتع، ولا شك أن النجاح فيه مضمون متى تضاعفت الجهود، وتعاضدت الرؤى، ونهضت الهمم.

ومناشط الاستثمار في اللغة العربية ليس لها حصر، فهي لغة معطاءة وذات موارد عملاقة، وعدد كبير من القطاعات يحتاج إلى الاستثمار فيها وبها.

فهناك قطاع التعليم، والتدريس للناطقين بغير العربية، وقطاع الحوسبة، ولغات الحواسيب، وتصميم البرامج الإلكترونية، فضلا عن قطاعات الترجمة، والنشر والإعلام، ووسائل الاتصالات وغيرها.

ويمكن أن تتابع بعض الشركات المطورة برامج إلكترونية عربية كبرنامج (وندوز) عربي، و(مايكرو سوفت) عربي، وغيرها لنتعرف على حجم عائدات هذه الشركات من تطوير البرامج العربية وحدها..

الاستثمار في اللغة العربية من خلال تعليم العربية للناطقين بغيرها في دول الخليج:

يندرج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في إطار تعلم اللغات الأجنبية عمومًا، إلا إنه يتميز بخاصتين:

أ- أنه تعليمٌ موجهٌ للكبار عادة.

ب- أنه تعليم موجه لغايات محددة.

ومعنى ذلك أن وضع المتعلم وحاجته في هذا النوع من التعليم يختلف عن وضع المتعلم وحاجته في تعليم اللغة الأجنبية العام.

إن تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، يحقق عددًا من الأهداف والغايات: دينية، ومهنية، وثقافية، وعلمية.

ويذكر هذا الباب من الكتاب، أنه يمكن لدول الخليج الاستثمار في المجال اللغوي، بقرارٍ واحد يفتح بموجبه بابًا للمال لا يُسد أبدًا، وأنَّ المستثمرين في دول الخليج سيجدونها فرصةً سانحة، وهم ينتظرون إشارة من حكوماتهم للتسابق على افتتاح آلاف المراكز، لتعليم الوافدين والمقيمين على حد سواء، كما يمكن استثمار اللغة العربية لغير الناطقين بها، عبر برامج متعددة تتم إدارتها في بلدان القادمين للعمل في المملكة، قبل مجيئهم لتأهيلهم وظيفيًا ومهنيًا، بما يتلاءم مع وضعهم الجديد الذي سيكونون عليه بعد استقدامهم، لأنَّ تعليم اللغة للناطقين بغيرها أمر تحتمه الضرورات الحضارية، والدواعي الواقعية، ويحقق أهدافا: ثقافية ودينية، ووقائية، وتواصلية، واقتصادية جمّة.

الاستثمار في اللغة العربية من خلال الترجمة

اللغة والترجمة والاستثمار، أية علاقة تربط أحدها بالآخر، وبأي منطق نجعل أحدها في خدمة الآخر؟ لنصل إلى المعادلة الصحيحة التي تقبل كل الحلول، وعلى الرغم من ازدياد الوعي بأهمية الترجمة، إذ أُنشئت مراكز بحوث ومعاهد لمختلف أنواع الترجمة. قد يبدو من الصعب تحقيق هذه المعادلة بين الترجمة واللغة والاستثمار، لأن العالم العربي لا يملك الخصائص التي تجعله يحققها.

ومن وجهة نظر اقتصادية، تلعب الترجمة دورًا مهمًا في التمكين من عمليات البيع والشراء، واستغلال المنتوج والأفكار بعد ذلك؛ فقيمة الترجمة في بلد ما، ترتبط بحالته الصحية، فكلما كان ذلك البلد قويًا اقتصاديًا وسياسيًا وثقافيًا، كلما حقق هذا البلد نتيجة مزدوجة هي إعمال العقل في اللغة والواقع؛ فالترجمة تمكن العقل من تفعيل القدرات الذهنية، في إدراك طرائق التمثيل اللغوي للأفكار والوقائع والأشياء، ولعل العوامل والآليات التي ستمكن المشروعات المقترحة، من جعل اللغة العربية آلية إنتاج اجتماعية، قابلة للانخراط في التكنولوجيات الجديدة، وقادرة على أن تصبح سلعة في السوق الدولية للغات، شريطة أن تتكفل الحكومات العربية بتمويل تلك المشروعات.

الاستثمار في اللغة العربية من خلال البرمجيات والتقنيات الحاسوبية

إن الأرضية التي يشتغل في محيطها هذا المبحث من الكتاب، مبني بين ثلاثة حقول بحثية مختلفة: الاقتصاد، والحاسوب، واللغة، وهي حقولٌ مهما بدا بينها من تنافر أو عدم انسجام على الأقل، إلا إنها يمكن إن تأتلف في المنحى الاستثماري.

ومن هنا، تناول هذا المبحث محاور اقتصادية حاسوبية لغوية: إذ استعان بأهم النظريات الاقتصادية المتعلقة بالتقنية وباللغة، كما أنه سينظر إلى اللغة على أنها رصيد أو رأس مال، ومن ثم ناقش سبل الاستثمار فيه من خلال التطبيقات الحاسوبية والبرمجية المختلفة. ومما لا شك فيه، أن حقل الحاسوبية والبرمجيات المتعلقة بالتطبيقات اللغوية هو حقل استثماري خصب، ومورد اقتصادي ثرّ، لكنه شبه معطل فيما يتعلق باللغة وتطبيقاتها، والعالم العربي اليوم عليه أن يلتفت بجدية إلى هذا الرافد الاقتصادي المستحدث، الذي سيكون يومًا -إن صحت التوقعات- عصب الاقتصاد العالمي..

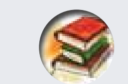
وأن اللغة العربية بما تملك من خصائص ومقومات وإثراء لغوي هائل، مؤهلة أكثر من غيرها من اللغات الأخرى، لتلج هذه الأنواع من الاستثمارات، فتدخلها من أوسع الأبواب.

وما أصدق الشاعر «حافظ إبراهيم»، حين وصف قدرة اللغة العربية على استيعاب المصطلحات العلمية والمعرفية الحديثة التي وضعها البشر، بعد أن وسعت كلام رب البشر سبحانه وتعالى، بقوله:

وسعتُ كتابَ الله لفظًا وغايةً
وما ضِقتُ عن أيٍ به وعظاتِ

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلةٍ
وتنسيق أسماءٍ لمخترعات

* أمين مكتبة دار الجوف للعلوم.





عن التعب

المؤلف : بيتر هاندكه.
الناشر : دار صفصافة للنشر.
السنة : ٢٠٢٠م.

▪ صفية الجفري

هل أنت بخير؟

لم أقرأ كتابا جعلني أشعر في رفقته بأنه يطمئن عليّ بشكل شخصي مثل هذا الكتاب. لقد نجح المؤلف: «بيتر هاندكه»(١) في أن يؤنسني بهذا الشعور عبر حديثه الهادئ المشرق.

كان بيتر هاندكه يحكي عن تعبه الخاص ولكأنه يحكي عن تعب إنساني مشترك، ولقد شعرت بدفء حكاياته، ذلك الدفء الذي نشعر به في صحبة صديق مقرّب نتوحد معه في مشاعرنا، وتغدو قصصنا ذات معنى واحد وإن اختلفت تفاصيلها.

الطيبة والتعب

يتحدث بيتر هاندكه عن التعب بوصفة امتيازًا لا يهنأ به إلا الطيبون الذين يساندون بعضهم بعضًا، وهم يخوضون مشاق الحياة؛ لتكون لحظات التوقف المؤقتة زادًا روحيًا لكل تجليات الألفة والنقاء.

يحكي لنا هاندكه عن التعب الجسدي المشترك الذي جمع أهل قريته -رجالا ونساء وأطفالا- في مطلع الخمسينيات في مواسم الحصاد: «... ترتعش الركب، فنتهاوى ونترنح، ولكن لم يخل ذلك أبدًا من المرح. تجد أيادينا وسيقاننا مخدوشة، وفتات القش يملأ رؤوسنا، ويستقر بين أصابع أيادينا وأقدامنا، أما فتحات أنوفنا -رجالا ونساء وأطفالا- فلم تكن رمادية اللون، بل سوداء يملؤها التراب. هكذا جلسنا بالخارج، تحت شمس الأصيل، نستمتع

بنكهة ذلك التعب المشترك... فقد جمعتنا ووحّدتنا سحابة من التعب الأثيري إلى أن تصل الشحنة التالية.»، (النقل بتصرف).

يقدّس هاندكه هذا التعب الذي «نتحد به وننقى بسببه»، ويجعله هبة عظيمة يحرم منها الفاسدون الذين يأكلون حقوق الناس ظلمًا، يقول: «ولكن المجرم الذي ينجو بفعلته، لا يجد صعوبة في الخلود إلى النوم في أي وضع... فهو لا يعرف شيئًا عن التعب، فما بالك التعب الذي يوحّد الأفراد؟ ولا شيء في العالم بأسره يمكن أن يجعله يشعر بذلك، إلا إذا تلقى العقوبة التي يستحقها، ولعله يتوق إليها في الخفاء».

وقل ما قاله هاندكه عن الحرمان من لذة التعب، والبذل النقي، والإيثار في كل علاقة إنسانية يختار أحد أطرافها أن يكون شحيحًا فلا يُؤدّي حقا، ولا يصدق في القيام بواجب، وتكون مصلحته الخالصة مدار تصرفاته وإن أضرّ وآذى غيره.

إن الذي لا يكلف نفسه تعبًا لأجل صون الحقوق محرومٌ من تذوق لذة الشعور بالانتماء، والصلة التي تهب القلب مسرّة التعاطف التي يخص الله بها الطيبين.

الطفولة والتعب

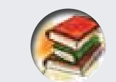
افتتح هاندكه سيرته مع التعب بقصة حدثت له في طفولته، فيحكي لنا أنه حضر مع عائلته ذات ليلة قدّاس منتصف الليل في الكنيسة. يقول هاندكه إنه شعر حينها بتعب جسدي، لكن هذا التعب لم يكن خالصًا، بل تخللته مشاعر مرهقة وثقيلة؛ لأنه كان خائفًا من أن تكتشف عائلته تعبه فيغادرون اجتماعهم الذي يعظمونه ويحبونه لتعلقه بدينهم، ولأنه ملتقى الأصدقاء والجيران.

وقد حدث ما كان يخشاه هذا الطفل الطيب، وتنبهت عائلته لتعبه، وغادرت الكنيسة، لكن الأمر كان أسوأ مما توقع الطفل؛ لأن عائلته أخذت تلومه على تعبه الذي أفسد عليهم اجتماعهم ولكأنه كان مسؤولا عن خذلان جسده له، فكان لومهم سببًا في تضخم شعوره بالذنب، وجثم على قلبه شعور زائد بخذلان عائلته له بعدم إحساسهم بأنه كان يهتم لأمرهم.

قال هاندكه: «تسللت مشاعر الذنب إلى إحساسي بالتعب حتى حوّلته إلى ألم شديد. تألمت لأني خذلت عائلتي... تألمت وكأن رأسي مربوط بشريط فولاذي، أو كأن الدم قد انسحب من شرايين قلبي وحتى الآن - أي بعد مرور عدة عقود - ما زلت أشعر بالذنب عندما يراودني الإحساس بالتعب. لكن الغريب في هذه القصة هو أن عائلتي انهالت عليّ بعبارات التوبيخ دون أن يلتفت أي منهم إلى نوبة التعب التي أصابتني».

تعجُّب هاندكه من موقف عائلته، لم يُجب عنه الزمن الممتد. يروي هاندكه القصة بعد سنوات طويلة ويصف موقفهم بالغرابة، ولعل موقفهم أربك وجدانه، فكيف يسلبونه بلومهم الأمان وهو يعدّهم ركنه الشديد؟ لقد عجز هاندكه -مع هذا التشوش- أن يتبيّن افتقارهم إلى النضج العاطفي.

يقول لنا هاندكه - عبر قصته هذه -إن



الأطفال لديهم نضجهم الخاص، وأعني بالنضج هنا الإحساس بالمسؤولية تجاه مشاعر الآخرين وحقوقهم. دعونا نتخيّل أن عائلة هاندكه تعاملت بمراعاة مع تعبه، لكنها لم تدرك إحساسه بالذنب ولم يتحدث هو عنه، ودعونا نتخيل أيضا أن تعب هاندكه الجسدي كان ملازما له، وسببًا في حرمان العائلة من نشاطات تهمها، كيف سيتعامل الطفل مع الشعور بالذنب الذي لم يلاحظه أحد، وما أثر هذا الشعور على اطمئنانه النفسي؟

الحب والتعب

بعد حديث هاندكه عن التعب الجسدي وآثاره الوجدانية تناول نوعًا آخر من التعب، تعب منشؤه النفس لا الجسد؛ إنه تعب الأحبة بعد أن يألفوا المشاعر التي داهمت قلوبهم، كما تألف العين - بعد حين - النور الذي يباغتها في الظلام.

يقول هاندكه إن الحب بعد أن تهدأ سَورة البدايات، وتذهب سكرته، قد لا يكون كافيًا وحده، وحينها يتنبه الطرفان إلى أنهما يجب أن يناقشا بجدية تفاصيل تتعلق باختلاف طباعهما، وقيمهما، وثقافتهما، وطموحاتهما، وتصورهما عن الحياة المشتركة.

قد يقتحمهما الإحساس بثقل التعامل مع تعقيدات هذه التفاصيل، وقد يصد -بسببها- أحدهما عن الآخر، لكنهما قد يكتشفان لاحقًا مساحات للتقارب، ويرفد الحب العقل بما يمكّنه من صون العلاقة وتنميتها.

يقول هاندكه: «أريد أن أحكي عن أنواع أخرى من التعب، مثل ذلك الذي تتسبب به المرأة، فهو أشبه بالظواهر الفيزيائية، وكأنه نوع من الانشقاق، لا يصيبني وحدي، بل يصيب المرأة أيضا بالقدر نفسه... ترى الحبيبين يقفان مع بعضهما، أو يجلسان معًا، ليفترقا فجأة، بين عشية وضحاها، بلا رجعة... صرنا بعيدين عن بعضنا، صار كل منا غارقًا في مشاعر متزايدة من التعب، لكنها مشاعر لا توحدنا، فتعبي أنا هنا، وتعبك أنتِ هناك. يمكن أن نطلق على هذا النوع من التعب اسمًا آخر، مثل «الفتور» أو «الغربة»، لكن كلمة «التعب» تحمل في طياتها معنى «الحِمل الثقيل».

لم أقدر أبدا أن أقول لها: «أنا تعبت منك»، ولم تقدر هي كذلك على البوح بتعبها على الرغم من أننا لو كنا أطلقنا تلك الصرخة المشتركة لتحررنا من جحيمنا الفردي. لقد تلبَّسَنا شيطان التعب حتى سيطرت علينا مشاعر الخوف، ولم تنج علاقتنا إلا بعد أن تخلصنا من الخوف». (النقل باختصار وتصرّف).

في كلام هاندكه عن الحب والتعب نجده يتنقل بين الحديث عن الأمر بشكل مجرّد وبين تجسيده في حكاية وقعت في سياق معيّن، ولكأنه كان مترددًا في أن يبوح بقصته الخاصة؛ فاختار الجمع بين العام والخاص، وكان أسلوبه فيه تهذيب، وصدق، وتأمل لطيف.

الكتابة والتعب

تتصل الكتابة بالتعب، يرافقها وترافقه،

تعب حال الكتابة، وتعب بعد الانتهاء منها، إنه تعب ينهك الجسد، لكنه قد يرتقي بالروح، فتصبح أكثر نقاء وإخلاصًا لقيمها، ويفتح لها نوافذ جديدة في صلتها بالناس والحياة. وقد يكدّر تعب الكتابة الروح بالغرور والاستعلاء على من لم ينعم بلذة المعرفة، والغوص في بحرها، واستخراج كنوزه عبر الكتابة.

يقول هاندكه: «احترفت الكتابة، وواظبت عليها زمنًا، وعندما أخرج إلى الشارع كنت أشعر وكأنني فقدت صلتي بكل من حولي، وكان انعزالي هذا يفرز بداخلي إحساسا عذبًا، لم يكن المجتمع غير متاح لي، بل كنت غير متاح للمجتمع، ولكل من حولي. لقد تحوّلت إلى كتلة من الغرور. صرت شخصًا باردًا يحتقر الآخرين، ويقلل من شأن المهن الأخرى (التقليدية)، التي لا يمكن أن ترقى إلى مستوى: «التعب الملكي» الذي يتسلل إليّ أثناء تأدية عملي. فبعد الانتهاء من الكتابة، حرصت على أن أظل «ممنوعا من اللمس» «وكأني متوّج على عرشي». (النقل باختصار وتصرّف).

لم ينقذ هاندكه من لعنة الغرور التي أصابته إلا وقوعه في تجربة قاسية -لم يتحدث عن تفاصيلها- أعادت له إنسانيته، وتوازنه العاطفي، وتواصله المعتدل مع الناس.

بعدها استلهم هاندكه من تعب الكتابة نوعًا مختلفًا من التواصل مع الناس. يقول هاندكه: «فمع ذلك التعب الذي تصاحبه البصيرة، يحكي العالم قصته دون كلمات، في طيات السكون التام. يقصّها عليّ، ويقصّها على هذا الشيخ الذي يجلس هنا بجواري... تتشكل تلك القصص من تلقاء نفسها أمام عيني» (النقل باختصار وتصرّف).

تجليات التعب

ارتحل بنا هاندكه -من خلال سيرته الشخصية -عبر تجليات التعب على أخلاق الإنسان، وقيمه الوجودية، وعلاقاته الأسرية والاجتماعية، ونضجه فكريًا ووجدانيًا. وقد كانت رحلة ثرية أدبيًا وإنسانيًا في كتاب لطيف الحجم يبلغ عدد صفحاته ست وخمسين صفحة. وقد قدّمت في هذا المقال قراءة في بعض محطات هذه الرحلة.

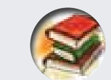
ترجمت الكتاب: د. رضوى إمام، وقد أعجبتني سلاسة لغة الترجمة، لولا صعوبات تتعلق بكون بعض فقرات النص مكثفة المعنى، ولعل المترجمة لو بسطت تلك المعاني لتجلّى المقصود منها تجليًا تامًا.

ألف هاندكه الكتاب في عام ١٩٨٩م، وقد نشرت الكتاب مترجمًا إلى العربية دار صفصافة للنشر في القاهرة في عام ٢٠٢٠م.

---

* باحثة في قضايا المرأة والأسرة.

(١) كاتب ومترجم نمساوي، حاصل على جائزة نوبل للآداب للعام ٢٠١٩م.



الإبداع الصخري وإزميل النحات الحجري القديم..!

د. عبدالواحد الحميد



حين كنت أتأمل المنحوتات الصخرية في موقع نحت الجمل على أطراف مدينة سكاكا بمنطقة الجوف ظُهر يوم الخميس ٢٩ سبتمبر ٢٠٢٢م، عادت بي الذاكرة عقودا عديدة إلى أيام الطفولة ومطالع العمر، عندما كنتُ مع بعض أصدقاء الطفولة نخرج في «كشتات» ممتطين دراجاتنا الهوائية إلى الأطراف القريبة من سكاكا، وبخاصة في أيام الربيع وسقوط المطر؛ فنتجول في «القيعان» والهضاب، ونتوقف عند بعض الجبال التي تشدنا إليها النقوشُ والرسوماتُ التي تختلط فيها «الخربشات» العابثة التي يقترفها أمثالنا من الأطفال والشباب مع النقوش والرسوم الموغلة في القدم، ولم نكن نعرف أن بعضها كان يعود إلى آلاف السنين، وأنها تختزن إرثا حضاريا سجلته أقوامٌ عاشت على أرض هذه الجزيرة العربية أو عَبَرَتْها في رحلاتها وقوافلها التجارية وبحثِها عن مواقع الماء والكلأ والأسواق!

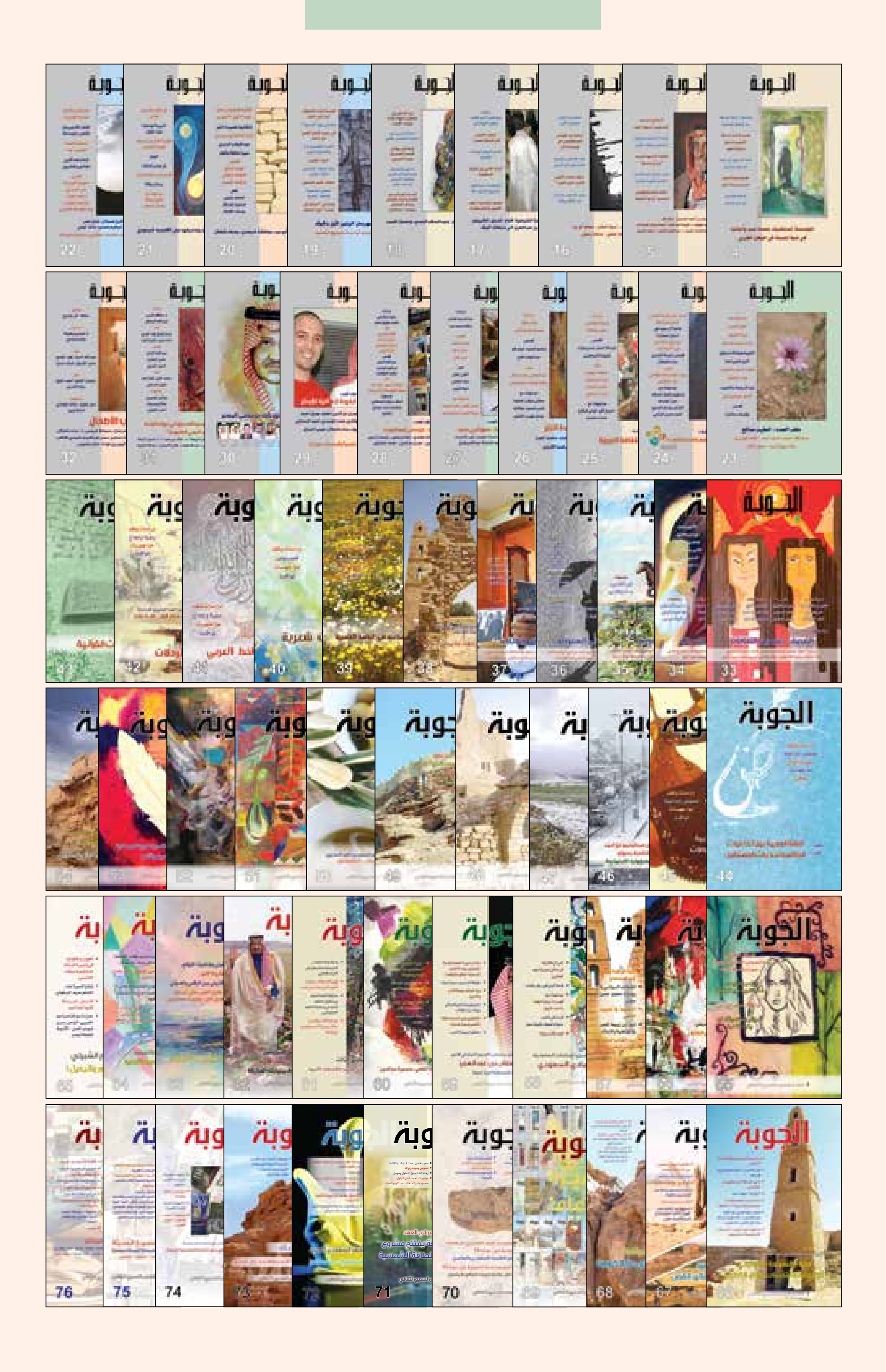
وعندما حضرتُ المؤتمر العلمي «موقع نحت الجمل وأهميته الثقافية من منظور عالمي»، الذي عُقِد في الجوف بتاريخ ٢٧ - ٢٩ سبتمبر ٢٠٢٢م، ووقفتُ أمام موقع نحت الجمل، دُهِشتُ من الدقة التي تصل حدَّ الاحترافية لدى النحّات القديم في الموقع الصخري؛ فقد برزت بعض المنحوتات للإبل والحيوانات الأخرى بالحجم الطبيعي، وبأبعاد بارزة تتجاوز النقش والرسومات والخطوط التي نراها محفورة على الصخور في بعض المواقع الأثرية. كيف صنع نَحاتُنا القديم بإزميله الحجريّ البدائيّ كل هذا الجَمال وكل هذه الروعة؟ كم أنفق من الوقت والجهد كي يُبدع هذه المنحوتات؟ وما هي الثقافة التي ترعرع في ظلها ذلك النحات في ذلك الزمن الموغل في القدم كي يتفرّغ لهذا العمل الإبداعيّ؟ وهل كان وحيدا أم كان ضمن فريق من النحاتين؟

وقد كان هذا المؤتمر الذي نظّمته هيئة التراث بوزارة الثقافة، واستضافته جامعةُ الجوف على مدى ثلاثة أيام احتفاليةً حاشدة، لتكريم النحّات القديم الذي كان هنا في أرض الجوف قبل أكثر من ستة آلاف سنة، فرصة للتعرف على هذه الكنوز التي تركها لنا، والتي قال عنها الباحثون المشاركون في المؤتمر إنه من المرجّح أنها أقدم منحوتات للإبل بالحجم الطبيعي على مستوى العالم! وقد أحسنت هيئة التراث حين صبغت لحظة إشهار هذا الموقع بصبغة عالمية، فَدَعَتْ عددا كبيرا من الباحثين المتخصصين بالنحت الصخري والآثار من مختلف دول العالم؛ إذ شارك علماء من المملكة، ومصر، وفرنسا، وإيطاليا، وبريطانيا، وألمانيا، والبرتغال، وكولمبيا، والبيرو، والمغرب، والجزائر، وتونس، وقدّموا أوراق عمل ودراسات عن النحت الصخري في بعض البلدان، وتحدّثوا عن الأهمية الكبيرة لموقع نحت الجمل في الجوف بالمملكة العربية السعودية.

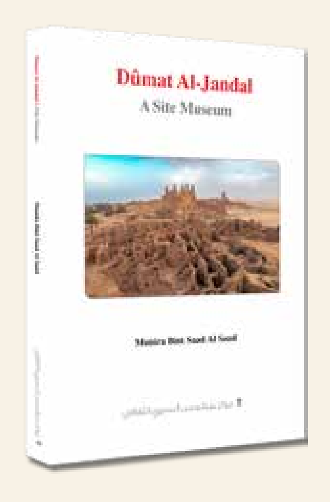
كنوزٌ آثارية كثيرة تتوزع على مختلف مناطق بلادنا تشهد لهذه الجزيرة بالثراء الحضاري، بعكس النظرة السائدة لدى بعض الناس من أن جزيرتنا ليست سوى صحراء جرداء، ومن حسن الحظ أنَّ بلادنا تشهد حِراكًا واسعًا يُغطّي جوانب كثيرة من موروثنا الثقافي، ومن ذلك الآثار والتراث.

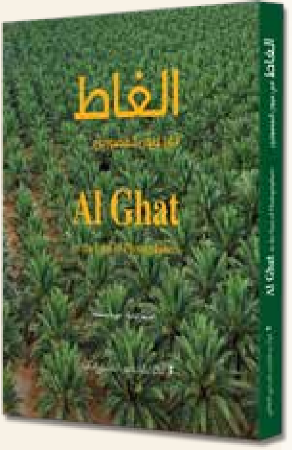
إشهار موقع نحت الجمل في سكاكا لحظة ثقافية تاريخية رائعة! والقادم لا يقل روعة بإذن الله.

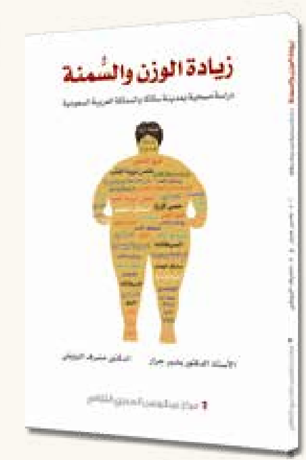
من إصدارات الجوبة



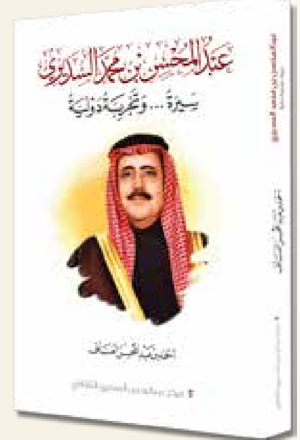
من إصدارات برنامج النشر في
مركز عبدالرحمن السديري الثقافي

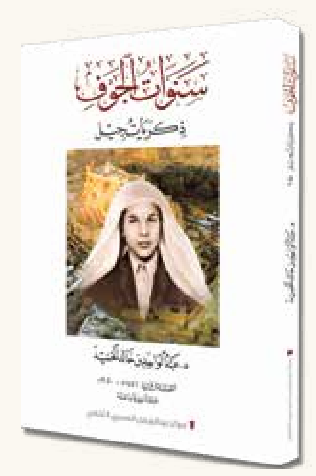












مركز عبدالرحمن السديري الثقافي
الجوف: ص. ب: 854 — هاتف 014 6245992 — فاكس 014 6247780
الرياض: ص.ب 94781 الرياض 11614 — هاتف 011 4999946 — جوال 055 3308853
الغاط: ص. ب 63 - دار الرحمانية — هاتف 016 4422497 — فاكس 016 4421307
www.alsudairy.org.sa | info@alsudairy.org.sa
Alsudairy1385 0553308853

